١٦٠

شُبهة جديدة حول القرآن الكريم



بقلم

محسن الأنصاري الخزرجي



شبهة جديدة حول القرآن الكريم

قدّم له

سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ شمس الدين الواعظي

دام ظلّه

تأليف

محسن الأنصاري الخزرجي

سرشناسه:	انصاری خزرجی، محسن
عنوان و نام پدیدآور:	۱۶۰ (مائه وستون) شبهه جدیده حول القرآن الکریم / تالیف: محسن الانصاری الخزرجی ، قدم له شمس الدین الواعظی
مشخصات نشر:	الماس. قم : ۱۴۳۴ ق.=۱۳۹۲
مشخصات ظاهری:	۴۳۷ص.
شابک:	۰ - ۹۲ - ۷۷۵۳ - ۹۶۴ - ۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی:	فیپا
یادداشت:	کتابنامه: ص. ۴۲۷ ؛ همچنین به صورت زیرنویس.
موضوع:	قرآن - دفاعیه ها و ردیه ها
شناسه افزوده(شخص):	واعظی، شمس الدین، ۱۳۲۰ - مقدمه نویس.
رده بندی کنگره:	۱۳۹۲ ۲ م ۸ الف / ۲ /۸۹
رده بندی دیویی:	۲۹۷ / ۱۵۹

۱٦۰ شبهة جديدة حول القرآن الكريم

تأليف: محسن الأنصاري الخزرجي

الناشر: الماس

المطبعة: گنج معرفت

الاخراج الفني: كمبيوتر المجتبى عليه السلام

الطبعة: الاولى ١٤٣٤ هـ ق ـ ٢٠١٣ م

العدد: ١٠٠٠ نسخة

ردمک: ۰ - ۹۲ - ۷۷۵۳ - ۹۶۴ - ۹۷۸

طبع على نفقة المرحوم الحاج قاسم حمودي الباچه چي ووالديه وعقيلته

بسم الله الرحمن الرحيم

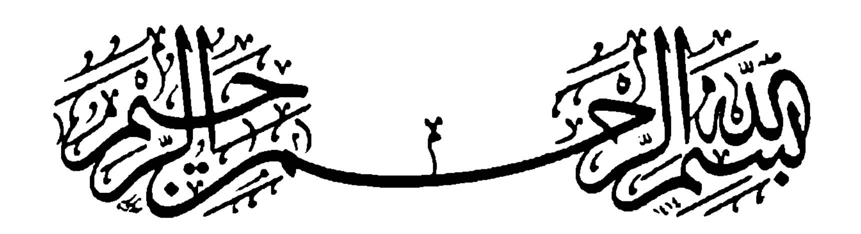
بسمه تعالى

الحمد لله على آلائه والشكر له على نعمائه والصلاة والسلام على سيد خلائقه وعلى آله الأوصياء المرضيين

أما بعد:

فقد رُفعت إلى مكتبنا مجموعة من الشبهات التي أثارتها جماعة مغرضة من غير أهل قبلتنا لا تفقه من العلم شيئاً. وقد عُرضت علينا، ولكن مع كثرة الاشتغال بالتدريس والتأليف والأمور الأخرى. أوكلت الأمر الى تلميذنا سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محسن الأنصاري للرد عليها. فأخذ يعرض علينا شبهة بعد أخرى لغرض النظر في ردها، وبعد أن تم جمعها كتبها ببراعة بصورة علمية ادبية تتناسب وجميع المستويات، فوجدت الفائدة المهمة في نشرها، لغرض ردع من تسوّل له نفسه النيل من كتاب الله الكريم. فبارك الله فيه، وفيمن ينصر الدين. والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.





المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه وسيد رسله محمد وآله الطاهرين وبعد:

فهذه إجابات سريعة وردود مختصرة على شبهات أثارها جمع من اليهود والنصارى، وتخيّلوها تناقضات أو اختلافات تمس عصمة القرآن الكريم، وحسبوها أدلة على عدم صدق نبوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واعتقدوا أن هذا القرآن من الكتب التي يتسرب إليها الشك، لاحتوائه مثل هذه الإثارات التي تدل على جهل واضح بكتاب الله المجيد، أو تعمّد التعامي عن مفاهيمه ومضامينه، لزرع الشك والتردد في قلوب المسلمين. وبالتالي، لإضعاف عقيدتهم بالقرآن الخالد، والمعجز الصامد بوجه التحديات قروناً من الزمن.

وسيبقى كتاب الله بعيداً من متناول الأعداء، وفوق الشبهات والإشكالات.

وليست بالأمر الغريب إثارة مثل هذه التناقضات المزعومة في هذا الوقت بالذات. والشرق الأوسط يتعرض الى تغيير سياسي شامل يطال

القريب والبعيد، وليست هذه الإثارات إلا دليلاً على حقد كامن وحسد دائم من قبل أعداء الحق الذين عاندوا الأنبياء، وآذوهم وقتلوهم وشردوهم، وناصروا أعداءهم.

ولما كان القرآن الكريم شاهداً تأريخياً ودينياً على المسيرة السوداء، والتأريخ المظلم لليهود وأغلب النصارى، صاروا يحاربونه بين فترة وأخرى من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله والى يوم الناس هذا. كلما سنحت لهم الفرصة، ودعت الى ذلك الحاجة. وهم منذ زمن طويل يسعون الى تجريد القرآن المجيد من كل فضيلة وكل معجزة ودلالة فيه على أنه من عند الله جل شأنه، وأنه أوحي الى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وما ذاك إلا لأن القرآن فضح اليهود وغيرهم، وجرّدهم من كل أفضلية أو فضيلة ادعوها، ومن كل منقبة تبجّحوا بها. فكشف عن اتخاذ أغلب قوم موسى عليه السلام العجل رباً، وعن طلبهم من نبيهم رؤية الله، وقولهم يد الله مغلولة، وقولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. الى غير ذلك مما يدل على أن اليهود أسوأ أمة عرفها التأريخ، وأخطر ملة على شعوب العالم، لأهدافها التوسعية وأدوارها التخريبية في كل زمان ومكان.

ولا يقل أغلب النصارى مكراً عن بني صهيون. فقد ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم في بريطانيا عام ١٦٤٩ م تسخر منه، وتجعله كتاباً من تأليف محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا هو نصّ الترجمة: «إليكم أيها القرّاء كتاب محمد ترجم حديثاً الى لغتنا الإنكليزية إرضاءاً لرغبات الذين يريدون معرفة الأباطيل التركية!! وقد أضفنا لهذه الترجمة موجزاً لحياة محمد نبي الأتراك ومؤلف القرآن!!

ونحن على ثقة من أن قراءة هذا القرآن لا تشكل خطراً على معتقداتكم، فقد ترجم من قبل العلماء الى عدة لغات أوربية، حيث لم يقتنع بأفكاره أحد، ولم يجتذب أي شخص للاسترشاد به».

ويتضح أن الترجمة صدرت أيام الصراع بين بريطانيا والدولة العثمانية.

هذه هي مقدمة الترجمة الاولى وقد تضمنت تسخيفاً لأعظم وثيقة سماوية، وتهديداً للأمة الاسلامية، وتحدياً لمشاعر المسلمين كافة.

ونعتقد بأن سيل الشبهات سوف لن ينقطع مهما حاولنا من الرد وبيان الحقيقة وإجابة الأسئلة الاستفزازية؛ لأن المنهج الذي نشأ عليه أعداء الإسلام هو هو لم يتغير منذ قرون. وسيقيض الله من يدافع عن كتابه ودينه كلما ارتفعت راية العدوان وتعالت أصوات الشر.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذه الشبهات التي سموها «تناقضات» كانت قد ظهرت على موقع أستاذنا المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ شمس الدين الواعظي دام ظله. وبعد اطلاع سماحته عليها كلفني القيام بالرد عليها. فكانت مسؤولية مضافة الى عملي أنجزتها في غضون أربعة أشهر.

أخيراً أسأل الله التوفيق والسداد خدمة لدينه ولا يطلب ذلك إلا منه سبحانه.

الشيخ محسن الأنصاري الخزرجي
النجف الأشرف
١٥ جمادى الأولى ١٤٣٤

الشبهة الأولى:

«وهي تتعلق بنبي اليهود موسى. فقد ورد ذكر هذا الرجل في عدة مواضع وبأشكال ونصوص مختلفة متناقضة، جاء في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِه إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1]. وفي سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِه آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِه امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[2] وفي سورة طه: ﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِه امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾[3] فهناك اختلاف في درجة اليقين مما هو فاعل. فمرّة يقول ﴿آتِيكُم﴾ ومرة يقول ﴿لَّعَلِّي﴾ أليس هذا تناقضاً»

---

(١) النمل: ٧.

(٢) القصص: ٢٩.

(٣) طه: ١٠.

ردها:

لعلّ لغةً: لعلّ حرف رجاء وطمع وشك وقد جاء في القرآن بمعنى (كي).

إن التاريخ مرآة عاكسة لما قدمته البشرية عبر العصور الماضية، بل هو مختبر لسكان الأرض أجروا فيه تجاربهم التي صنعت الحياة وطورتها. ولذلك كانت أخبارهم ممتعة، لأنها تجعلنا نعيش معهم.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في جملة من وصاياه لولده الحسن عليه السلام: «أي بني إني وإن لم أكن عمّرت عمْرَ من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت من أولهم الى آخرهم».

إشارة منه عليه السلام الى ضرورة الاطلاع على التاريخ وأخذ الجيد منه، وبخاصة إذا كان تاريخ خيرة البشر وهم الأنبياء عليهم السلام.

ومن هنا اهتم القرآن الكريم بعرض قصص أكثر من ستة وعشرين نبياً، لما في قصصهم من عبرة وموعضة.

فكانت قصة نبي الله موسى عليه السلام أكثر قصص الأنبياء وروداً في كتاب الله. حيث عرضها أكثر من مائة وثلاثين مرة فيما يزيد على ثلاثين سورة. وفي كل مرّة يجدها القارئ وكأنها تذكر للمرة الأولى. وذلك بسبب ما فيها من حداثة في الأسلوب وجدّة في العرض. ومعلوم أن من أساليب البلاغة القرآنية عرض القصة الواحدة بصور متعددة. الأمر الذي يبقيها غضة تشد القارئ إليها.

فكل الآيات تحدثت عن موضوع واحد هو: أن موسى عليه السلام لما قضى مدة خدمته عند نبي الله شعيب عليه السلام رجع بأهله الى موطنه. وكانت امرأته حاملاً مقرباً. فلما جنّ الليل ضل موسى الطريق، فرآى ناراً من بعيد، فقال لأهله: امكثوا فإني شاهدت ناراً، وسأذهب إليها لعلي آتيكم منها بخبر الطريق الموصل لنا، أوآتيكم بقبس من النار للتدفئة. فالموضوع واحد إلا أن أسلوب العرض متغير من حيث المعاني المترادفة والإضافات الجمالية، حتى لا يتسرب الملل الى القارئ الذي يريد أن يكتشف الغاية والحكمة والدلالة المطلوبة. فهل يسمى هذا تناقضاً. إذا كانت الألفاظ مختلفة والمعنى واحداً؟

وأما اختلاف درجة اليقين عند موسى كما قالو. فليس فيها قدح له، لان اليقين لا يحصل إلا بعد المشاهدة والاطلاع. واستعمال الفعل المضارع (سآتيكم) في محله، لأنه يدل على الحال أو الاستقبال. وهو عليه السلام ذاهب الى مصدر النار بنفسه ليرى ما يفعل. فالأشياء لديه مستقبلية سيحققها بإذن الله.

وقوله (لعلي) و (لعلكم) ليس بمعنى الرجاء هنا وإنما بمعنى (كي) وهي تعليلية كما قال ابن منظور في لسان العرب. فيكون معنى كلامه عليه السلام: كي آتيكم منها بخبر، وكي تصطلوا. فلم تتزلزل ثقته ولا يقينه.

الشبهة الثانية:

«معنى آلهة: جمع إلاهة. قال تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ وهي أصنام عبدها قوم فرعون معه.

(آلهة القرآن تعلم ....أو لاتعلم؟) ألهة القرآن تبتلي البشر وتصيبها بالقروح والجروح لتعلم. علمها ناقص يحتاج لامتحان وزمن ليكتمل. والدليل ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1] و﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الايَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[2] و﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[3] و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4] و﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ...﴾[5]

---

(١) محمد: ٣١.

(٢) آل عمران: ١٤٠

(٣) سبأ: ٢١.

(٤) المائدة: ٩٤.

(٥) البقرة: ١٤٣.

و﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[١].

ردها:

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يكن غير عالمٍ في وقت من الأوقات، حتى يبتلي الناس ليعلم، لأن العلم من صفاته الذاتية التي يستحيل أن يتصف سبحانه بنقيضها أبداً.

وإنما المراد من قوله: ﴿...وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ...﴾ وما شاكل هذه العبارة في الآيات المسوقة في الشبهة، ظهور إيمان المؤمنين في الخارج من خلال تحققه، وإلا فهو تعالى عالم بالأشياء قبل حدوثها، لا بصورة منتزعة عنها، كعلمنا نحن بالأشياء. ولكن لما كانت الأمور مرتبطة بأسبابها، لم يكن بدٌّ من وقوع أمور توجب ظهور إيمان المؤمن لغيره بعد خفائه. وبخاصة فإن الإيمان من الأمور القلبية التي لا يعلمها إلا الله ـ عزوجل ـ فتكون الأعمال الخارجية دالة عليه.

ولم يكن علم الله ناقصاً يحتاج الى زمن وامتحان ليكتمل، كما جاء في الشبهة. وبعبارة أخرى: إن العلم الحاصل له تعالى من ابتلاء عباده هو ظهور حال العباد بذلك. وبنظر أدق: هو علم فعلي له تعالى خارج عن الذات.

---

(١) العنكبوت: ٣.

الشبهة الثالثة:

(تناقضات قرآنية) وسينطلقون من هنا بتسمية كل شبهة تناقضاً. ويبدو أن هؤلاء لا يفرقون بين الاختلاف في اللفظ مع وحدة الموضوع، وبين التناقض. ولجهلهم بشرائط التناقض صرت مضطراً لبيانها. وهي تسعة:

أ ـ وحدة الموضوع: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «الواحد فرد، الثلاثة ليست فرداً» لاختلاف الموضوع.

ب ـ وحدة المحمول: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «العلم نافع، العلم ليس ضاراً».

جـ ـ وحدة الزمان: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «الجوّ حارّ صيفاً، الجو ليس حاراً شتاءاً» لاختلاف الزمان.

د ـ وحدة المكان: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «الجوّ حارّ في البصرة، الجو ليس حاراً في روما». لاختلاف المكان.

هـ ـ وحدة الشرط: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «الفاكهة مفيدة إن كانت ناضجة، الفاكهة ليست مفيدة إن كانت فجّة» لاختلاف الشرط.

و ـ وحدة الإضافة: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «الواحد نصف الإثنين، الواحد ليس نصف الثلاثة» لاختلاف الإضافة.

ز ـ وحدة الكل والجزء: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «الأرض بعضها ماء، الأرض كلها ليس ماءاً» لاختلاف البعض عن الكل.

حـ ـ وحدة القوة والفعل: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «البذرة شجرة بالقوة، البذرة ليست شجرة بالفعل» لاختلاف كون البذرة شجرة بالقوة عن كونها شجرة بالفعل.

ط ـ وحدة الحمل: فلا يتحقق اجتماع النقيضين في مثل: «الجزئي جزئي بالحمل الأولي الذاتي، الجزئي ليس جزئياً بالحمل الشايع الصناعي» لاختلاف الحملين.

وحسب هذه المقدمة المختصرة عن التناقض، نطلب من القارئ الكريم أن يسايرنا في بحث ما أسموه تناقضاً.

قالوا: «إن الله خلق الأرض بكل ما فيها قبل أن يرتفع الى السماء فيسويها، وأوردوا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1] ولكنه يقول، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا﴾ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا﴾[2] وهنا نجد أن التناقض حاصل بين سورة البقرة، وسورة النازعات. ففي الأولى خلق ما في الأرض جميعاً، ثم ارتفع الى السماء فسواهن سبعاً. وفي الثانية أكمل السماء ثم هبط الى الأرض فدحاها. فما الصحيح يا ترى؟ هل نسي الرب أجندة أعماله. إذ يقول: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) النازعات: ٢٧ ـ ٣١.

الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا...﴾[1] فهنا عاد ليؤكد أن الأرض هي التي خلقت أولاً وليست السماء، ثم هل خلق الجبال أولاً قبل السماء؟

ردها:

لم يتحقق التناقض بين الآية ٢٩ البقرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً...﴾ وبين الآيات ٢٧ ـ ٣٢ / النازعات: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ إذ أن معنى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ... ﴾ قصدها بالخلق دون القصد المكاني الذي لا يتم إلا بانتقال القاصد من مكان الى آخر، لأن الفعل (استوى) عُدّي بإلى وإذا عدّي بإلى اقتضى معنى الانتهاء الى الشيء، أي أن الله ـ عزوجل ـ توجه للسماء لخلقها حيث كانت كتلة واحدة من دخان. وعليه يكون خلق الأرض وإكمالها والجبال التي أرساها قبل خلق السماوات سبع طبقات، أي قبل أن تكون معدودة، مفصولاً بعضها عن بعض.

والمحصلة: أن الله تعالى خلق السماء كتلة واحدة من دخان ثم بعد ذلك عمد الى خلق الأرض بيومين وأكملها، ثم استوى الى السماء وهي لا تزال بعد كتلة واحدة من دخان فسواها سبع طبقات. فأين التناقض مع عدم

(١) فصلت: ٩ ـ ١٢.

وجود وحدة الزمان والمكان؟

وجواب سؤالهم عن خلق الجبال على الأرض هل كان سابقا على خلق السماوات؟

نقول: نعم، لأن الله ـ سبحانه ـ خلق الأرض وأكملها ـ كما مرّ ـ ثم خلق سبع سماوات وهذا ما أشارت إليه الآية[١]، ولا تعارض بينها وبين آيات سورة النازعات.

ثم ما هذه الجرأة على رب العالمين في نسبة النسيان إليه؟ وإذا كان ربنا ينسى فكيف بنا نحن البشر؟ وإذا كان الله لا يعتني بالمنهجية في الخلق والتكوين، لما رأينا كوناً منظماً من الذرة الى المجرّة. كذلك نسبة الارتفاع والهبوط لله تعالى جريئة جداً، وكأن الأمر متعلق بطير أو طيّار يصعد وينزل. وما ذاك إلا لجهلهم أو تجاهلم بالذات المقدسة فجوّزوا على الله ما جوّزوا على خلقه.

الشبهة الرابعة:

«القرآن يغري رجال المسلمين بنساء الجنة وحورياتها .. ويتغزل بأجسامهن .. وخصوصاً الأثداء والصدور .. ويصفها بالكواعب والنواهد !! كما ورد ذلك في سورة النبأ ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾[٢]

---

(١) فصلت: ١١.

(٢) النبأ: ٣٣

وهذا إن دلّ .. فانه يدل على " إغراء " جنسي للرجال المسلمين من أتباع محمد ، بنساء الجنة وجمالهن الجسدي .. وبالتالي يقومون بكل ما يطلب منهم في الجهاد ! والجهاد هو الطريق الأسرع للوصول الى التلذذ بتلك "الكواعب"!»

ردها:

معنى غرّه: خدعه وأطمعه بالباطل.

إن القرآن الكريم لم يقم بعملية إغراء للمسلمين عندما وصف نساء الجنة، بقدر ما أراد إثارة شوق المسلم الى صفحة مشرقة من نعيم الجنة الخالد الذي من جملته الحور العين، ولم يقتصر وصفه تعالى لذلك النعيم على صفات الحور، وإنما ذكر أشياء كثيرة منها: السلام الدائم، وخدمة الولدان، ووجود خمر من غير أذىً، وأنهار من عسل، وأنهار من لبن. وفيها من الفواكه ولحوم الطير ما تشتهيه الأنفس وتلتذ به الأعين.

وذكرُ الحور العين إشارة الى عامل مهم في حياة الإنسان وغريزة جسدية حاكمة عليه. ولا يكتمل النعيم المقيم من دون نساءٍ في الجنة، بل تكون الجنة من دونهن جنة ناقصة. وليس الجهاد الذي ورد في الشبهة هو الوسيلة الوحيدة التي يصل بها الإنسان المؤمن الى الجنة، بل هناك أعمال صالحة كثيرة وصدقات جارية، وعبادات وطاعات نهايتها الجنة. ولكن الذي يتحسّس من جهاد المسلمين يقول بهذه الشبهة.

الشبهة الخامسة:

«وهنا تناقض يتعلق بقوم لوط عليه السلام وجوابهم لنبيهم حين كان يجادلهم ويحذرهم من الكفر والفسق.

ففي سورة الأعراف: كلام مختلف عن سورة العنكبوت وهو: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1] أما في العنكبوت فيقول: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2] فما هو الصحيح من هذين الجوابين؟».

ردها:

التطهّر لغة: قال ابن منظور: التطهّر: التنزّه عمّا لايحلّ. ويتطهرون، أي يتنزهون عن إتيان الذكور.

كان بودنا أن يستعمل هؤلاء عقولهم قبل عواطفهم، وألا يتسرعوا في رمي القرآن الكريم بالتناقض مع أنه لا تناقض. ولو كان الأمر كما يقولون لاكتشفه أبناء اللغة في زمن النزول، ولكان أقوى حجة يحتجون بها على

(١) الأعراف: ٨٢

(٢) العنكبوت: ٢٨ ـ ٢٩.

رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان على هؤلاء أن يسألوا أنفسهم: هل هم أكثر دراية بلغة العرب من أبنائها الأوائل، بحيث عبرت هذه التناقضات القرون من الزمن ولم يكتشفها أحد فاكتشفوها هم؟

ونقول للقارئ الكريم: إن اختلاف جواب قوم لوط عليه السلام يدل بوضوح على أن المحاورة بينه وبين قومه قد تكررت ولم تكن مرة واحدة، بل كان الوعظ مستمراً كلما دعا الأمر الى ذلك. وفي كل مرة كان جوابهم له عليه السلام بصورة معينة. ففي أحد المواقف الوعظية كان جوابهم: ﴿اَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ ومرة قالوا: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ﴾ من باب التحدي له وتكذيبه فيما يعدهم به من العذاب. والقرآن الكريم يأخذ بجواب معين عند ذكر قصة قوم لوط عليه السلام حتى تبقى القصة في كل عرض لها تكشف عن شيء جديد. وهذا من أروع الأساليب البلاغية. ومع عدم تحقق شرط وحدة الزمان ولا وحدة المكان فلا تناقض حينئذٍ.

الشبهة السادسة:

«في بشارة الملاك جبرئيل لمريم جاء في سورة آل عمران: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى اَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ بينما في سورة مريم وفي نفس الموقف وعلى هامش ذات الحدث قالت حسب نص الآية ﴿قَالَتْ أَنَّى

يَكُونُ لِى غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ اَكُ بَغِيّاً﴾ فما ضرورة إضفاء تهمة البغاء على نفسها، ولماذا صار الولد غلاماً؟».

ردها:

الولد لغة: الصبي حين يولد. وقال ابن شميل: يقال غلام مولود وجارية مولودة أي حين ولدته أمه. وقال ابن سيده: وهو يقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى.

الغلام لغة: قال الراغب: الغلام الطارّ الشارب. يقال غلام بيّن الغلومة والغلومية. وقال ابن منظور: وقيل: هو من حين يولد الى أن يشيب.

لقد أشرنا قبل قليل الى أن القرآن الكريم أتقن فن عرض القصة، ولم يدع للملل طريقاً الى السامع. وفي كل مرة يجد فيها شيئاً جديداً لم يطرق سمعه من قبل، مع بقاء أصل الموضوع. وهذا لا يسمى تناقضاً في عرف المناطقة.

ثم قالوا: ما ضرورة إضفاء تهمة البغاء على نفسها؟ وهنا يظهر الجهل واضحاً وجليّاً. إذ أنها عليها السلام نفت عن نفسها البغاء، وليست أضفته على نفسها. وكيف لا تفعل ذلك ولا تفكر به والمجتمع لا يرحم؟ ثم قالوا: لماذا صار (الولد) الذي ذكر في سورة آل عمران (غلاماً) في سورة مريم؟

وجوابه:

الغلام هو الولد كما عرفت من تعريفيهما. وربما قالت (غلام) بلحاظ أنه سيكبر ويبلغ مرحلة الغلومة. ثم إن هذا الولد سيكون مثار تساؤل الناس عندما يخالطهم من مرحلة الغلومة الى الشيخوخة. مما يسبب لها حرجاً بين

قومها. وهي العابدة المؤمنة التي لم تخالط الرجال. فكان من حقها أن تسأل الملك عن مخاطر هذه الولادة التي ستكون من دون زوج.

الشبهة السابعة:

«جاء في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]. هنا نرى الرب يغفر الذنوب جميعاً فنطمئن الى مستقبلنا عقب الموت، ونحمد الله على رحمته بنا نحن المساكين المثقلين بالخطيئة، ولكن فرحتنا لم تدم إذ يقول في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾[2]».

ردها:

القنوط لغة: قال الراغب القنوط: اليأس من الخير. وجاء في لسان العرب أن القنوط: أشد اليأس من الشيء.

الشرك لغة: قال الراغب: وشرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى... والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق....

إن آية سورة الزمر فيها تعهد واضح من الله الرحيم بعباده. وهو غفران

---

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) النساء: ٤٨.

جميع ذنوب العباد. ولا يكون ذلك إلا وفق حكمته تعالى. وهذا التعهد لا يناقض ما جاء في آية سورة النساء، فالله سبحانه لا يغفر الشرك؛ لأن رحمة الغفران إنما تنزل على أساس العبودية لله. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ولاعبودية مع الشرك، ولكن المشرك إذا تاب وآمن صار مشمولاً بالغفران لتغير الموضوع، وسيتضح ذلك أكثر بعد قليل.

وأما مغفرته لسائر الذنوب والمعاصي التي هي دون الشرك فبشفاعة من جُعلت له الشفاعة من الأنبياء والأوصياء والملائكة والأولياء والأعمال الصالحة وغيرها.

ولكن ورد في رويات المعصومين عليهم السلام أن الله يغفر الذنوب جميعاً مع التوبة حتى من الشرك. فقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا رجلاً من اليهود وهو في السياق الى الإقرار بالشهادتين، فأقرّبهما ومات، فأمر أصحابه أن يغسلوه ويكفنوه، ثم صلى عليه، وقال: «الحمد لله الذي أنجى بي اليوم نسمة من النار[2]».

فظهر أن الله سبحانه لم يتراجع عن تعهده للعباد بالمغفرة مع التوبة التي لا عودة معها الى الشرك والكفر وغيرهما من الذنوب. فأين التناقض المزعوم؟

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الوسائل: باب جهاد النفس، ح٨

الشبهة الثامنة:

«جاء في سورة الأنبياء: ﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[1] أي أن نوحاً وكامل أسرته قد نجوا من الطوفان، ولكن في سورة هود ذكر أن أحد أولاد نوح قد غرق فقال: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[2] وهذا تناقض واضح».

ردها:

الأهل لغة: قال ابن منظور: «وأهل الرجل: أخصّ الناس به... ثم قال: وأهل كل نبي أمته» وقال الراغب: «أهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين».

إذا عرفنا المعنى اللغوي للأهل، يتضح لنا أن ابن نوح عليه السلام وإن كان ولداً صُلبياً لأبيه، ولكن هذا لا يُغلَّب على العلاقة الدينية بين طرفين. فإن الاسلام أعطى للرابطة الدينية أهمية وغلَّبها على الرابطة القبلية والأسرية.

وقد كان أبو لهب عمّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ومع ذلك لما عزف عن الأيمان وتمسك بالشرك خلّد له القرآن الكريم ذمّاً وتقريعاً

---

(١) الأنبياء: ٧٦.

(٢) هود: ٤٣.

يبقيان الى يوم القيامة. وعليه يكون (كنعان) الذي غرق ابنَ نوح نسباً، وليس ابنه عقيدة. وقد علمت أن الرابطة العقدية الدينية أقوى وأهم من الرابطة الأسرية وأعظم من علاقة الأبوة والبنوّة.

ولذا عندما قال نوح عليه السلام مخاطباً ربه في ابنه: ﴿...إِنَّ ٱبْنِى مِنْ اَهْلِى...﴾ أجابه سبحانه: ﴿...إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ اَهْلِكَ...﴾، لأنه لا رابطة له بدين أبيه. وهكذا أمه زوجة نوح التي ما آمنت برسالة زوجها فقد ضرب الله بها مثلاً للذين كفروا. فالذين نجو من الغرق والغضب الإلهي آنذاك من أسرة نوح هم ولده: (حام وسام ويافث) فقط مع جماعة من المؤمنين وهم بالعشرات. فقول الله تعالى في سورة الأنبياء يشير الى الشق الثاني من تعريف الأهل: (أو دين) ثم استثنى سبحانه في سورة هود ابن نوح الذي كان من المغرقين.

والذي يفهم المعنى اللغوي للألفاظ، لاتفوته مثل هذه النكتة إن كان ذا بديهة.

الشبهة التاسعة:

«جاء في سورة البقرة: ﴿هُوَ الَّذى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الاَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ...﴾[1] وجاء في سورة فصلت: ﴿قُلْ اَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الاَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ اَندَاداً ذٰلِكَ

(١) البقرة: ٢٩.

رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ...﴾[١] ومن هذا نعرف أن الله خلق أرضا واحدةً وسبع سموات، ثم يناقض القرآن نفسه ويذكر شيئاً غريباً أنكره العلم تماماً. انظر سورة الطلاق: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...﴾[٢] فمن العاقل الذي يصدق أن هناك سبع كرات أرضية، بعد أن أقر القرآن سابقاً أنها أرض واحدة وسبع سماوات، وفي عصر العلم والفضاء الذي صور كل شيء؟ فما هي تلك الأراضي السبع، وأين تقع؟».

ردها:

الأرض لغة: قال الراغب في المفردات: الأرض: الجرم المقابل للسماء. وجمعه: أرضون، ولا تجيء مجموعة في القرآن. وقال ابن منظور في اللسان: الأرض: التي عليها الناس، أنثى وهي اسم جنس.

السماء لغة: قال الراغب: سماء كل شيء: أعلاه، ثم قال: والسماء المقابلة للأرض: مؤنثة وقد تذكر.

إن قوله تعالى ﴿...مِثْلَهُنَّ...﴾ وإن كان يعني المثلية العددية، ولكنه لا يعني نفس الصورة والشكل. أي أن الأرض ليست مثل السماوات سبع

---

(١) فصلت: ٩ ـ ١٢.

(٢) الطلاق: ١٢.

طبقات، بل كان الشائع بين العرب وقت النزول أن الأرض سبعة أقاليم.

فقد جاء في لسان العرب: «والإقليم واحد أقاليم الأرض السبعة.

وأقاليم الأرض: أقسامها، واحدها إقليم. قال ابن دريد: لا أحسب الإقليم عربياً. قال الأزهري: وأحسبه عربياً. وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم. كل إقليم معلوم، كأنه سمي إقليما، لأنه مقلوم من الإقليم الذي يتاخمه. أي مقطوع. انتهى». وربما أشار إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة وما تحت أفلاكها»[1].

وقد يكون ذلك سابقة جغرافية منه عليه السلام تشير الى القارات السبع التي تم اكتشاف بعضها فيما بعد.

الشبهة العاشرة:

«إن بين آيات سورة الأنعام، وبين آية من سورة النساء تناقضاً واضحاً. حيث قال القرآن في الأنعام: ﴿...ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ اَشْرَكُواْ اَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ اَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى اَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[2]. وقال في النساء: ﴿...يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى

(١) الخطبة: ٢١٥.

(٢) الأنعام: ٢٢ ـ ٢٤.

بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾[1] ففي الأيات الأولى نرى أنهم كتموا، وفي الآية الأخيرة لم يكتموا. وهذا تناقض».

ردها:

الكتمان لغةً: قال الراغب: الكتمان: ستر الحديث، يقال: كتمته كتماً وكتماناً.

وقال في اللسان: الكتمان: نقيض الإعلان.

إن آيات سورة الأنعام تتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، يوم يحشر الله تعالى جميع المشركين، ويسألهم عن شركائهم فيضلون عنهم، ويفقدونهم، فيحلفون بالله كذباً على أنهم ما كانوا مشركين.

أما في سورة النساء فقد حكى الله حال المشركين والكافرين والذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وآله أنهم يودّون أن لو يموتون وتسوى الأرض من فوقهم ولم يبقوا لحظة ولا يكتمون الله حديثاً، لما يشاهدون يوم القيامة من حضور أعمالهم، وشهادة أعضائهم وشهادة الأنبياء، والملائكة وإحاطة الله تعالى بما عملوا وأشركوا.

ولكن هل ينفعهم ذلك وهم في موقف القيامة؟

الجواب: لا ينفعهم ذلك التمني بعد ظهور المساوئ، وقبائح الأعمال وانكشافها. ويؤكد هذا القول أن الله تعالى سيظهر لهم شركاءهم: ﴿وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـؤُلاء شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن

---

(١) النساء: ٤٢.

دُونِكَ...﴾[١] فهل بقي كتمان بعد هذه المكاشفة. نعم هم حاولوا الكتمان ولكن سرعان ما انكشف لهم أنهم لا ستطيعون كتم شيء أمام علم الله عزوجل ـ وقدرته. ثم اعلم أن كتم الشيء عن الله العالم بكل شيء لا يتحقق ولن يتحقق. فالذي يكذب على الله إنما يكذب على نفسه بصريح الآية التي تقدمت.

إذن: الكتمان فى الآيات السابقة لم يتحقق، وفي آية النساء كان الكتمان مجرّد أمنية ولم تتحقق هذه الأمنية. فأين التناقض؟

الشبهة الحادية عشرة:

«جاء في سورة: الحج: ﴿...وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٢] وورد في سورة السجدة: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)[٣] مع أنه ورد في سورة المعارج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤] فما هو الصحيح، ألف سنة أو خمسون؟».

ردها:

العروج لغة : قال الراغب: العروج ذهاب في صعود.. والمعارج:

---

(١) النحل: ٨٦.

(٢) الحج: ٤٧.

(٣) السجدة: ٥.

(٤) المعارج: ٤.

المصاعد. وقال به ابن منظور، وزاد أن المعراج: شبه سلّم أو درجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت.

أشارت الآية: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1] الى أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر من كذبوا بأن الله سبحانه وعد بتعذيبهم إن لم يؤمنوا به، فكانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاءاً به وتعجيزاً له. قائلين: متى هذا الوعد؟ فرد الله عليهم بقوله: ﴿...وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ...﴾ ثم قال: ﴿...وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فحكم الله عزوجل بتساوي اليوم واحد مع الألف سنة عنده، فلا يستقلّ اليوم ولا يستكثر الألف سنة، حتى يتأثر بقصر اليوم الواحد، وطول الألف سنة. فلا يخاف الله الفوت حتى يعجّل لهم العذاب، بل هو سبحانه حليم ذو أناة يمهلهم حتى يستكملوا دركات شقائهم، ثم يأخذهم بما كانوا يكذبون. فالعذاب واقع عليهم لا محالة، حتى ولو بعد ألف سنة من سني الدنيا، فلا يستعجلونه.

والآية الكريمة رد على استعجالهم بأن الله يستوي عنده القليل من الزمان وكثيره. والمراد بالآية الخامسة من سورة السجدة: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ...﴾ أن أعمال الخلائق تُرفع إليه يوم القيامة. وألف سنة كناية عن تطاول الزمن وثقله على العصاة والمجرمين. فهو يوم واحد ولكنهم يرونه كألف سنة لهوله ورهبته.

أما ما أشارت إليه آية سورة المعارج فشيء آخر. وهو أنها أشارت

---

(١) الحج: ٤٧.

الى يوم القيامة على ما يفيده السياق. والمراد بكون مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنة، لأن في يوم القيامة خمسين موقفاً وكل موقف يقف الانسان فيه يعد بألف سنة أي أنه بحيث لو وقع في عالم الدنيا، وانطبق يوم القيامة على الزمان الجاري في الدنيا، لكان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا. وذلك لشدته ومشقته، ولخوف الناس فيه من المصير الذي سيؤولون إليه. فكأنه خمسون ألف سنة لا يوم واحد. فأين التناقض؟

الشبهة الثانية عشرة:

«ورد في جملة من الآيات القرآنية أن الإنسان خلق من تراب: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ...﴾[1] وكذلك في[2]. ولكن جاء في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[3] وفى سورة الصافات: ﴿...إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لازِبٍ﴾[4] أما في سورة الرحمن فقد جاء: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[5] طيب. هل خلق الانسان من تراب أم من طين أم حمأ مسنون أم ماذا بالضبط؟!».

---

(١) فاطر: ١١.

(٢) الروم: ٢٠. الحج: ٥. الكهف: ٣٧.

(٣) الحجر: ٢٦.

(٤) الصافات: ١١.

(٥) الرحمن: ١٣.

ردها:

الحمأ لغة: قال الطريحي في مجمع البحرين: الحمأ: جمع «حمأة» وهو الطين الأسود المتغير. والمسنون: المصوّر، وقيل: المصبوب المفرغ، كأنه أفرغ حتى صار صورة.

الصلصال لغة: قال ابن منظور: والصلصال من الطين: مالم يُجعل خزفاً، سمّي به لتصلصله. وكل ماجف من طين أو فخار فقد صلّ صليلاً... وفي التنزيل العزيز: ﴿...مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ قال هو صلصال مالم تصبه النار، فإذا مسته النار فهو حينئذ فخّار.

الطين اللازب لغة: قال ابن منظور: لزَب يلزُب لزوباً، ولزب: لصق وصلب.

إذا راجعنا الآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان، وجدناها تُرجع عملية الخلق الى مادة أساسية واحدة وهي التراب المعروف، ولكن هذا التراب يتخذ صوراً متعددة وحالات معينة. وفي كل حالة يطلق عليه اسم معين تبعاً لتلك الحالة التي هو عليها.

فمرة أطلق عليه القرآن الكريم اسمه الطبيعي وهو التراب، ومرة قال: صلصال. وقد عرفت أنه الطين الذي أصله تراب، ثم بين صفته فقال: ﴿... حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وهو الطين الأسود المتغير كما جاء في التعريف، ثم ذكر صفة أخرى فقال: ﴿...طِينٍ لاَّزِبٍ﴾ وقد عرفت معنى اللزوب، ثم شبّهه فقال ﴿... كَالْفَخَّارِ﴾ وهو الخزف. وأصول هذه المسميات كلها التراب. ولو أرجع القرآن الكريم مادة صنع الانسان الى معدن من المعادن أو خشب

معين لصح اعتراضهم، أما الأسماء التي ذكروها في الشبهة فكلها تعود الى شيء واحد مع اختلاف صورها وحالاتها. فأين التناقض؟

الشبهة الثالثة عشرة:

«قالوا ارتبك القرآن في وصف عصا موسى فمرة قال: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**﴾[1] وهكذا في سورة الأعراف. مع أنه ورد في سورة النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ...﴾[2] وكذا في سورة القصص. ففي الآية الأولى اصبحت ثعباناً، وفي الثانية مجرد عصا تهتز كأنها جان. والعصا المهتزة بالطبع ليست ثعباناً أليس كذلك؟».

ردها:

الجان لغة: قال الراغب: وقوله تعالى (كأنها جان) قيل ضرب من الحيّات. وقال ابن منظور الجانّ ضرب من الحيات أكحل العينين يضرب الى الصفرة لا يؤذي وهي كثيرة في بيوت الناس. ثم قال: قال الزجاج: المعنى أن العصا صارت تتحرك كما يتحرك الجان حركة خفيفة قال: وكانت في صورة ثعبان. وقال أبو العباس: شبّهها في عظمها بالثعبان وفي خفتها بالجان.

إن عقيدتنا أن عصا موسى عليه السلام قد تحولت الى ثعبان مبين

---

(١) الشعراء: ٣٢.

(٢) النمل: ١٠.

حقيقة، ولكن سحرة فرعون سحروا أعين الناس فتراءت لهم الحبال والعصي التي ألقوها حياتٍ على نحو السحر لا الحقيقة؛ لأنهم عاجزون عن إحالة العصي والحبال الى ثعابين حقيقية، أما الله وهو القادر على كل شيء. فلا يلجأ الى السحر لاستغنائه عنه. فمرة وصف الله تلك العصا الآية بأنها ثعبان، ومرة قال: كأنها جان. والجان حية صغيرة كما عرفت سريعة الحركة. فالثعبان الذي كان بيد موسى عليه السلام عصاً رغم أنه تحول الى ثعبان ضخم إلا أنه كان يتحرك بسرعة وخفة كأنه جانّ. فهل في هذا تناقض؟

الشبهة الرابعة عشرة:

«قال القرآن في سورة الصافات: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤولُونَ﴾[1] أي احبسوهم، وفي الأعراف قال: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[2] ولكن ورد في سورة الرحمن: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾[3] أليس هذا تناقضاً؟».

ردها:

السؤال لغة: جاء في مفردات الراغب: السؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيت.

---

(١) الصافات: ٢٤.

(٢) الأعراف: ٦.

(٣) الرحمن: ٣٩.

والسؤال الذي صرحت به آية الصافات كان عن حال المستكبرين في الدنيا عن طاعة الله، وعن الحق الذي أعرضوا عنه. وهذا الوقوف يكون على صراط الجحيم. والغرض منه سؤالهم عن أمور عقدية وأمور أخرى. وأشارت الآية التي بعدها: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ﴾[١] أي كما كنتم في دار الدنيا تتناصرون على العصيان ونبذ الحق والتزام الباطل. فهم موقوفون ومسؤولون حتماً عن كل ذلك سؤال تبكيت ولوم وتقريع.

وفي آية سورة الأعراف دلالة واضحة على أن الأمم التي أرسل الله إليها رسلاً وأنبياء مسؤولة عن كل شيء كلفت به من الإيمان واتباع الحق وطاعة الرسل، ومسؤولة عن رفض الأنداد لله تعالى. فالناس غير متروكين وما شاؤوا، بل مسؤولون ومحاسبون، كما أن الرسل مسؤولون عن تبليغ رسالاتهم الى الأمم وأداء مسؤولياتهم تجاهها؛ لأن عملية الهداية قائمة على طرفين: الرسول الذي بُعث، والقوم الذين بُعث إليهم.

أما آية سورة الرحمن فقد وصفت حال المجرمين الخائفين. وفيها سؤال إنكاري منفي: (لا يُسأل) وهو النحو المألوف من السؤال ومعناه: يُسأل ـ كما سيجيء في سورة البلد ـ ونفي السؤال هنا لا ينافي إثباته في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾ ولا قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾[٢]. لأن في يوم القيامة مواقف مختلفة. وقد مرّ أنها خمسون موقفاً، يُسأل في بعضها، ويُختم على الأفواه في بعضها، وتتكلم الأعضاء مرة

(١) الصافات: ٢٥.

(٢) الحجر: ٩٢.

وتُعرف الحال من السيماء مرةً أخرى. قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ...﴾[١] وفي بعضها لا يتكلمون إلا بإذنه قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ...﴾[٢]. فلا تعارض بين الآيات لأن السؤال واقع لا محالة. وغاية ما في الأمر أن الانسان لا يُسأل في بعض المواقف. ويُسأل في المواقف الأخرى.

الشبهة الخامسة عشرة:

«قال في سورة الأعراف/٩٧: ﴿...اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ...﴾ وقال في سورة التغابن: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾[٣] أي على قدر طاقتكم. فما هو المطلوب منا بالضبط؟».

ردها: تقيٌّ لغة: جاء في اللسان: قال أبو بكر: رجل تقيّ، ويُجمع أتقياء، معناه أنه موقٍّ نفسه من العذاب بالعمل الصالح. وأصله من وَقَيْتُ نفسي أقيها. وقال عن التهذيب: وإذا قالوا اتقى يتّقي فالمعنى أنه صار تقياً. وعن ابن الأعرابي كما في التهذيب: التُقاةُ والتقية والتقوى والاتقاء كله واحد.

إن الآية التي نسبوها الى سورة الأعراف خطأً، هي في سورة آل

(١) الرحمن: ٤١.

(٢) هود: ١٠٥.

(٣) التغابن: ١٦.

عمران[1]، ولا تعارض بينها وبين الآية المذكورة في سورة التغابن، كما سيتضح.

فالآية الأولى تحذر المؤمنين من فتن أهل الكتاب، وتخبرهم وتذكرهم بأن عندهم ما يعتصمون به، فلا يسقطوا في مكائد أهل الكتاب. وقوله تعالى: ﴿...اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِه...﴾ يعني المطلوب تقوى خالصة من الله لا يشوبها باطل ولا غفلة ولا فساد. وذلك هو محض العبودية لله. وتلك هي الدرجات العليا من درجات الإيمان الذي هو جوهر الإسلام. ولذا قال بعدها: ﴿...وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي دوموا على هذه الحال التي هي (حق التقوى) حتى يتوفاكم ملك الموت.

أما الآية الثانية: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا استَطَعْتُمْ...﴾ ففيها توصية بعدم ترك التقوى في شيء مما تستطيعونه. غير أن الاستطاعة تختلف باختلاف قوى الأشخاص وأفهامهم وهممهم. وقوله تعالى (ما استطعتم) تتلقاه الأفهام المختلفة بمعانٍ مختلفة على حسب ما يطبقه كل فهم على ما يستطيعه صاحبه، ثم يكون ذلك وسيلة ليُفهم من ﴿...اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ أن المراد أن يقعوا في صراط حق التقوى، ويقصدوا نيل هذا المقام، والشخوص والمثول فيه. وذلك نظير الاهتداء الى الصراط المستقيم الذي لا يتمكن منه إلا الأوحديون، ومع ذلك يدعى إليه جميع الناس.

فيكون محصل الآيتين (اتقوا الله...) و(فاتقوا الله...) أن يندب جميع

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

الناس ويدعوهم الى حق التقوى، ثـم يـأمرهم بالـسير الـى هـذا المقـصد مـا قدروا وما استطاعوا. وينتج من ذلك أن يقع الجميع فـي صـراط التقـوى، إلا أنهم في مراحل مختلفة ودرجات مختلفة على طبق ما عنـدهم مـن الأفهـام والهمم، وعلى حسب مايُفاض عليهم من توفيق الله وتأييده.

ومنـه يظهـر أن الآيتين غيـر مختلفتـين بحـسب المـضمون، بـل الآيـة الأولى دعت الى المقصد، والآية الثانية بينت كيفية الـسلوك. فهـل فـي هـذا تناقض؟

الشبهة السادسة عشرة:

«وهذا تناقض واضح بين قوله في سورة النـساء: ﴿...فَـإِنْ خِفـتُمْ اَلاَّ تَعدِلُواْ فَوَاحِدَةً...﴾[1] وبين قوله في السورة نفسها: ﴿وَلَـن تَـسْتَطِيعُواْ اَن تَعدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصتم...﴾[2] طيـب مـرة يقـول نـستطيع أن نعـدل ومرة ينفي ذلك. وطالما لا نستطيع كيف يحق لنا أن نأخذ أربع زوجات؟».

ردها:

العدل لغة: قال الراغب: والعدل ضربان: مطلق: يقتـضي العقـلُ حـسنَه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً. وعدل يُعـرف كونـه عـدلاً بالـشرع ويمكـن أن يكـون منـسوخاً فـي بعـض الأزمنـة، ثـم قـال: وقولـه: ﴿وَلَـن

---

(١) النساء: ٣.

(٢) النساء: ١٢٩.

تَسْتَطِيعُواْ اَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ...﴾ فإشارة الى ما عليه جبلّة الناس من الميل. فالإنسان لا يقدر على أن يسوّي بينهن في المحبة. وقوله: ﴿...فَإِنْ خِفتُمْ اَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً...﴾ فإشارة الى العدل الذي هو القسم والنفقة.

أشارت الآية الثالثة من سورة النساء الى الحرج الذي كان يشعر به المسلمون من تبنّي اليتامى، أو من أموالهم أو حتى من مخالطتهم، والزواج من اليتيمات منهم. فقالت الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء...﴾ أي إن خفتم من عدم القسط ـ العدل ـ مع اليتيمة فانكحوا غيرها من النساء. وخيّرتهم الآية في الزواج ﴿...مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ...﴾ ثم قالت: ﴿...فَإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ تعدِلُواْ فَوَاحِدَةً...﴾ فعلّق الزواج بأكثر من واحدة على الخوف الحاصل من عدم القسط بين النساء. أما الآية الأخرى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ...﴾[1] فقد أشارت الى العدل التقريبي عملاً من غير تحرّج، لا العدل المطلق الحقيقي الواقعي الذي يكون من دون تطرف بلزوم حاق الوسط حقيقة. ولو كان المطلوب هذا النوع من العدل لكان إلغاء تعدد الزوجات من المسلّمات. فتكون عبارة ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ اَن تَعدِلُواْ...﴾ نفياً للعدل المطلق، وأما المشرّع المطلوب فهو العدل التقريبي المادي. ومعه يستطيع الرجل الزواج بأكثر من واحدة. فيكون الجواب عن (نستطيع أم لانستطيع) نعم نستطيع.

(١) النساء: ١٢٩.

الشبهة السابعة عشرة:

«قال محمد في سورة ق: ﴿...فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١] في حين تناقضها سورة الشورى ﴿...خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ...﴾[٢] ثم ناقضتها سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[٣] ثم ناقضتها سورة طه مرة ثانية: ﴿...وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[٤]».

ردها:

الطرف لغة: قال الراغب: وطرف العين: جفنه، والطرْف: تحريك الجفن، وعبّر به عن النظر إذا كان تحريكُ الجفن لازمُه النظر. وقال ابن منظور: الطرْف تحريك الجفون في النظر. يقال شخص بصرُه فما يطرف.

الزرقه لغة: قال ابن منظور نقلاً عن ابن سيده: الزرقة: البياض حيثما كان.

هذه الآية: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٥] خاطبت الإنسان الغافل عن حقيقة المعاد،

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) الشورى: ٤٥.

(٣) طه: ١٢٤.

(٤) طه: ١٠٢.

(٥) ق: ٢٢.

المنشغل بنعيم الدنيا، خاطبته بلسان التوبيخ والتقريع. واسم الإشارة (هذا) يشير الى ما يشاهده المنكِر، ويعاينه من تقطّع الأسباب ورجوع الكل الى الله الواحد الأحد، فقالت: (لقد كنتَ) في الدنيا (في غفلة) أحاطت بك (من هذا) الذي تشاهده عياناً. إذ كان تعلقك بذيل الأسباب المادية الدنيوية قد أذهلك وأغفلك عنه. (فكشفنا عنك غطاءك) أي أزلنا كل شيء كان يُلهيك ويَشغلك (فبصرك) والمراد منه البصيرة وعين القلب (اليوم) وهو يوم القيامة (حديد) أي نافذ يبصر ما لم يكن يبصره في الدنيا. أي صرتَ تدرك ما كنت عنه في غفلة، ولكن بعد أن كشف الله عنك غطاء الغفلة التي تستلزم وجود شيء مغفول عنه، واجهت الحقيقة وهي أمام عينيك الآن.

أما الآية: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ...﴾[1] فقد تحدثت عن مشهد من مشاهد يوم القيامة. وذلك لمّا يرى الظالمون العذاب رأي العين، بعد عرضهم على النار خاشعين، فينظرون إليها من طرفٍ خفي. كمن يُقدّم الى القتل فهو ينظر الى السيف من طرْف خفي. وهؤلاء كذلك ينظرون الى النار، ولكن لا يريدون أن يمتلئ بصرهم منها؛ لأنها العذاب والمصير الذي صاروا إليه.

وأما الآية (ومن أعرض): فقد أكدت أن الذي يُعرض عن ذكر الله وينساه فإن ذلك سيكون سبباً لضنك الحياة البرزخية وعذاب القبر، وبالنتيجة يكون سبباً لدخول النار يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿...وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ معناه أنه لا يهتدي ولا يصل الى دار السعادة وهي

---

(١) الشورى: ٤٥.

الجنة. والعمى هنا عمى البصيرة وسلب الهدى، لا عمى الحس؛ لأن المجرمين يبصرون يوم القيامة الأهوال والآيات العظيمة والعذاب الأليم. قال تعالى: ﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا...﴾[1].

أما الآية: ﴿...وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[2] أي أن هؤلاء المجرمين لمّا رأوا العذاب رأي العين، وشاهدوا أهوال يوم القيامة، تغيرت وجوههم ومالت ألوانهم وألوان أجسامهم الى الزرقة بسبب الهلع الذي أصابهم. ولعل ذلك من احتباس الدم في عروقهم. وقد عرفت أن الزرقة بياض حيثما كان. والعرب تسمي الأسنة زرقاً للونها. فأين التناقض الذي طبّلتم له؟

الشبهة الثامنة عشرة:

«قال في سورة الرعد: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3] وقال في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾[4] طيب. وجل أم طمأنينة؟!».

---

(١) السجدة: ١٢.

(٢) طه: ١٠٢.

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) ـ الأنفال: ٢.

ردها:

الذكر لغة: قال في اللسان عن أبي العباس: الذكر الصلاة والذكر قراءة القرآن والذكر التسبيح والذكر الدعاء والذكر الشكر والذكر الطاعة، ثم قال: وقد تكرر ذكرُ الذكر في الحديث ويراد به تمجيد الله وتقديسه وتسبيحه وتهليل والثناء عليه بجميع محامده.

الوجل لغة: قال بن منظور: الوجل: الفزع والخوف، وَجِل وَجَلاً بالفتح. وفي الحديث: وعظنا موعظةً وجِلَت منها القلوب.

في الآية الأولى بيان لاطمئنان القلوب بذكر الله. والاطمئنان هو الاستقرار والسكون. وجملة ﴿...وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ...﴾ جاءت عطفاً تفسيرياً على جملة (الذين آمنوا) فإن الإيمان يلازم اطمئنان القلب بذكر الله سبحانه، الذي يصاحبه شعور النفس بما أمّنه الله لها من رزقٍ وعافيةٍ وأمنٍ وجنةٍ وخلود. وهذا لا ينافي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ فإن الوجل المذكور يعبّر عن حالة قلبية متقدمة على الاطمئنان المذكور في آية سورة الرعد. قال تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ اَحسَنَ الْحَدِيث كتَاباً مُتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ منْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ...﴾[١]. فذكر الله يعقبه الوجل المشار إليه مرة وذلك عندما يتذكر الانسان غضب ربه وعقابه، فيخاف ويوجل قلبُه، ومرة يطمئن بذكر الله تعالى ويسكن ما فيه من قلق

(١) الزمر: ٢٣.

واضطراب عندما يتذكر رحمة ربه التي وسعت كل شيء. ولهاتين الحالتين النفسيتين كليهما باعث مستقل. فأين التناقض؟

الشبهة التاسعة عشرة:

«قال في سورة الكهف: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ اَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ اَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الاَوَّلِينَ اَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قبلاً﴾[1] أي يأتيهم العذاب عياناً، أي أنه حصر المانع من الإيمان في أحد اثنين، بينما هو يحصره في شيء مغاير في سورة الإسراء: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ اَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ اَن قَالُواْ اَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾[2] أليس هذا تناقضاً؟».

ردها:

الهدى لغة: قال الطريحي في المجمع: الهدى: الرشاد والدلالة والبيان.

وجاء في اللسان: الهدى: ضد الضلال وهو الرشاد.

إن الهدى المشار إليه في الآيتين يعني الشريعة النازلة من الله - عزوجل - وفي سورة الكهف بيان لامتناع الكفار من الإيمان رغم ما تقدم من التحذير والإنذار وضرب الأمثلة وإظهار المعجزات. فهم لا يطلبون في الواقع إيماناً ينفعهم، وانما يريدون بعنادهم هذا أن يأخذهم عذاب

(١) الكهف: ٥٥.

(٢) الإسراء: ٩٤.

الاستئصال على سُنة الأمم السابقة التي عوقبت عقاباً جماعياً فهلكت، أو يريدون أن يقابلهم العذاب عياناً فيؤمنوا اضطراراً، فلا ينفعهم ذلك الإيمان حينئذ؛ لأنه إيمان بعد مشاهدة العذاب والبأس الإلهي. قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ الله الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِه﴾[1]. فالايمان والتوبة بعد مشاهدة العذاب لاينفع كإيمان فرعون بعدما رأى الموت بعينيه، وأيقن أنه الآن في قبضة الله وبأسه. ومحصلة الآية: أن هؤلاء الكفار غير جادّين في أمر هدايتهم ومصيرهم. فكان اليأس من هدايتهم أقرب منه الى الهداية. فقال تعالى: ﴿...وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾[2]. وليس كما ورد في الشبهة أن الله حصر عدم الايمان في سببين هما: العقاب الجَماعي، أو الإيمان بعد المشاهدة. وإنما عرضت الآية (٥٥) واقع هؤلاء بأنهم غير واقعين، وغير طالبين مصيراً مشرفاً وسعادة أبدية. فلا يؤمنون برسالة النبي. فهم مطبوع على قلوبهم ولا يهتدون أبداً.

وفي آية سورة الإسراء عرض آخر لحالة عدم الإيمان والتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وهي أن (الناس) الواردة في الآية تعني الوثنيين الذين كانوا يثبتون الإله، ولكنهم ينكرون النبوة والرسالة وقوله (ومامنع الناس أن يؤمنوا) أي الإيمان بالرسول، فقالت: ما منع الوثنيين ـ وكانت عامة العرب منهم يومئذٍ ـ أن يؤمنوا بالرسالة المحمدية، إلا

(١) المؤمن: ٨٥

(٢) الكهف: ٥٧.

إنكارهم لرسالة البشر أي يرفضون أن يكون النبي بشراً. ولذلك كانوا يردون على رسلهم دعوتهم. وقد حكى الله ـ عزوجل ـ قولهم: في سورة الإسراء: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى الاَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾[1].

فالآية منصبة على إنكار هؤلاء الوثنيين وعنادهم. كيف يكون الرسول بشراً؟! فردهم الله بأن العناية الإلهية قد تعلقت بهداية أهل الأرض، ولايكون ذلك إلا بوحي سماوي الى بشر مثلهم. ولا غنىً عنه بملَك ينزل من السماء مختلف عنهم. فأين الحصر المدّعى وأين التناقض؟

الشبهة العشرون:

«ذكر في سورة الأنعام وفي غيرها: ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى الله كَذباً... ﴾[2] وجاء في سورة الزمر: ﴿فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى الله... ﴾[3] وهو يناقض ما جاء في سورة الكهف: ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بآيَات رَبِّه فَاَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ... ﴾[4] ثم يناقضه ماجاء في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجدَ الله...﴾[5] الى غير ذلك.

---

(١) الإسراء: ٩٥.

(٢) الأنعام: ٩٣.

(٣) الزمر: ٣٢.

(٤) الكهف: ٥٧.

(٥) البقرة: ١١٤.

فالمراد بالاستفهام هنا النفي. والمعنى: لا أحد أظلم، فيكون خبراً. وإذا كان خبراً وأخذت العبائر بنظر الاعتبار أدى ذلك الى التناقض».

ردها:

افترى لغة: قال في اللسان: افتراه: اختلقه، ثم قال: وفي التنزيل العزيز: ﴿اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ...﴾ أي اختلقه، والاسم الفرية.

الظلم لغة: قال الراغب: والظلم عند أهل اللغة وكثيرٍ من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصانٍ أو بزيادة، وإما بعدولٍ عن وقته أو مكانه. ثم قال: الظلم ثلاثة: الأول: ظلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشرك والنفاق. والثاني: ظلمٌ بينه وبين الناس. والثالث: ظلمٌ بينه وبين نفسه.

اشتملت آية سورة الأنعام على موارد ثلاثة من الظلم هي من أشد مراتبه التي لا يرتاب العقل البشري في شناعتها وفضاعتها. وقد وردت كلها في سياق الاستفهام وهي:

أ ـ قوله تعالى ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِباً...﴾ وافتراء الكذب على الله ـ عزوجل ـ هو أول المظالم المعدودة. والافتراء هنا هو دعوى الشريك لله سبحانه.

ب ـ قوله ﴿...اَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ...﴾ أي يا محمد صلى الله عليه وآله قل لهم: كيف يسوغ لي أن أدعي النبوة وأقول أوحي إلي إن كنتُ لستُ نبياً يوحى إليه؟

جـ ـ قوله ﴿...وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثلَ مَا اَنزَلَ اللّهُ...﴾ يعني وكيف

يجوز لقائل أن يقول سأنزل مثل ما أنزل الله وهو يسخر من حكم الله، ويستهزئ بآياته. وفي هذا المقطع من الآية إشارة الى قول صدر من أحدهم وهو عبد الله بن أبي السرح ـ على الأرجح ـ الذي استهزأ بالقرآن الكريم حيث نسبه الى الله بالنزول ثم وعد الناس مثله بالإنزال.

وفعل هذه المظالم الثلاث من أكبر الظلم، لأنها وقعت في جنب الله. والظلم يعظم بحسب متعلقه الواقع عليه.

أما آية سورة الزمر فقد أشارت الى ذكر ما ينتهي إليه أمر الذين يختصمون يوم القيامة، وبينت نتيجة القضاء بينهم. كأنه قيل: ونتيجة ما يُقضى بينكم معلومة؛ لأن القضاء يومئذ يدور مدار الظلم أو العدل. والافتراء على الله ظلم. والظلم الى النار. وكان افتراؤهم أن ادّعوا أن لله شريكاً. ومفتري هذا أظلم من كل ظالم، لأنه ظلمَ اللهَ تعالى.

وفي آية سورة الكهف إعظام وتكبير لظلمهم. وهو الإعراض عن دعوة الحق، والتشاغل بعدم المبالاة بها مع علمهم بأنها الحق. وقد نسوا كل ذلك الإعراض والتشاغل. وذلك قوله تعالى ﴿...وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ...﴾.

وأما آية سورة البقرة ففيها إشارة الى كفار مكة، حيث منعوا المسلمين بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة من الصلاة في المساجد التي اتخذوها بفناء الكعبة، ومن إقامتها في المسجد الحرام أيضاً. ولا تناقض بينها وبين ما تقدم من آيات؛ لأن منع الصلاة في المساجد إماتة لدور المسجد في الإسلام. حيث إن أبرز عمل فيه إقامة الصلاة. ومنعها عين الظلم. إذن هذه الآية تتحدث عن ظلم آخر صدر من ظالمين ومنكرين

لرسالة النبي صلى الله عليه وآله ومعاندين ومستهزئين وكاذبين. فأين التناقض الذي تزعمون؟

الشبهة الواحدة والعشرون:

«﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[1] فأخبر أنه لا يقسم، ولكنه رجع وأقسم به في سورة التين: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾[2]. فإن لم يكن هذا تناقضاً فكيف يكون التناقض؟».

ردها:

القسم لغة: قال ابن منظور: والقَسَم بالتحريك: اليمين، ثم قال: أقسمت: حلفت، وأصله من القَسَامة. وقال: وقاسَمَهما أي حلف لهما. والقسامة: الذين يحلفون على حقهم ويأخذون.

إن التناقض الذي ادعوه راجع الى عدم فهم لغة العرب، وعدم فهم المطلب بشكل جيد. وذلك لنزوع أنفسهم لتسجيل هفوة في كتاب الله المجيد.

ونقول: إن المراد من (البلد) في الآيتين هو مكة المكرمة. وحرف (لا) في الآية الأولى ليس لنفي ما بعده؛ لأنه زائد فيكون نافياً لما قبله من كلام مقدر محذوف. والمعنى: أقسم، كما في سورة القيامة: ﴿لاَ أُقْسِمُ

(١) البلد: ١.

(٢) التين: ٣.

بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[(١)] وقوله: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ...﴾[(٢)]، وقوله: ﴿فَلاَ أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[(٣)]. أي أقسم بمكة في حال كونك فيها. وفيه تنبيه على تشرف مكة بحلوله صلى الله عليه وآله فيها.

زد على ذلك فإنها مسقط رأسه وموطنه ومبدأ دعوته. وجملة ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ اعتراضية بين القسم والمقسم به. وفيها إشارة الى المكابدة والمعاناة التي تحملها. وأن مثله صلى الله عليه وآله على عظيم حرمته يُستحل بهذا البلد. إذ كان قومه في مكة يحرمون قتل الصيد وخضد الشجر وغير ذلك، إلا أنهم يستحلون الجرأة عليه وإخراجه وقتله.

أما في سورة التين فقد جاء بيان لشرف مكة وكون البلد الأمين الذي فيه كل حيوان وإنسان آمن، حتى الشجر. والأمن من خواص الحرم الذي فيه مكة. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً...﴾[(٤)]. وفي دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام حسب ما حكى الله عنه: ﴿...رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً...﴾[(٥)]. فأقسم الله بالبلد الذي هو مكة في الآيتين. فلا تناقض.

---

(١) القيامة: ١.

(٢) المعارج: ٤٠.

(٣) الواقعة: ٧٥.

(٤) العنكبوت: ٦٧.

(٥) البقرة: ١٢٦.

الشبهة الثانية والعشرون:

«قال في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[1] والمبين هو الذي لا يحتاج الى تأويل، لكنه يقول في سورة آل عمران: ﴿...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾[2] طيب. مبين أم غير مبين، قابل للتفسير والتأويل أم لا؟ وإن لم يكن كذلك فما جدوى نزوله، ومن العالم بالتأويل، ومن يقول هذا التأويل هو السليم، وماذا لو اختلف التأويل؟».

ردها:

المُبين لغة: قال ابن منظور: (حم والكتاب المبين) أي والكتاب البيّن، وقيل معنى المبين: الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة. وقال: قال الزجّاج: بان الشيءُ وأبان بمعنى واحد. ويقال: بان الشيء وأبنته. فمعنى مبين أنه مبين خيره وبركته، أو مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام، ومبين أن نبوّة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله حق، ومبين قصص الأنبياء.

---

(١) النحل: ١٠٣.

(٢) آل عمران: ٧.

إن في آية سورة النحل رداً على قول المشركين الذين قالوا عن النبي صلى الله عليه وآله: (إنما يعلمه بشر) ويظهر من هذا الرد أنهم أضافوا التعليم الى رجل معين هو (أبو فكيهة) مولى بني الحضرمي.

وكان رومياً، أسلم وصار يدخل على النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يعلّمه هذا. فقالت الآية الكريمة: إن هذا الرجل أعجمي يعجز عن الإفصاح عما يريد. وهذا القرآن ذو فصاحة وبيان، فكيف يمكن أن يصدر عن أعجمي؟ وقد ردّد هذا الافتراء أعداءُ الاسلام منذ حياة الرسول صلى الله عليه وآله وما زالوا يرددونه. ومازال كثير من المبشرين يجترّون هذه التهمة جاهلين أو متجاهلين. إذن: الآية جاءت في معرض الرد على هؤلاء.

أما قوله تعالى: ﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ...﴾ فجاء فيها ذكر الزيغ ومعناه هنا: الميل والانحراف عن الحق. و﴿...ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ...﴾ فيه إشارة الى أن اصحاب المقاصد والمفاسد يطلبون المتشابه، ويؤوّلونه تأويلاً باطلاً، ليفتنوا الناس عن دين الله تعالى. وأنت تعلم ـ عزيزي القارئ ـ أن بداية سورة آل عمران الى نيف وثمانين آية منها نزلت في وفد نصارى نجران. وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد ورد في الآية ﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ...﴾ أي أن الله حكيم لا يخاطب الناس بأشياء لا يفهمونها أو لا يريد أن يفهموها. ومعنى هذا المقطع من الآية أن الله يعلم تأويله والراسخون في العلم أيضاً يعلمون تأويله. وهنا نقطة لابد من بيانها لدفع الشبهة. وهي:

إن الله أنزل كتابه المجيد الى الناس ولم يكتفِ بذلك؛ لأن عقول

البشر وإدراكهم ووعيهم غير متكافئ، فيحتاجون الى جانب القرآن من يفسره لهم، ويبين مضامينه ومفاهيمه. ولذا ورد في الحديث الشريف: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) فكتاب الله وحده لا يكفي، كما لا تكفي العترة وحدها. وفي رواية عن الامام الصادق عليه السلام: (نحن الراسخون في العلم) وفي رواية أخرى: (الراسخون في العلم هم آل محمد) وهنا يوضّح كل واحد منهما الآخر ـ القرآن والعترة ـ وتأويل كل شيء فيه عند أهل البيت عليهم السلام وتأويلهم لا يختلف؛ لأن منهل علمهم واحد وهو رسول الله صلى الله عليه وآله الذي (لا ينطق عن الهوى). وبعد هذا البيان يصبح كل متشابه في القرآن مبيناً ببركة العترة الطاهرة التي هي عدل الكتاب. أما لو قالوا: لماذا جعل الله في القرآن آيات محكمات يفهما الجميع وآيات متشابهات لا يفهمها الا الراسخون في العلم، ولم يجعلها واضحة يستوي في فهمها العالم والجاهل؟ فجوابه:

إن دعوة القرآن موجهة الى العالم والجاهل والذكي والبليد. ومن مقتضيات الحكمة جعل بعض الآيات ظاهرة المعنى دون بعض. زد على ذلك أن الله تعالى أراد رجوع الأمة في أمور دينها ودنياها الى العترة. ففيها القيادة ومنها العلم، وعليها يقع عاتق البيان والكشف عن مضامين القرآن الكريم ومن أخذ من غير العترة فقد زاغ وانحرف.

الشبهة الثالثة والعشرون:

«جاء في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مما فِى الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1] وقوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. وجاء في سورة الأعراف: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3]. وهذا هو القول الحق فجميع الأديان تعترف بأن الفحشاء هي من عمل روح الشر، أو ما نسميه بالشيطان. لكن اسمع ما يقول في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[4] والأمر بالفسق هو أمر بالفحشاء، وإهلاك القرية من أجل أن مترفيها فسقوا فيها ـ كما أمروا ـ هو ظلم محض، لايمكن أن يرتكبه الله. وانظر ما يقول في سورة الأنعام: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا

---

(١) البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) البقرة: ٢٦٨.

(٣) الأعراف: ٢٨.

(٤) الإسراء: ١٦.

غَافِلُونَ﴾(١) أين العقل الذي يصدق أن الله يهلك الناس بتلك الوسائل الدنيئة، فيأمر بالفسق والفحشاء للوصول الى ما يريد؟ وقد يكون جائزاً لنا أن نقول: تخلينا عنها وتركناها لمترفيها ففسقوا فيها. أما أن يأمر الله مترفيها فيفسقوا فيها فهذا غير لائق بالمرة، لأن الله لا يأمر بالفحشاء كما ذكر في سورة الأعراف».

ردها:

الفحشاء لغة: قال الراغب: الفُحش والفحشاء والفاحشة: ما عظُم قُبحُه من الأفعال والأقوال. وقال ابن منظور نقلاً عن ابن سيده مثل ذلك. وجمع الفاحشة: فواحش.

الترف لغة: قال في اللسان: الترف: التنعّم... المترف: المتنعّم المتوسّع في ملاذّ الدنيا وشهواتها، ثم قال: وقوله تعالى: ﴿...إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا...﴾ أي أولو الترفة، وأراد رؤساءها وقادة الشرّ.

الفسق لغة: قال ابن منظور: الفسق: العصيان والترك لأمر الله ـ عزوجل ـ والخروج عن طريق الحق، ثم قال: وقيل: الفسوق: الخروج عن الدين، وكذلك الميل الى المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربه.

لقد سمحت آية سورة البقرة، للناس أن يأكلوا من هذه الأرض ما هو حلال طيب. والحلال المسموح يقابله الحرام الممنوع اقتحامه. والطيب هو ما يلائم النفس، كالطيب من القول لملائمته السمع، والطيب من العطر ما يلائم الحاسة الشامّة. وخطوات الشيطان هي الأمور التي نِسبتها الى غرض

(١) الأنعام: ١٣١.

الشيطان ـ وأشدها الإغواء بالشرك ـ كنسبة خطوات الماشي الى مقصده وغرضه.

وأما الآية التي تلتها فقد أشارت الى نتائج اتباع خطوات الشيطان التي منها: أمره لكم بالسوء والفحشاء، ومنها: أن تقولوا على الله مالا تعلمون. والسوء: كل ما يغمّ الانسان من الأمور الدنيوية والأخروية، ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية. من فوات مال وجاهٍ وفقد حميم. فخاطبت الآية وحذرت المخاطبين من أن الشيطان يكيد لكم، وذكرت لهم ثلاثة أمور خطيرة هي: سوء، وفحشاء، وقول بغير علم، مصدرها الشيطان.

أما الآية (٢٦٨) البقرة. فبعدما تقدم عليها من الحث على الإنفاق من طيبات ما كسبوا جاءت لتحذرهم من الشيطان الذي يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء، أي أن اختيار خبيث المال للإنفاق ليس فيه خير للمنفقين. بخلاف طيّبه. فالشيطان يخوف أولياءه من الفقر إذا انفقوا. والله يعدهم مغفرةً منه ويزيدهم فضلاً ورفعة. وعطاء الله واسع وهو بكل منفق عليم. وفي هذا المقطع من الآية إشارة الى أن تخوفهم من الفقر الذي يعدهم به الشيطان ضلالٌ فكري، وأن مغفرة الله والزيادة التي ذكرها في الآيات السابقة: ﴿مَثَلُ الذينَ يُنفقُونَ اَموالَهُمْ في سَبيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابلَ في كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعفُ لمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسعٌ عَليمٌ﴾[١] إن هذه الزيادة في البذل جاءت عن طيب نفس، ومن طيّب المال ولم تأت اعتباطاً.

---

(١) البقرة : ٢٦١.

ولننتقل الى آية الأعراف ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً...﴾ لنرى أنها تتحدث عن طواف أهل الجاهلية بالبيت الحرام عُراةً. يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا، ولا نطوف بثيابنا التي قارفنا فيها الذنوب وارتكبناها. وكان هذا العمل لم يزل فيهم الى أن منعهم منه الرسول صلى الله عليه وآله بعد الفتح. حين بعث علياً عليه السلام بآيات البراءة الى مكة. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسائر المسلمين يعيبونهم على ذلك فيعتذرون إليهم بقولهم ﴿...وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ اَمَرَنَا بِهَا...﴾ فرد الله تعالى عليهم وذمّهم بقوله: ﴿...إِنَّ اللّهَ لاَ يَاْمُرُ بِالْفَحْشَاء...﴾ أي أن ما نسبتموه الى الله محضُ افتراء. وواقعه فحشاء تمارسونها بعنوان العبادة! والله يحاسب عليه أشد الحساب. قال تعالى: ﴿إِنَّ الذينَ يُحِبُّونَ اَن تَشيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ اَليمٌ...﴾[1] فكيف تكذبون على الله وتنسبون إليه خطاياكم وعيوبكم؟ ﴿...اَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ والقول من غير علم عيبٌ آخر.

ثم انتقلت الشبهة الى أمر غريب لا صلة له بما نحن فيه، لا من بعيد ولا من قريب، ولا أظن أن الذي أثار هذه الشبهة جاهل الى هذا الحد، إلا أن يكون متجاهلاً متظاهراً بالبلادة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا اَرَدْنَا اَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا...﴾[2] قال ابن عرفة: المترف: المتروك يصنع ما يشاء ولا يُمنع منه.

---

(١) النور: ١٩.

(٢) الإسراء: ١٦.

وقال: التدمير: الإهلاك، والدمار: الهلاك.

وقوله: (إذا أردنا أن نهلك قرية) معناه: إذا دنا وقت هلاكهم. من قبيل قولك: إذا أراد المريض أن يموت، كان كذا. ولا يكون ذلك إلا بعد تحقق الأسباب المقتضية للإهلاك ومنها: الترف بالنعمة، والطغيان فيها، واستعمال النعمة في المعصية. فإذا صدر منهم ذلك ﴿...أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا...﴾ والأمر هنا مجازي لا حقيقي؛ لأن الله لم يقل لهم افسقوا. وقد مرّ بنا ﴿...إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحشَاء...﴾ ولكنه أمر مجازي. ووجهه: أنه تعالى صبّ عليهم النعمة صبّاً، فجعلوها ذريعة الى الإكثار من المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب زيادة النعمة. والواقع إنما خولهم الله فيها ليشكروا ويتمكنوا من الإحسان والبر، وأراد منهم إيثار الطاعة على المعصية. ولكنهم آثروا الفسوق. فلما فسقوا حق عليهم (القول) وهو كلمة العذاب، فدمرهم تدميراً.

فليس كما قالوا: إن الله أمرهم بالفسق. والفسق فحشاء. وبهذا يكون الله خالف ما قاله في الآيات المتقدمة.

وكان على هؤلاء ألا يفضحوا أنفسهم بمواجهة القرآن الكريم؛ لأنهم إما في غاية الجهل فلا يفقهون حديثا، وإما هم خبثاء غايتهم التشويش على عقيدة المسلمين بكتاب ربهم.

الشبهة الرابعة والعشرون:

«في سورة يونس: يخاطب الرب فرعون بعد أن طارد اليهود حتى بلغوا البحر، وقبل أن يغرق هذا الطاغية مع الغارقين. يخاطبه الرب قائلاً: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً...﴾[١] ويترتب على هذا أن الله نجّى فرعون من الغرق... طيب، لكنه يقول في سورة القصص: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ...﴾[٢] ويقول في سورة الإسراء: ﴿...فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً﴾[٣] ويقول في الزخرف: ﴿...فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤] فأي القصتين نصدق؟ هل أغرق الله فرعون في البحر، أم أنقذه ليتركه آية لمن يريد أن يتعظ؟».

ردها:

البدن لغة: قال الراغب: البدن: الجسد، ثم قال: وقوله تعالى: (فاليوم ننجيك ببدنك) أي: بجسدك، وقيل: يعني بدرعك. فقد تسمى الدرع بَدَنة لكونها على البدن، كما يسمى موضع اليد من القميص يداً، وموضع الظهر والبطن ظهراً أو بطناً.

وجاء في لسان العرب: بدن الإنسان: جسده.

---

(١) يونس: ٩٢.

(٢) القصص: ٤٠.

(٣) الإسراء: ١٠٣.

(٤) الزخرف: ٥٥.

النبذ لغة: قال ابن منظور: النبذ: طرحك للشيء من يدك أمامك أو وراءك نبذت الشيء أنبذه نبذاً: إذا ألقيته من يدك.

زعموا أن تناقضاً تحقق بين آية سورة يونس ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ...﴾ وبين الآيات ٤٠ / القصص، و١٠٣/ الإسراء، و٥٥ / الزخرف، ولم يفرقوا بين البدن والروح. باعتبار أن الانسان مكون من روح سماوي وبدن أرضي. والبدن هو الذي تلجه الروح. والآية الأولى صريحة في بيان نجاة فرعون أنها كانت ببدنه من دون روح؛ لأن الروح توفّاها الله بالإغراق إذ قال تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾[1] والنفس هي الروح. والانسان محل اتحاد الروح والبدن. وبالروح تتحقق للإنسان إنسانيته. والآية صريحة في ذلك. ولا أعتقد أن من له ذرة من العلم والفطنة يلتبس الأمر عليه. ففرعون كان من المغرقين حتماً، كما أخبرت عن ذلك سورة الاسراء القصص والزخرف، ولم ينج من الموت المحتوم عليه وعلى جنوده، ولكن ألقاه الموج الى الساحل ليكون عبرة لمن يأتي بعده، فيتعظ بمصير من كان يقول: أنا ربكم الأعلى مستكبراً على عباد الله. ويرى ذاك الذي كان يذبح الأبناء ويستحيي النساء ملقىً اليوم على الأرض لا قيمة له، ولا يمثل خطراً على أحد.

ولو كان الله قد أنجاه بروحه وبدنه، وبقي حيّاً ـ كما اشتبه مثيرو هذه الشبهة ـ لكان انتصاراً لفرعون، لأنه لم تؤثر فيه أية قوة حتى رب العالمين، ولثبت أنه لا يضرّ به أحد.

---

(١) الزمر: ٤٢.

الشبهة الخامسة والعشرون:

«قال في سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ...﴾[1] ويفهم من هذا الكلام أن فرعون لم يأمر بقتل أبناء اليهود إلا بعد ما جاءهم موسى بالحق. ولكنه يقول في سورة طه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾[2] ومعنى هذا أن فرعون أمر بقتل أبناء اليهود. وموسى لما يزل طفلاً، ولم يأت الوحي بعد. بينما في النص السابق أمر بقتلهم حين جاءه موسى وهو شاب قوي البنيان مكتمل الرجولة وداعياً لربه بلسان فصيح لا لسان طفل. فأي النصين نصدق أم أن هناك أكثر من موسى وأكثر من مجزرة بحق اليهود؟».

ردها:

السحر لغة: قال ابن منظور: السحر: الخديعة ، ثم قال: والسحر: الفساد وطعام مسحور إذا أُفسد عمله. وقال الراغب: والسحر يقال على معانٍ:

الأول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها. نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأنظار عمّا يفعله لخفة يد.

---

(١) غافر: ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) طه: ٣٨ ـ ٣٩.

الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه. ومن أراد التوسع فليراجع الراغب مادة: سحر.

الوحي لغة: قال في اللسان: «الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته الى غيرك. ثم قال: وأوحى إليه: بعثه. وأوحى إليه ألهمه» فيكون منه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾[1].

جاء في سورة غافر (المؤمن): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا...﴾[2] وبدأوا من هنا بمغالطة واضحة وهي قولهم: إن فرعون لم يأمر بقتل أبناء بني إسرائيل إلا بعد ما جاءه موسى بالحق.

ولكن الصحيح أن هناك أمرين صدرا من فرعون بقتل أبناء اليهود. وسيتضح ذلك.

إن فرعون ملكٌ مصري وثنيٌ قبطي كان يبغض بني إسرائيل بغضاً لا يوصف وكان يستضعفهم أيضاً، ويستعبدهم الى درجة أنه أمر بقتل كل مولود ذكرٍ منهم بقصد إبادتهم وذلك لما قال له المنجمون: إنه سيولد مولود تكون نهايتك ونهاية ملكك على يديه. وفي هذا الظرف الشديد ولد موسى عليه السلام أي: أنه ولد محكوماً عليه بالإعدام مسبقاً، لأنه مشمول بقرار القتل العام للأطفال الذكور. ولما كانت العناية الإلهية متعلقة بحفظ موسى عليه السلام رغم إرادة الطاغية خلاف ذلك، أوحى الله تعالى الى أم

---

(١) النحل: ٦٨.

(٢) غافر: ٢٣.

موسى أن تضعه في صندوق وتلقيه في النيل لتكون هذه الخطوة الأولى من عملية حفظ موسى عليه السلام من كيد فرعون. وقد تم ما أراد الله لا ما أراد فرعون، وبقي موسى عليه السلام سالماً حتى كبر وتزوج إحدى بنات شعيب عليه السلام ثم عاد الى مسقط رأسه. وفي الطريق اختاره الله نبيا ورسولاً الى فرعون وملأه. هنا تبدأ قصة موسى عليه السلام مع فرعون، ولكن بشكل آخر، لم يكن موسى فيه مستضعفاً، بل قوياً مؤيداً بالمعجزات والتسديد الإلهي. وكان الى جانب فرعون وزيره هامان ووزير ماليته قارون وهو أحد طغاة بني إسرائيل. وكان على الخزائن المليئة بالثروة. ولما عرض موسى دعوته على فرعون ليؤمن، لم يؤمن، ولكن آمن به بعض بني إسرائيل المستضعفين المغلوبين على أمرهم، فأشار قارون على فرعون بقتل بني إسرائيل المؤمنين مع أبنائهم. أي أن قراراً خاصاً صدر بقتلهم. وذلك بعد القرار العام بقتل أبناء بني إسرائيل الذي كان قبل دعوة موسى عليه السلام فأين التناقض بين الآيتين.

الشبهة السادسة والعشرون:

«قال في سورة البقرة: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾[1] وبالمناسبة هذا ما يرفعه الأشياخ في معرض الدفاع عن الإسلام والتبجّح بسماحته. لكن في السورة نفسها يقول ربك: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ

(١) البقرة: ٢٥٦.

تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ...﴾[1] والمراد بالفتنة هنا كل دين يخالف الاسلام».

ردها:

الإكراه لغة: قال الراغب: والإكراه يقال في حمل الإنسان على ما يكرهه. وقال ابن منظور ما هو شبيه به: وأكرهته: حملته على أمرٍ هو له كاره.

الرشد لغة: قال ابن منظور: الرُشد والرَشَد والرَشاد: نقيض الغي.

إن الآية الأولى سورة البقرة نفت الدين الإجباري؛ لأن الدين يعني العقيدة. والعقيدة لا سلطة للإكراه والإجبار عليها. لأنها قلبية. وجملة (لا إكراه في الدين) جاءت بحكم إنشائي تشريعي معللاً بـ(قد تبين الرشد من الغي) أي بعد وضوح الرشد والتمييز بينه وبين الغي، لا داعي الى الإكراه أبداً؛ بل للإنسان أن يختار لنفسه ما شاء بعد اتضاح حقائق الدين بالبينات الإلهية الموضحة بالسنة النبوية الشريفة. وقد تبين أن اتباع الدين رشد، والرشد في اتباعه. وعلى هذا يكون الغي في ترك الدين والرغبة عنه. فلا موجب للإكراه حينئذ. وفي هذه الآية دليل واضح على أن الاسلام لم يقم بالسف وسفك الدماء، ولم ينهض بالعنوة والإكراه خلافاً لما فهمه البعض.

ورب قائل يقول: إذن لماذا خاض الإسلام حروبه وغزواته؟

وجوابه:

إن القتال الذي ندب إليه الإسلام ماكان الهدف منه توسعة الرقعة

---

(١) البقرة: ١٩٣.

الجغرافية وبسط النفوذ على شعوبها بالقوة والإكراه، بل كان لدفع خطر أكيد، أو لإضعاف عدوّ متربص. والغاية منهما: الدفاع عن أهم مقوم للفطرة وهو التوحيد، وإحياء الحق الذي ما بعده إلا الضلال. وهذه الآية لم تنسخها آية السيف التي أوردوها (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) لأن الناسخ ما لم ينسخ علة الحكم لم ينسخ الحكم، فيبقى الحكم ببقاء سببه. وعلة عدم الإكراه هنا هي اتضاح الرشد من الغي وهو غير قابل للارتفاع بآية السيف (وقاتلوهم...) فإنها والآيات التي قبلها، والتي بعدها وهن خمس آيات نزلت لشأن واحد هو تشريع قتال مشركي مكة الذين كانوا يقاتلون المؤمنين. والفتنة في الآية هي الشرك باتخاذ الأصنام. وفي الآية دلالة على وجوب الدعوة قبل القتال، فإن قُبلت فلا قتال. ومعلوم أن القتال إنما يحدث ليكون الدين لله، أي يستقر على التوحيد. فالآية نازلة بشأن مشركي مكة لا بشأن أهل الكتاب فإنهم موحدون. ومع اختلاف الموضوع لا تناقض حينئذٍ.

الشبهة السابعة والعشرون:

«يقول الرب بلسان السيد المسيح: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ اَمُوتُ وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَياً﴾[1]. بمعنى أن المسيح مرّ بكل المراحل التي نمرّ بها نحن البشر حسب كل العقائد الدينية بما فيها أديان الشرق القديم التي سبقت اليهودية والمسيحية والاسلام. وهنا لاغبار على القول، لكن فجأةً

(١) مريم: ٣٣.

وفي سورة النساء يقول الرب بلسانه: ﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ...﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ...﴾[1] أي أنه رفع حياً ولم يقتل ولم يمت».

ردها:

الرفع لغة: قال الراغب: الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها، وتارة في البناء إذا طوّلته، وتارة في الذكر إذا نوّهته، وتارة في المنزلة إذا شرّفتها. ثم قال: وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ...﴾ يحتمل رفعه الى السماء، ورفعه من حيث التشريف. وقال ابن منظور: والرفع: ضد الوضع، رفعته فارتفع فهو نقيض الخفض في كل شيء.

الموت لغة: قال الراغب: أنواع الموت بحسب أنواع الحياة:

فالأول: ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات.

الثاني: زوال القوة الحاسة.

الثالث: زوال القوة العاقلة.

الرابع: الحزن المكدّر للحياة.

الخامس: المنام. فقيل: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل.

لقد سلّم عيسى عليه السلام على نفسه في المواطن الثلاثة التي لابد لكل إنسان من المرور بها. فبالنسبة للولادة وقد ولد فجاء بالفعل الماضي (ولدت) وبالنسبة لموته وهو أمر مستقبلي جاء بالفعل المضارع (أموت) وهكذا فعل بالنسبة الى بعثه حيّاً، فقال (أبعث) وليس كما قالت الشبهة «إن

---

(١) النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨.

المسيح مرّ بكل المراحل التي نمر بها نحن» بدليل صيغة المضارع. ثم إن من عقيدة المسلمين أن عيسى ينزل الى الأرض وقت ظهور الإمام المهدي عجّل الله فرجه ويصلي خلفه، ثم يقتل في إحدى معارك الظهور. فسلّم على نفسه يوم ولادته، وعندما يموت وعندما يبعث. ولما كان عيسى بشراً فلابد له من الموت الذي لا يسلم منه أحد حتى ملكُ الموت نفسه، ولا يبقى إلا واهبُ الحياة وهو الله تعالى ذكره.

فهو عليه السلام مقرّ بموته، ولكنه لم يشر الى طريقة موته. فالنصارى قالوا صلب ومات بين أيديهم. والقرآن يقول ﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ...﴾ ثم يقول ﴿...وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾(١) ومن الروايات الصحيحة ما يشير الى أن عيسى لم يقتل صلباً، ولكن أعداءه دخلوا الدار في وقت ظلام، فأخذوا شخصاً يشبهه وصلبوه مكانه وهم لا يعلمون.

أما عيسى فقد أنجاه الله من كيدهم، ورفعه إليه في السماء الرابعة. ونفيُ الآية القتلَ والصلبَ عن عيسى عليه السلام لا يعني أنه سوف لن يموت. حتى يكون قوله (ويوم أموت) لا معنى له، بل في محاولة قتله صلباً لم يمت وحماه الله ورفعه، وان بين الآيتين نوع تطابق وانسجام لا تناقض.

---

(١) النساء: ١٥٧.

الشبهة الثامنة والعشرون:

«لقد ناقض القرآن نفسه في سورة فصّلت فقال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالذى خَلَقَ الأَرْضَ فى يَوْمَيْن وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذلك رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ من فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فيها أَقْوَاتَهَا فى أَرْبَعَة أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائلينَ﴾ ﴿ثُمَّ استَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائعينَ﴾ ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا...﴾[1] ألا يعني هذا أن مجموع خلق الأرض وحدها ستة أيام: يومين في البدء وأربعة لتقدير الأقوات، نضيف لها يومين لخلق السماوات، يغدو المجموع ثمانية أيام.. طيب. لكن في سبعة مواضع أخرى من القرآن نجد أن أيام الخلق ستة لا ثمانية. أنظر الاعراف/ ٥٢ ويونس/ ٢ وهود/ ٩ والفرقان/ ٦٠ والسجدة/ ٣».

ردها:

لقد أخطأوا في ترقيم الآيات والصحيح هو: الأعراف/ ٥٤ ويونس / ٣ وهود/ ٧ والفرقان/ ٥٩ والسجدة/ ٤. وقد حاولوا هنا خلق شبهة من لا شيء. إذ أن تأكيد القرآن الكريم على الرقم (٦) في عدة مواضع منه يدل على أنه هو الصحيح. لأنه لا يمكن أن يخطأ خمس مرات، ويصيب مرة

---

(١) فصلت: ٩ ـ ١٢.

حسب تخيّل هؤلاء. والصواب: أن خلق الأرض وجعل الرواسي من فوقها كان في يومين، وتقدير الأقوات في يومين، فتم ذلك في أربعة أيام، ثم خلق السماوات سبع طبقات في يومين. فيكون المجموع ستة أيام لا ثمانية. وتقدير الآية ٩/ فصلت هكذا: قدر الأقوات في تتمة أربعة أيام من حين بدء خلق الأرض.

وفي هذه الآيات إشارة علمية الى حقيقة الكون التي ستتوصل إليها الأجيال القادمة. وما هي إلا مسألة وقت. قال عبد الله بن عباس: «لا تفسروا القرآن، الزمان يفسره» وفيها تطمين للناس عامة أن أقواتهم موجودة ومضمونة فالله قدّر في الأرض من الأقوات على قَدَر ما فيها من الأحياء الذين يحتاجون الى القوت مهما بلغ عددهم.

الشبهة التاسعة والعشرون:

«في قرابة مائة وخمس وعشرين آية متفرقة في ثلاث وستين سورة قرآنية نجد الرب يأمر بالصفح والتولي والإعراض والكف عن غير المسلمين. ولكن فجأةً وفي آية السيف تنقلب الحال ويتحول الرب الداعي الى التسامح والحب الى عدواني شرس يحضّ على المسارعة في القتل حالما تنتهي الأشهر الحرم. إذ يقول في سورة التوبة **﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾**[1]».

(١) التوبة: ٥.

ردها:

الصفح لغة: قال في لسان العرب: صفح عنه يصفح صفحاً: أعرض عن ذنبه. وقال: وأما الصَفوح من صفات الله ـ عزوجل ـ فمعناه: العفوّ.

الشرك لغة: قال في اللسان: أشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك، والاسم الشرك. وقال الجوهري: الشرك الكفر. وقد أشرك فلان بالله فهو مشرك. وقال: وفي الحديث: «الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل» قال ابن الأثير: يريد به الرياء في العمل.

إن آية سورة التوبة شرّعت حكماً خاصاً بمن ينقض العهد من المشركين. أي العهد الذي أعطوه لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية. وقد استثنت الآية من يلتزم بعهده ولم ينقضه، ولم يُظاهِر ـ يساعد ـ أعداء المسلمين عليهم، ومن اتقى الخيانة منهم. فعلى المسلمين أن يُتمّوا عهدهم معه ولا ينقصوا منه شيئاً. وكان العهد أربعة أشهر يكون المشركون فيها في مأمن من دون خوف، ولكن إذا انقضت الأشهر الأربعة فللمسلمين أن يقتلوا كل من نقض العهد وساعد أعداء الإسلام عليه أينما يجدونه، مع التشديد عليه. فإن تاب ودخل في رحاب الإسلام خلّوا سبيله.

إذن الآية نازلة في قضية خاصة، فصارت حكماً عامّاً؛ لأن المورد لا يخصص كما هو معلوم. والقضية هي: أن المشركين في مكة أمدّوا بني بكر على خزاعة بالسلاح. وكانت قبيلة بني بكر في عهد مع قريش، وكانت خزاعة في عهد مع النبي صلى الله عليه وآله فتحاربت القبيلتان فأعانت قريش بني بكر على خزاعة، ونقضت عهد الحديبية الذي عقدته مع النبي صلى الله عليه وآله. وكان ذلك من أسباب فتح مكة سنة ثمانٍ للهجرة. هذا

مجمل سبب معاقبة قريش بالقتل والتضييق عليهم. ولم يكن إيذانُ قتالهم مفاجأة كما ورد في الشبهة، بل سبق ـ في عدة موارد من سورة الأنفال ـ التحريضُ على القتال من أجل فتح الطريق أمام الدعوة الى الحق ودحض الباطل، ونبذ عبادة الأصنام. حتى قيل إن سورة التوبة ملحقة بسورة الأنفال. فأين المفاجأة؟ أما تعهد الله ـ عزوجل ـ بقبول التوبة من عامة عباده، والمغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحاً فهو باقٍ لم يتغير ﴿...**لاَ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ**...﴾[1].

الشبهة الثلاثون:

«هذا تناقض آخر. فقد ورد في سورة النساء: ﴿**إِنَّ اللّـهَ لاَ يَغْفِرُ اَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلكَ**...﴾[2] والشرك هو اتخاذ آلهة مع الله أو دونه. إلا أنه ورد في سورة الأنعام إن إبراهيم اتخذ الشمس والقمر والنجوم آلهة من دون الله. ويكفي كلامُه إليها على إثبات الشرك. وهذا شرك بيّن. في حين أن إبراهيم يؤمن المسلمون بأنه معصوم مثل كل الأنبياء ولم يشرك أبدا».

ردها:

الهدى لغة: قال في لسان العرب: الهدى: ضدّ الضلال وهو الرشاد، ثم

---

(١) الروم: ٦.

(٢) النساء: ٤٨.

قال: وقوله تعالى: (إن علينا لَلهدى) أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال.

الضلال لغة: قال في اللسان: الضلال والضلالة: ضدّ الهدى والرشاد، ضللتُ تضِلّ. هذه اللغة الفصيحة. وقال الراغب: الضلال: العدول عن الطريق المستقيم. ويضادّه الهداية.

لقد مرّ بنا في الشبهة السابعة أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا بما فيها الشرك إذا تاب المشرك وصار موحداً. حيث لا شرك حينئذٍ. ولاشبهة تثار هنا على أبي الانبياء إبراهيم عليه السلام لأنه من الدعاة السابقين الى عقيدة التوحيد. وله في هذا المجال يد بيضاء لا تنكر. إذ أن جميع الأنبياء والرسل نهجوا نهجه وساروا وفق محجته البيضاء حتى نبينا صلى الله عليه وآله. وبعد هذا كيف يوجّه الاشكال الى إبراهيم الخليل بأنه كان مشركاً؛ لأنه خاطب الشمس والقمر؟ فإن مجرد الخطاب ـ لو صحّ ـ لا يعني الاعتقاد بربوبية هذه الأفلاك، بل لا يُشعر بذلك أبدا.

ومفصل الشبهة هو: إن الله ـ عزوجل ـ اختص إبراهيم عليه السلام بعنايته منذ ولادته، ولما شبّ أراه الله ملكوت السماوات. أي أراه وجود الأشياء من جهة انتسابها الى الله سبحانه وقيامها به. وبعبارة أخرى: الملكوت كما قال الراغب ـ مختص بملك الله تعالى ـ وهذا أمر يختص به الله وحده لا يشاركه فيه أحد.

والنظر في الملكوت يهدي الإنسان الى التوحيد هداية قطعية بعد أن ينكشف له أن هذه الأصنام التي عملها الانسان بيده لا تضرّ ولا تنفع. وهكذا الكواكب يصيبها الأفول، وتتغير وتحتاج إلى المدبر الذي يحفظ لها

نظامها وتوازنها. وعند اطلاعه عليه السلام على حقيقة هذه الكواكب التي لاتنفك عن تدبير الله ـ عزوجل ـ أخذ يناقش قومه الذين كانوا يعبدون تلك الكواكب، فأبطل ربوبيتها بعروض الأفول عليها. والأفول والزوال نقص في الرب.

ولذا قال: ﴿...**لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾ إشارة الى أن الرب لابد أن يكون موجوداً باستمرار لا يعتريه اضطراب أو نقص أو أفول، وأن يكون ذا عقل يدبر به الأمور. وهذه الكواكب والأصنام تفتقد كل ذلك. ولكن كيف تدرّج مع قومه ليصل بهم الى حقيقة التوحيد، ويجعلهم يسخرون مما كانوا يعبدون؟ قام فنزّل نفسه منزلتهم، وتصنّع مخاطبة الكواكب واحداً بعد واحد: ﴿**فَلَما جَنَّ عَلَيه اللَّيلُ رَاَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّى فَلَما اَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾[1] على سبيل الافتراض والتنزّل والمجاراة لقومه في عقيدتهم. وهكذا فعل مع القمر ثم مع الشمس ثم ﴿...**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ ﴿**إِنِّى وَجَّهتُ وَجْهِيَ للذى فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ حَنِيفاً وَمَا اَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2] وهنا أكد إبراهيم عليه السلام كونه موحداً، وليس ما صنعه مع الكواكب إلا طريقاً تدرّجيّاً للوصول الى حقيقة هو يؤمن بها ويدعو إليها.

وهذا الأسلوب في الاحتجاج أجلب لإنصاف الخصم، وأمنع لثوران عصبيته وحميّته، وأصلح لإسماع الحجة. وهو نظير قول القائل لخصمه: «لو

---

(١) الأنعام: ٧٦.

(٢) الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩.

سلّمنا جدَلاً بما تقول» ثم يبدأ بتفنيد آرائه واحداً بعد الآخر حتى ينتصر عليه. هكذا فعل إبراهيم عليه السلام، لا كما ورد في الشبهة العرجاء.

ثم إنه عليه السلام لم يخاطب الكواكب لتسمع وأنّى لها ذلك، ولم يستعمل معها ضمير المخاطب، ولكن ليسمع قومه حديثه مع نفسه بشأنها لأنها معبوداتهم. فكانت النتيجة أن أذعنت لدعوته مجموعة منهم كوّنت قاعدة انطلاقه في مسيرة التوحيد. فأين التناقض؟

الشبهة الواحدة والثلاثون:

«قال في سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[1] أي من كل أمر قدر في تلك السنة، وقال في سورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2] وهي في الإسلام ليلة مباركة تفصل فيها الأقضية، ويقدر كل أمر يقع في ذلك العام. من حياة أو موت أو غير ذلك. وهذا معناه أن أمور الخلق تقدر عاماً إثر عام. لكنه في سورة الحديد قال: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا...﴾[3] أي إلا مكتوبة في اللوح المحفوظ، مثبتة

---

(١) القدر: ٣ ـ ٤.

(٢) الدخان: ٣ ـ ٤.

(٣) الحديد: ٢٢.

في لوح الله من قبل أن تخلق، ثم يقول في سورة الإسراء: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِى عُنُقِهِ...﴾[١] أي ألزمناه عمله. فما هذا التناقض؟».

ردها:

الروح لغة: قال الطريحي في مجمع البحرين: والروح في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً...﴾[٢] على ما ذكره بعض المفسرين: ملك عظيم من ملائكة الله تعالى. وقال الراغب في مفرداته: الرَّوح والرُّوح في الأصل واحد، وجعل الرُّوح اسماً للنفس... وذلك لكون النَفَس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان، وجُعِل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك...

الكتاب لغة: قال ابن منظور: وقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾. قيل: الكتاب ما أثبت على بني آدم من أعمالهم. وقال الأزهري: الكتاب: اسم لما كتب مجموعاً.

اللوح لغة: قال ابن منظور: والّلوح: اللوح المحفوظ. وفي التنزيل: (في لوح محفوظ) يعني مستودع مشيئات الله تعالى، وإنما هو على المثل.

المصيبة لغة: قال في اللسان: الصابة والمصيبة: ما أصابك من الدهر.

إن التناقض الذي ادعوه بين آيتي القدر وآية الحديد ضربٌ من الخيال؛ لأن معنى الآيتين: أن الملائكة ومعهم الروح ينزلون الى الأرض بعد الإذن والرخصة من الله ـ جلّ شأنه ـ بكل أمر. أي من كل شيء سيكون

---

(١) الإسراء: ١٣.

(٢) النبأ: ٣٨.

في تلك السنة الى مثلها من العام المقبل. خيراً كان أو شراً، طاعة أو معصية، ولادة أو موتاً، فقراً أو غنىً، صحة أو مرضاً. الى غير ذلك. فما قدّر في تلك الليلة وقضي فهو المحتوم الذي سيكون. والأمر المحتوم ثابت في اللوح المحفوظ عند الله تعالى. وحرف (من) قيل للتعليل بالغاية. أي لأجل تدبير كل أمر من الأمور الكونية والحوادث الواقعة.

إذن اللوح في السماء. وقيل هو علم الله تعالى. والأرض التي عليها الناس هي محل الحوادث فينزلون إليها لتدبير الأمور المثبتة في اللوح المحفوظ.

أما آية الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ...﴾ فقد اقتصرت على المصاوب ـ جمع مصيبة على الأصح ـ التي تصيب الأرض مثل: الجدب، الأمراض الزراعية، الجراد، الزلزلة، تسونامي، البراكين، السيول. وغيرها، وعلى المصاوب التي تصيب الأنفس مثل: المرض، القتل، الكسر، الحرق، الغرق، الموت على اختلاف أسبابه وغير ذلك، ثم قالت الآية إن هذه المصاوب يعلمها الله قبل أن يخلقها.

ويؤيد هذا أن الآية في مقام ما اشتملت عليه الدنيا من المحن والآلام والحوادث الموجبة لنقص الأموال والأنفس التي تدعو المخاطبين الى الإمساك عن الإنفاق، وإخراج حق الله تعالى، والتخلف عن الجهاد، والتمرد على طاعة الله.

ونأتي الى آية سورة الإسراء التي دلّت على ملازمة عمل الإنسان له بقضاء من الله ـ عزوجل ـ فهو الذي ألزمه إياه. وإنما قال: ﴿...أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ

فِي عُنُقِه...﴾ لأن العنق هو العضو الذي يوصل الرأس بالصدر، فيشاهد الإنسان ما يعلق على صدره من صحيفة أعماله التي شبهها بالطائر؛ لأن العرب كانت تتفاءل وتتشاءم بالطير. فإذا سافروا ومرّ بهم طائر من جهة اليسار الى اليمين تفاءلوا، وإن مرّ من جهة اليمين الى اليسار تشاءموا. ولذا سميت هذه الحالة بالتطيّر. فكل إنسان طائره معه في عنقه، أي عمله الذي طار عنه من خير أو شرّ.

وبالجملة: إن الآية تثبت لزوم السعادة والشقاء للإنسان من جهة أعماله الحسنة أو السيئة التي عملها باختياره. فما ربط هذه الآية بما سبق، وأين هو منشأ التناقض؟

الشبهة الثانية والثلاثون:

«يقصد بالناسخ والمنسوخ: التدرج في توصيل استحقاقات والتزامات العبد تجاه ربه، وأوامر الرب. بمعنى أن يأتيك اليوم أمر متواضع يسير الأداء، ثم بعد فترة معقولة يمكن أن يزداد ثقل التكليف بعد أن تكون قد تمرّنت أنت ومن معك من المؤمنين على الالتزام الأول المتواضع.

لكن كيف بأن يأتي الأمر أو التكليف معكوساً بالكامل عن ما سبقه، اي تضاد وليس تدرّج، ثم ـ وهذا هو المستغرب ـ إن التضاد يأتي بشكل استثنائي، ولخدمة أغراض شخص واحد. هو زعيم جموع المؤمنين ونبيهم الذي يفترض أن يكون معصوماً من الخطأ لأنه القدوة الحسنة والأجدر بحمل ثقيل المهمات لا خفيفها. ففي سورة الاحزاب يقول الله لمحمد ﴿لاَ

يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعدُ وَلاَ اَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ اَزْوَاجٍ وَلَوْ اَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ...﴾[1] وهنا نُهي محمد عن الزواج. غير أن الله رجع في كلامه وبدّله بأمر مناقض كما في نفس السورة: ﴿**يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ إنَّا اَحْلَلْنَا لَكَ اَزْوَاجَكَ اللاَّتِى آتَيتَ أُجُورَهُنَّ...**﴾[2] والغريب جداً أن التحليل أتى أولاً ثم التحريم. فيكون المنسوخ أولاً ثم الناسخ بعد ذلك».

ردها:

النسخ لغة: قال في اللسان: والنسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، ثم قال: ونسخ الآية بالآية: إزالة مثل حكمها. وقال الراغب: النسخ: إزالة شيء بشيء يتعقّبه، كنسخ الشمس الضلَّ، والضلّ الشمسَ، والشيب الشبابَ.

قدّموا في هذه الشبهة مقدمة واهية عن الناسخ والمنسوخ من دون مناسبة تذكر. وحصروا الغاية من النسخ بالتدرّج في تنفيذ الأوامر الإلهية من السهل الى الصعب. في حين قد ينسخ الله حكماً لانتفاء الغرض منه ولانتهاء أمده. وذلك عندما يتغير الموضوع مثلاً. وليس بين الآيتين (٥٠ ـ ٥٢) علاقة ناسخ ومنسوخ حتى يسوغ لهم الكلام من غير علم عنهما. وبيان ذلك هو:

قال تعالى: ﴿**...إنَّا اَحْلَلْنَا لَكَ اَزْوَاجَكَ اللاَّتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ...**﴾ الى آخر الآية، فذكر سبعة أصناف من النساء هن حلال له صلى الله عليه وآله.

الصنف الأول: زوجاته اللاتي أعطاهن أجورهن.

---

(١) الأحزاب: ٥٢.

(٢) الأحزاب: ٥٠.

الثاني: الإماء اللاتي يملكهن بما أفاء اللهُ عليه من الغنائم والأنفال.

الثالث والرابع: بنات عمّه وبناتُ عمّاته، أي من نساء قريش.

والخامس والسادس: بناتُ خاله وبناتُ خالاته، أي نساء بني زهرة.

السابع: المرأة المؤمنة التي تهب نفسها له صلى الله عليه وآله من غير صداق. الله أحلها له خاصة، إن أراد أن يستنكحها. وقوله: ﴿...**خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**...﴾ بيان لهذا الحكم الخاص به صلى الله عليه وآله لأنهم إذا أرادوا الزواج فلا يكون زواجهم إلا عن مهر وصداق، ثم قال ـ عزوجل ـ معللاً: ﴿...**لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ**...﴾ وهو أن بيان هذه الأصناف السبعة التي ذكرها، من أجل الاّ يكون عليك حرج في كيفية التعامل مع النساء. أي تنظيم العلاقة بينه وبينهنّ.

أما الآية (٥٢) التي ذكرت في بداية الشبهة فمضمونها تحريم ما عدا النساء المعدودات في الأصناف المتقدمة. وقوله ﴿...**مِن بَعْدُ**...﴾ أي من بعد اللاتي اخترن الله ورسوله، ثم قال: ﴿...**وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ**...﴾ أي تطلق بعضهن وتتزوج مكانها غيرها، ثم استثنت الآية ﴿...**إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**...﴾ أي الإماء. وهو استثناء من قوله في صدر الآية: ﴿**لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء**...﴾ هذا مجمل ما في الآيتين، بل أهم ما فيهما. فأين الناسخ والمنسوخ، وأين التناقض الموهوم، وأين الخطأ الذي كسر به النبي قيد العصمة، وهل في الآيتين ما يلمز شخصيته صلى الله عليه وآله؟

الشبهة الثالثة والثلاثون:

«في أكثر من سورة يرد القول التالي: ﴿...وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ...﴾[١] ﴿...لاَ تَبديلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ...﴾[٢] مع أنه يقول ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ...﴾[٣]. فمن الآيات الأولى نفهم أن الله في جميع أحواله لا يبدل آياته مهما حدث. وكرر هذا في أكثر من آية، وأكثر من موضوع، ولكنه في الآية الأخيرة بدّل وعلّل ذلك بقوله ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ...﴾ ونقول: كيف ينسى الله آية؟ حيث قال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا...﴾[٤]. هل يمكن أن نصدق أن الرب يقول عن نفسه ينسى، ثم إذا نسي اعتذر نبيه عنه. أمعقول هذا؟ ثم يبدل وهو القائل ﴿...لاَ تَبديلَ...﴾ و ﴿...لَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ فإذا قلنا إن الله يبدل كذّبنا ما في سورة يونس والأنعام. ثم يقول ﴿...قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ...﴾[٥].

ويدل هذا على أن الرسول لا يستطيع التبديل حسب هواه. أي يوجد

---

(١) الأنعام: ٣٤

(٢) يونس: ٦٤.

(٣) النحل: ١٠١.

(٤) البقرة: ١٠٦.

(٥) يونس: ١٥.

تبديل لكن له شروط. منها أن يأتي أمرٌ عاجل من الرب بالتبديل، لأن خللاً استراتيجياً قد حصل. فهل يعقل هذا؟».

ردها:

الآية لغة: قال ابن منظور: الآية: العلامة. والآية: العبرة وجمعها أي. وقال الراغب: والصحيح أنها ـ الآية ـ مشتقة من التأيّي الذي هو التثبّت والإقامة على الشيء. وقال الطريحي: والآية من القرآن، قيل: كل كلام متصل الى انقطاعه، وقيل: ما يحسن السكوت عليه.

التبديل لغة: قال في اللسان: وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأت ببدل. وقال الراغب: الإبدال والتبديل والتبدّل والاستبدال: جعل شيء مكان آخر، وهو أعم من العوض. ثم قال: والتبديل قد يقال للتغيير مطلقاً وإن لم يأت ببدله.

هنا تخيّلوا تناقضاً أخر في الآيات التي ذكروها، وقالوا: إن الآية ﴿...وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ...﴾[1] والآية: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2] تناقضان ما جاء في آية سورة النحل ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ...﴾.

قلنا إن صناعة التناقضات بهذه الطريقة الأميّة سوف لن تنتهي عند حدّ. طالماً كان هؤلاء بعيدين عن روح الاسلام وجوهر القرآن، مشمّرين عن سواعد الكراهية لأعظم كتاب سماوي. ولكن هذا لا يعني أن نسكت

(١) الأنعام: ٣٤.

(٢) الأنعام: ١١٥.

أمام صيحاتهم الناشزة.

ولو تناولنا الآية الأولى ﴿...وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ...﴾ لوجدناها تشير الى الوعد الإلهي الذي قطعه الله على نفسه. وهو النصر باعتباره نتيجة حتمية للصبر في ذات الله. وفيها هداية للنبي صلى الله عليه وآله الى سبيل من تقدمه من الأنبياء الذين كُذّبوا وأوذوا فصبروا وانتصروا. قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ اَنَا وَرُسُلِي...﴾[1]. وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾[2].

ثم تعال معي ـ أخي القارئ الكريم ـ الى آية سورة الأنعام لترى معنى (الكلمة) الذي أراده الله على حقيقته: إن لفظ (كلمة) ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع. وربما يراد منه القول الحق الذي قاله تعالى مثل: ﴿...حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ...﴾[3] إشارة الى قوله تعالى لإبليس: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمن تَبِعَكَ...﴾[4]. وربما استعمل لفظ (كلمة) بمعنى العين الخارجية كالإنسان مثلاً كقوله ـ عزوجل ـ: ﴿...إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ...﴾[5]. وربما كان المعنى المراد من الكلمة في الآية مورد البحث (وتمت كلمة ربك) الدعوة الاسلامية وما

---

(١) المجادلة: ٢١.

(٢) الصافات: ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) يونس: ٩٦.

(٤) ص: ٨٥

(٥) آل عمران: ٤٥.

يلازمها من نبوة محمد صلى الله عليه وآله، ونزول القرآن المهيمن على ما تقدمه من الكتب السماوية، المشتمل على جوامع المعارف الإلهية وكليات الشرايع الدينية. أي بلوغ هذه الكلمة مرتبة الثبوت والاستقرار بعد سيرها المتدرّج في تاريخها الطويل. فتمت كلمة الله وتحققت صدقاً في الواقع الخارجي، وعدلاً أي لم تنحرف عن مسارها، ولم تتعرض الى التبديل. وقد أكد الله هذا المعنى بقوله: (لامبدل لكلماته).

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ...﴾ وهو محل اعتراضهم. فهو إشارة الى النسخ والحكمة منه. فقد كان مشركوا مكة اتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه مفترٍ على الله بتأليف القرآن. وربما كانوا يراجعون اليهود في أمر النبي صلى الله عليه وآله. وقد عرفت معنى التبديل. وهو جعل شيء مكان شيء آخر. قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ...﴾[1].

والتبديل مرتبط بمصالح العباد. ومن المصالح ما يتغير بتغير الأحوال والأزمنة. فمن الواجب أن يتغير الحكم بتغير موضوعه ومصلحته، فيُنسخ الحكم الذي ارتفعت مصلحته الموجبة له بحكم آخر حدثت مصلحته. وأكثر هؤلاء كانوا غافلين عن هذا الأمر، وأما الأقل فكانوا معاندين. وفي الآية الكريمة جواب على مقترحهم بقولهم: ﴿...ائت بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ...﴾ فلقّن الله نبيه صلى الله عليه وآله برد سؤالهم ومقترحهم، وإلقاء

(١) الأعراف: ٩٥.

الحجة عليهم بقوله: ﴿...قُلْ مَا يَكُونُ لِي...﴾ أي لا أملك أن أبدّله من عند نفسي، لأنه ليس بكلامي، وإنما هو وحي إلهي فلا أخالف أمر ربي لأني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. وفي الجواب رد آخر على اتهامهم إياه بأنه مفترٍ. ولو كان كذلك ـ والعياذ بالله ـ لأجابهم الى طلبهم بتبديل آية مكان أخرى بما يوافق رغبتهم.

وقد رأيت ـ عزيزي القارئ ـ أن لكل آية دلالة واضحة في أمر خاص ليس له علاقة بالآية ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ اَوْ نُنسِهَا...﴾[1]، ولكن المغفلين حاولوا خلط المضامين بين عدة آيات كل منها في واد.

ونقول في آية النسخ:

لا شك في احتواء القرآن ناسخاً ومنسوخاً، بل هو الوارد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. والنسخ اصطلاحاً: وهو المعروف عند المفسرين والفقهاء. هو الإبانة عن أمد الحكم وانقضاء أجله وانتفاء المصلحة منه. والنسخ لا يوجب زوال نفس الآية من الوجود، بل يوجب ذهاب أثرها من حيث كونها آية، أي يزول أثرها التكليفي مع بقاء نصّها. والإنساء في الآية هو: الإذهاب عن العلم كالنسيان: فيكون المعنى: ما نذهب بآية عن العين أو عن العلم نأت بخير منها أو مثلها.

وليس كما ورد في الشبهة. أن الله ينسى. فهذا جهل عجيب.

---

(١) البقرة: ١٠٦.

الشبهة الرابعة والثلاثون:

«تغيير عدة المتوفى عنها زوجها. في البداية أمر الله الأرملة بالاعتداد حولاً كاملاً، ثم نسخ بأربعة أشهر وعشرة أيام. ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ...﴾[1]. هذه الآية منسوخة بآية سبقتها هي: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً...﴾[2]. ومثل هذه الآيات الناسخة تدل على أن قائلها لم يكن متمكناً من معرفة الاحتياجات النفسية والجنسية والاجتماعية للمرأة بشكل عام. فإن كان القائل بها هو الله فهو الأعرف بمخلوقاته لأنه الملمّ بكل شيء. وبالتالي فإن من المشكوك فيه أن تكون الآيات الناسخة من الله».

ردها:

الحول لغةً: قال الراغب: والحول: السنة، اعتباراً بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها، ثم قال: ومنه: حالت السنة تحول. وقال ابن منظور: الحول: سنة بأسرها. وكذا قال في المجمع.

التربّص لغةً: قال في اللسان: التربّص: الانتظار. ربَصَ بالشيء ربْصاً وتَرَبَّص به: انتظر به خيراً أو شرا. ثم قال: وفي الحديث: «إنما يريد أن

---

(١) البقرة: ٢٤٠.

(٢) البقرة: ٢٣٤.

يتربص بكم الدوائر» التربّص: المكث والانتظار. وقال الراغب: التربص: الانتظار بالشيء سلعةً كانت يقصد بها غلاءاً، أو رخصاً، أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله.

في هذه الشبهة تجرأوا على الله واتهموه بعدم المعرفة بخواص النساء، مع أنه خالق الرجال والنساء، بل خالق هذا الكون كله. فقالوا: الناسخ لعدة المتوفى عنها زوجها البالغة حولاً بعدة أخرى أمدها أربعة اشهر وعشرة أيام كان غيرَ محيطٍ ولا عارف بحاجة المرأة. وفيه ضميمة أن هذا النسخ قد يكون من النبيٍ صلى الله عليه وآله وليس من الله، ولكنهم تجرأوا على الله من جانب لأنهم يعرفون أن هذا القرآن منه، ومن جانب آخر اتهموا رسول الله بوضع آية النسخ. فنقول:

إن الاسلام لما جاء الى الجزيرة العربية جاء في عهد جاهلي يمقت المرأة ولا يعتبرها بشراً. فكانت تباع وتهدى وتعطى لمن يستقرضها من أجل الولد، ثم تعود الى زوجها، كما أنها كانت تورّث. وهي في عرف قومها لا تملك ولا ترث، بل هي سلعة اشتريت للعمل والخدمة والنتاج البشري ليس إلا.

فأقر الإسلام بعض عادات الجاهلية مرة إقراراً دائماً: كغسل الميت، والدفاع عن العرض والنفس والمال، كما أكد على الصفات الحميدة مثل: الكرم والشجاعة والغَيْرة، ومرة إقراراً مؤقتا مثل: عدة المتوفى عنها زوجها التي كانت حولاً كاملاً ليس لها أن تخرج فيه من البيت، ولا تتزوج، وليس لها نفقة فأقر الإسلام ذلك مع تعديل أجراه بخصوص العدة، فأمر بتخصيص نفقة للأرملة من أصل تركة زوجها، ثم لما استقرت الأمور وصار للاسلام

الكلمة والرأي نُسخ حكم العدة القديمة با ية الأربعة أشهر وعشرة أيام، وجعل لها حصة مفروضة من الإرث، وسمح لها بالتملك ولم يحرّم عليها الخروج من البيت أثناء العدة للأمور الضرورية. الى غير ذلك من نفي الممنوعات التي كانت مفروضة عليها أيام الجاهلية.

إذن ليس كما ورد في الشبهة: أن الله أمر بالعدة حولاً، بل كانت العدة موجودة قبل الإسلام، فأقرها ريثما يحين وقتُ نسخها. وقد فعل. وحقق للمرأة مكاسب ما كانت تحلم بها. وعليه يكون الذي يداري حال المرأة ويعطيها ما مُنعت منه أعلمَ بحالها وخصائصها، لا كما قالت الشبهة. ولكن الذي يتجرأ على الله ويفتري عليه الكذب يتوقع منه كل شيء.

الشبهة الخامسة والثلاثون:

«ترد في سورة الكهف جملة أخطاء فيما لو أخذت حرفياً. وهذا ما ينبغي أن يكون. مثلاً: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت...﴾[1] والشمس لا تطلع، ولكن الأرض هي التي تدور حول الشمس. وكذلك (الشمس إذا غربت) إن الشمس ثابتة. وإنما يجعل الشروق والغروب يحدثان هو دوران الأرض وحركتها وليس حركة الشمس».

ردها:

معنى طلع: قال ابن منظور: طلع: طلعت الشمس والقمر والفجر

(١) الكهف: ١٧.

والنجوم تطلع طلوعاً ومَطلَعاً ومطلِعاً، فهي طالعة، ثم قال: وطلع فلان علينا من بعيد، وطلعته: رؤيته. وقال الراغب: طلع الشمس طلوعاً ومطلَعاً. وقال في المجمع: والطلوع والاطلاع: الصعود على الشيء. قوله: (حتى مطلع الفجر) بفتح اللام وكسرها: موضع الطلوع، يقال: طلعت الشمس طلوعاً من باب قعد، ومطلَعاً أي بينت وظهرت.

ادّعوا أن سورة الكهف اشتملت على أخطاء منها: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت**...﴾ و ﴿...**وَإِذَا غَرَبَت**...﴾[1] ولم يذكروا جميع الأخطاء وليتهم ذكروها.

إن (الخطأ) الأول. هو من صلب اللغة العربية. وقد اتضح ذلك من خلال معنى الفعل (طلع) فلو قال شخص: هل طلعت الشمس؟ لا يعاب عليه. وهكذا لو قال: هل غربت الشمس؟ فنسبة الطلوع والغروب الى الشمس مع عدم امتلاكها الإرادة لا عيب فيه. ولذا تجد المفسرين لا يولونه أهمية لوضوحه. وهو من قبيل: «مات زيد» مع نسبة الفعل لزيد في الوقت الذي وقع عليه الفعل ولم يصدر منه في الواقع.

ففاعل الموت هو الله ـ عزوجل ـ ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**...﴾[2].

ولكن لما كان الفعل لا يتقوّم إلا بزيد نسبنا الفعل إليه. وهكذا الشمس هنا. ثم إن الآية ناظرة الى المحصلة التي دار الكلام حولها وهي

---

(١) الكهف: ١٧.

(٢) الزمر: ٤٢.

طلوع الشمس من دون النظر الى أسباب الطلوع. ومن البديهي أن الشمس لا تطلع بحركتها بل بحركة الأرض حول نفسها، ولكن لما كان الفعل (طلع) لا يتقوم إلا بنسبته الى الشمس نسبته الآية إليها. وهكذا الفعل (غربت).

ثم إننا الآن عرفنا أن الأرض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس. أما في الماضي فكان الناس يجهلون ذلك. ولنا أن نسأل الآن عن جملة الأخطاء المكتشفة: هل تنحصر في (طلعت وغربت) وإذا كان الجواب: نعم. فبطن الأرض خير لهم من ظهرها.

الشبهة السادسة والثلاثون:

«ذكر القرآن في سورة العنكبوت: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾[١] وهنا نرى قارون مع فرعون وهامان أي من قومهم. لكن في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ﴾[٢]. نراهم فريقين بعضهم أمام بعض. أما في سورة القصص فنرى قارون من قوم موسى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ

(١) العنكبوت: ٣٩.

(٢) المؤمنون: ٤٥ ـ ٤٦.

مِن قَوْمِ مُوسَى...﴾[1]. فمن ينتمي لمن يا ترى؟».

ردها:

البينة لغة: قال الراغب: البيّنة: الدلالة الواضحة. عقليةً كانت أو محسوسةً. ويقال آية مبيَّنة اعتباراً بمن بيّنها، وآية مبيِّنة اعتباراً بنفسها. وآيات مبيِّنات ومبيَّنات.

السبق لغة: قال الراغب: أصل السبق: التقدم في السير، ثم قال: (وماكانوا سابقين) تنبيه على أنهم لا يفوتونه. وقال في اللسان: السبق: القُدمَة في الجري وفي كل شيء.

السلطان لغة: قال في اللسان: والسلطان: الحجة والبرهان. وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اَرسَلْنَا مُوسَي بِآيَاتنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي وحجة بيّنة. والسلطان إنما سمي سلطاناً، لأنه حجة الله في أرضه.

قالوا: كيف يكون قارون من قوم موسى، ومع ذلك يقف الى جانب عدوه فرعون ويؤازره؟ كأنهم لم يطلعوا على التأريخ القديم ولا الحديث، ليروا أن قارون ليس أول شخص يخون قومه ويصطف مع أعدائهم. إنه كان من بني إسرائيل فبغى عليهم بغير حق، وأدّى به كفره الى سوء العاقبة، رغم ما آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة. والعصبة من العشرة الى الأربعين رجلاً. فظن أنه هو الذي جمع هذا المال وهذه الثروة بعلمه وفكره وحسن تدبيره، وتصور أن كل ما تحت يده هو استحقاقه وحده. ولذلك أمن العذاب الإلهي ـ حسب تصوره ـ وآثر الحياة

---

(١) القصص: ٧٦.

الدنيا على الآخرة، وبغى الفساد في الأرض، فخسف الله بـه وبـداره الأرض. فما كان له من فئة ينصرونه، ولم ينفعه ماله ولـم يكن من المنتصرين. فجعلـه الله عبرة لكل مستكبر متعال.

اما فرعون فقد علا في الأرض واستكبر وادعى مقام الربوبيـة، ولـيس له ذلك ولا لغيره. وكان معه وزيره (هامـان) يستـشيره فـي المهمـات فكـانوا جبهتين متضادتين: موسى وهارون عليهما السلام من جانب ويمثلـون جبهـة الحق والهدى مع من آمن بهما، وفرعـون وهامـان وقـارون والجنـود الـذين معهم في الجانب الآخر يمثلون جبهة الضلال والظلم والاستبداد. فمـا وجـه الغرابة في ذلك، وهل فيه تناقض؟

الشبهة السابعة والثلاثون:

«قالوا: نجد أن مريم العذراء كفلها زكريا في المحراب. أما في سـورة مريم، فنجد أن مريم انتبذت وحدها مكانا قصياً».

ردها:

الكافل لغةً: قال ابن منظور: والكافل والكفيل: الضامن، والأنثى كفيـل أيضاً وجمع الكافـل كُفَّـل، وجمـع الكفيـل كُفَـلاء. ثـم قـال: ﴿...وَكَفَّلَهَـا زَكَرِيَّا...﴾ أي ضمّنها إيـاه حتـى تكفّـل بحـضانتها. وقـال الراغـب: الكفالـة: الضمان.

القصيّ لغة: قال الراغب: والقصي البعيـد. وقـال ابـن منظـور: والقـصي والقاصي: البعيد.

مكان شرقي لغة: قال الراغب: وقوله تعالى: ﴿...مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ أي من ناحية الشرق.

يبدو أن سوق التناقضات عند هؤلاء رائجة الى حدّ بعيد. بحيث سمّوا كل شيء فوق فهمهم تناقضاً. وفي هذه الشبهة ادعوا أن زكريا كفل مريم في المحراب حسب الآية: ﴿...وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً...﴾[1] ومعناها: وكفّلها الله زكريا. وذلك لما كبرت مريم وبدا عليها الصلاح تسابق أقرباؤها الى كفالتها لأنها ولدت بعد وفاة أبيها. فاقترعوا لذلك، فخرجت القرعة باسم (زكريا) زوج خالتها فتكفلها ورعاها. هذا هو الأمر الأول الذي تضمنته الآية.

والأمر الثاني: هو عبادتها وملازمتها للمحراب فكانت تقضي جُلّ وقتها فيه. وكان زكريا يتعاهدها فكلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا. ولكن هذا الرزق غريب إذ كانت فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فيعجب زكريا من ذلك، فسألها ذات مرة: يا مريم أنىّ لك ذلك؟ فأجابته: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. وكلما رأى زكريا هذه الكرامة لمريم دعا ربه أن يرزقه ولداً تكون له مثل هذه الكرامة والمنزلة عند الله. هذا ملخّص ما في الاية.

أما الآيات ١٥ ـ ٢٢ / مريم فملخصها: أن مريم عليها السلام مقيمة في المحراب متفرغة للعبادة. ولا تخرج من الكنيسة إلا لقضاء الحاجة. وعندما يأتيها الطمث تخرج الى بيت زكريا عليه السلام حتى تطهر وتتطهر فتعود.

---

(١) آل عمران: ٣٧.

ولما انتهى الطمث وارادت أن تغتسل ضربت بينها وبين أهلها حجاباً. ولما انتهت أرسل الله إليها جبرئيل، فتمثل لها بشراً سوياً، أي رأته على صورة بشر كامل. وهو في نفسه روح لا بشر فقال لها: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ فتوجهت مريم الى ربها وقالت: ربي أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أكن بغياً يوماً من الأيام؟ فقال لها جبرئيل عن ربه: ﴿...قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ...﴾ فحملت مريم بعد أن نفخ الملك فيها فانتبذت به مكانا قصياً، أي بعيداً عن أهلها، فجاءها المخاض أي وجع الولادة، وألجأها الى جذع نخلة يابسة.

وهنا تمنت الموت من شدة حيائها، لكونها ولدت من دون زوج. هذا مجمل ما في الآيات من سورة مريم. ويظهر أن زكريا عليه السلام تكفلها وهي في بيته وتعاهدها وهي في المحراب، لأن الرزق كان يأتيها من الله لا من بيت زكريا. أما قضية الحمل والولادة فهي شيء آخر مختلف عن قضية التكفّل. فما ربط هذه بتلك؟

إذن هذه شبهة لا قيمة علميةً لها وهي من اللغو والضوضاء.

الشبهة الثامنة والثلاثون:

«قال في سورة هود: ﴿...وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ...﴾[1] ومنه نعرف أن الذين آمنوا بنوح هم الأراذل. ولكن في

---

(١) هود: ٢٧.

سورة الصافات، نرى أنه لم يُنجّ من الطوفان إلا نوحاً وأهله. ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[1] طيب لماذا غرق الأراذل وهم المؤمنون بنوح ودعوته؟».

ردها:

الرذيل لغة: قال ابن منظور: الرَذْل والرذيل والأرذل: الدون من الناس، وقيل: الدون في منظره وحالاته، وقيل: هو الدون الخسيس، وقيل هو الرديء من كل شيء. وقال الراغب: الرَذْل والرُّذال: المرغوب عنه لرداءته.

الكَرْب لغة: قال الراغب: الكَرْب: الغمّ الشديد. قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ والكُربَة كالغُمّة. وأصل ذلك من كرب الأرض وهو قلبها بالحفر. فالغمّ يثير النفس إثارة ذلك.

بادي الرأي لغة: قال ابن منظور: وبادئ الرأي: أوله وابتداؤه. ثم قال في (بدا) وبادي الرأي: ظاهره، عن ثعلب.

هنا في قصة نوحٍ لقّنوا غيرهم شبهة لا أصل لها، بل هي من بنات أفكارهم. إذ ليس لها واقع في القرآن المجيد. فقالوا: إن المؤمنين بنوح كانوا أراذلَ قومه. ولما قال في الصافات ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ...﴾ والأراذل ليس من أهله فقد غرقوا حتماً. فلماذا غرقوا وهم مؤمنون؟

ونقول: إن نوحاً دعا قومه الى ترك عبادة الأصنام والتوجّه الى عبادة الله، وأنبأهم بأنه لهم نذير مبين، فأنكروا رسالته واستكبروا عن طاعة الله.

---

(١) الصافات: ٧٦.

وقالوا لـه: ﴿...مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَـا...﴾ حيـث تمـسكوا بالمماثلـة بيـنهم وبينـه إذ لا فـرق مـن حيـث الخلقـة بـين نـوح وقومـه ولا مـن حيـث الانسانية، وتصوروا أنه لو كان نبياً لما كـان يـشبههم بـشيء، بـل كـان شـيئاً آخر. هذا هو الرد الأول.

والرد الثاني: قالوا له بعد تكرار دعوته لهـم: ﴿...وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الذِينَ هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ...﴾ فكانوا ينظرون الى كـل مـن آمـن بنـوح على أنه رذيل خسيس، أي نظرة أستعلاء وتكبّر، وأنهـم مـن طبقـة وهـؤلاء المؤمنون من طبقة.

الرد الثالث: قالو له: ﴿...وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا من فَضْلٍ...﴾ والمراد به مطلق الفضل. وكان قوم نوح يتمتعون بمزايـا الحيـاة الـدنيا كالمـال والبنـين والعلم والقوة. ولذا قالوا ليس معكم شيء أنتم به أفضل منا كعلـم الغيـب أو قوة ملكوتية حتى نتبعكم. هذا مجمل ما في سورة هود.

وأما ما ادعوه من إغراق الله للأراذل الـذين اتبعـوا نوحـاً عليـه الـسلام فهـو محـض افتـراء. وبيانـه: إن (الكـرب) الـوارد فـي آيـة الـصافات معنـاه الطوفان، والمراد بأهلـه: أهـل بيتـه ـ أولاده ـ والمؤمنـون بـه مـن قومـه. وقـد عرفنا معنى الأهل الذي يطلق على عيال الرجل وكـل مـن هـو مـن خاصـته. والمؤمنـون الـذين هـم أراذل فـي نظـر قـومهم هـم خاصـة نـوح وخالـصته. ومقتضى الحال أن يكون هؤلاء معـه فـي الـسفينة ولـم يغرقـوا. فكيـف قـال مثيرو الشبهة: أغرقهم الله. ولو فعل ذلك ـ وحاشاه ـ فقد ساوى بين المـؤمنين بنوح وقومه الفاسقين، لأنه سبحانه وصفهم بالفسق، حيث قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ

مِّن قَبلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[١] وهل يتساوى عند الله المؤمن والفاسق وهو القائل: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ﴾[٢]؟

الشبهة التاسعة والثلاثون:

«ما جاء في سورة الأنعام ﴿الذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الذينَ خَسرُواْ أنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمنُونَ﴾[٣] مناقض لما جاء في سورة الجمعة: ﴿مَثَلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْملُوهَا كَمَثَلِ الْحمَارِ يَحْملُ أَسفَاراً بئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الذينَ كَذَّبُوا بآيَات الله وَالله لاَ يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمينَ﴾[٤]. وهنا أن أهل الكتاب يعرفون محمداً كما يعرفون أبناءهم. وفي سورة الجمعة يشبّه أهل الكتاب بالحمار الذي يحمل فوق ظهره كتباً لا يدري ما فيها. أليس هذا تناقضاً؟

ردها:

السفر لغة: قال ابن منظور: السِفر بالكسر: الكتاب، وقيل هو الكتاب الكبير وقيل: هو جزء من التوراة. والجمع أسفار. وقال الراغب: السِفر:

---

(١) الذاريات: ٤٦.

(٢) السجدة: ١٨.

(٣) الأنعام: ٢٠.

(٤) الجمعة: ٥.

الكتاب الذي يُسفر عن الحقائق. وجمعه أسفار.

الحمار لغة: قال الراغب: الحمار: الحيوان المعروف، وجمعه حمير وأحمِرَة وحُمُر. ثم قال: ويعبّر عن الجاهل بذلك. كقوله تعالى: ﴿...كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ اَسْفَاراً...﴾.

في هذه الشبهة يخصّ الحديث أهل الكتاب من الكافرين. ولذا حاولوا هنا الدفاع عن أنفسهم وإبعاد صفة ذميمة فيهم. وهي إخفاء الحقائق، وعدم الكشف عنها؛ لأنها لاتتلاءم وهواهم. والآية/٢٠ تكفلت ببيان ذلك. وقبل أن نبحث الشبهة. علينا أن نمهد لها بالقول:

إن القرآن الكريم ومن قبله الكتب السماوية الأخرى حجة على من سمع لفظه وعرف معناه واهتدى الى مقاصده، أو فُسّر له لفظه وقَرع سمعه بمضامينه. فالقرآن العزيز وإن نزل بلغة العرب إلا أنه حجة على الناس كافة، وتشملهم آياته وأحكامه. ولهذا دعا النبي صلى الله عليه وآله الأقباط في مصر وأهل الحبشة والروم والفرس الى الإسلام، مع أن لسانهم غير لسان القرآن.

نعود الى الآية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ...﴾ لقد شهد الله ـ تبارك وتعالى ـ قبل هذه الآية على رسالة محمد صلى الله عليه وآله وهذه الآية جاءت إخباراً عما شهد به الله سبحانه في الكتب المنزلة على أهل الكتاب، وعَلِمَه علماؤهم مما عندهم من كتب الأنبياء من البشارة بعد البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله ووصفه، بما لا يتسرب إليه الشك. حتى صاروا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. ولكن بعض علمائهم يكتمون ما

عندهم من البشارات والأوصاف الواردة في النبي صلى الله عليه وآله ويترفّعون عن الإيمان به. فبيّن الله تعالى خسرانهم العقيدي.

إذن: هم يعلمون جيداً أن رسولاً سيبعث وقد بعث، ولكنهم يراوغون ويكتمون: «روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الله بن سلام - رجل يهودي -: هل تعرفون محمداً في كتبكم؟ قال: نعم واللهِ نعرفه بالنعت الذي نعته الله لنا إذا رأيناه فيكم، كما يعرف أحدنا ابنَه إذا رآه مع الغلمان. والذي يحلف به ابنُ سلام: لأنا بمحمد هنا أشدّ معرفةً مني با بني» فتعال معنا - آخى القارئ - الى الآية ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ...﴾ فإنها وصفت علماء اليهود الذين تعلموا التوراة وحملوها علماً إلاّ أنهم لم يحملوها عملاً أي لم يعملوا بها وصفتهم - هذا الصنف من العلماء دون غيرهم - بالحمار الذي يحمل على ظهره مجموعة من الأسفار التي تسفر عن الحقيقة ولكن هذا الحيوان لا يدري ما، فيها ولعدمِ استفادتهم من التوراة شبّههم بذلك. أي أنهم علموا ولم يعملوا فما فائدة علمهم. فهم ليسوا كما قالت الشبهة: إذا كانوا كالحمار فكيف يدرون ما في التوارة؟ هذه مغالطة. إنهم كانوا عالمين بما فيها ولكنهم غيرُ عاملين بها، فصاروا مجرّد حمّالمين لمفاهيم كتبهم لا أكثر. فليس على الآيتين غبار والمثل منطبق تمام الانطباق. فأين التناقض.

الشبهة الأربعون:

«جاء في سورة البقرة: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[(١)] ولكن أليس الملائكة معصومين عن الخطيئة، لأنهم خدم الله القائمون بطاعته وإنفاذ كلمته، وعبارة القرآن هنا تفيد أنهم غير معصومين. وهو خلاف الصواب. إذ ورد في القرآن ما يفيد عصمتهم. حسب ماجاء في سورة التحريم: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(٢)] وفي سورة الأنبياء: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾[(٣)] وجاء في سورة النحل: ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا

---

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) الأنبياء: ٢٠.

فِــــى الأَرْضِ مِــــن دَابَّــــةٍ وَالْمَلاَئكَــــةُ وَهُــــمْ لاَ يَــــسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] غير أن مسألة هاروت وماروت تكشف لنا عدم عصمة الملائكة فأي أقوال القرآن نصدق؟ وكم هو حجم التناقض هنا بين آية سورة البقرة وبقية الآيات التي تدل على عصمة الملائكة؟».

ردها:

الشيطان لغة: قال في اللسان: الشيطان: معروف، وكل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب: شيطان. وتشيطَنَ الرجلُ وشيطَنَ إذا صار كالشيطان وفعل فعله. وقال الراغب: الشيطان: النون فيه أصلية، وهو من شَطَنَ أي: تباعد، ثم قال: الشيطان اسم لكل عارمٍ من الجنّ والإنس والحيوانات.

الكفر لغة: قال في اللسان: الكفر نقيض الايمان... والكفر: كفر النعمة، وهو نقيض الشكر... والكفر: جحود النعمة، وهو ضد الشكر، ثم قال: والكفر أيضاً بمعنى البراءة كقوله تعالى حكاية عن الشيطان في خطيئته إذ دخل النار: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشرَكْتُمُون من قَبْلُ﴾ أي: تبرأت.

الفتنة لغة: قال في اللسان عن الأزهري وغيره: جِماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار. وأصلها مأخوذ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد. وقال في المجمع: والفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم قال: قوله: ﴿...إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ...﴾ أي ابتلاء من الله.

---

(١) النحل: ٤٩ ـ ٥٠.

في هذا الذي سموه تناقضاً اتهام لملكين من ملائكة الله وهما: (هاروت وماروت) واتهام آخر لنبي الله سليمان عليه السلام إذ قالوا: إنهم - أي اليهود - أخذوا السحر من الملكين ومن سليمان، وادعوا: إنما ملك سليمان المُلك وسخر الجِن والإنس والوحوش والطير، وأتى بغرائب الأعمال بالسحر لا غير، وينسبون بعض ما في أيديهم من السحر الى الملكين. فرد عليهم القرآن الحكيم:

بأن سليمان لم يكن يعمل السحر، كيف والسحر كفر بالله، وتصرّف في الكون على خلاف ما وضع الله العادة عليه. فلم يكفر سليمان وهو نبي معصوم. وهو أعلى منزلة وأقدس ساحة من أن ينسب إليه السحر. أما الملكان ببابل فقد برّأ الله ساحتيهما من الكفر والضلال، بأنه هو الذي أنزل عليهما السحر، ولا ضَيرَ فيه. فإنه فتنة وامتحان إلهي، كما ألهم النفس الإنسانية التقوى والفجور من باب الامتحان. مع أن الملكين ما كانا يعلّمان أحداً إلا ويقولان له: إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال ما تتعلمه من السحر في غير مورده، كإبطال السحر الذي انتشر فيهم. فعلّم الملكان الناسَ السحر لإبطال السحر، ولكن الناس تعلموه واستعملوه في غير مورده. حيث أخذوا يفرقون بين المرء وزوجه، واستعملوه في موارد الشر.

كل ذلك كان بسبب اتباع اليهود ما كذبت الشياطين على سليمان عليه السلام. وإنما كذبت الشياطين من الجن على سليمان؛ لأنه كان يحجبهم في حياته عن الإفساد الذي يصدر عنهم. ومعلوم لدى العاقل أن السحر أشأم منابع الفساد في المجتمع الانساني. وعلم ذلك من قول موسى

عليه السلام: ﴿...وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[١]. فكان اليهود عالمين بكون السحر شراً لهم، مفسداً لآخرتهم، ولكن لم ينفعهم علمهم شيئاً؛ لأنهم لم يعملوا بما علموا. وإن العلم إذا لم يهد صاحبه الى الحق كان ضلالاً وجهلاً لا علماً.

إذن: لم يعص سليمان، ولم يكفر وهو النبي الممدوح في كتاب الله، كذلك لم يعص الملكان ببابل ولم يكفرا، وإنما أراد الله أن يعالج ظاهرة اجتماعية منحرفة اعتمدت السحر، فبعث الله الملكين الى أهل بابل ليعلّماهم كيفية إبطال السحر، ولكن بعض شواذّ المجتمع تعلموه وأضروا به غيرهم. فأين الخطيئة التي ارتكبها الملكان فكانا في نظر أصحاب الشبهات عاصيين؟

الشبهة الواحدة والأربعون:

«ورد في سورة الأنبياء: ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾[٢] ولكن باعتبار أن الجانّ كائنات حية. فهل هي من الماء أم من النار كما ورد في سورة الرحمن: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[٣] وفي الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ

---

(١) طه: ٦٩.

(٢) الأنبياء: ٣٠.

(٣) الرحمن: ١٥.

وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1] وكما نعلم فالنار والماء لا يمتزجان ولا يجتمعان. وهذا تناقض واضح».

ردها :

الجانّ لغة: قال ابن منظور: والجانّ: أبو الجن خُلق من نار ثم خُلق منه نسله. وقال الراغب: وقوله تعالى: ﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[2] فنوع من الجنّ.

الحي لغة: قال ابن منظور: والحي من كل شيء: نقيض الميت، والجمع أحياء. والحي كل متكلم ناطق. والحي من النبات: ما كان طريا يهتز.

جعل لغة: قال ابن منظور: وجَعَلَه يجعلُه جَعْلاً صنعه، وجعله صيّره. وقال الزجاج: وجعل عمل وهَيّأ. وجَعَل: خَلَق.

وادعوا تناقضاً واضحاً إذ قالت الآية: ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾ والجانّ شيء من الأشياء، لكنه مخلوق من نار كما هو صريح آية سورة الرحمن والآية ١٢ / الأعراف. والماء شيء والنار شيء آخر لا يتحدان. وتغافلوا عن أن الله ـ عزوجل ـ (جعل) أي خلق كل الأحياء، وكان للماء دخلٌ مهم في وجودها. فلولا الماء لما صار الإنسان ولا الحيوان ولا النبات. وأنت ترى ـ أخي القارئ ـ هذه المخلوقات الحيّة الثلاثة مادية ومحسوسة. وآية ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾

---

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) الحجر: ٢٧.

جاءت في سياق تعداد الآيات المحسوسة فقط. وهذا يوجب الانصراف عن الملائكة والجانّ. فإن حكم الجعل الذي في الآية ـ مورد البحث ـ لا يشملها. فتلك مخلوقات خاصة غير محسوسة. ولها عالم خاص لم تتطرق هذه الآية إليها هنا. فلا شبهة حينئذٍ.

الشبهة الثانية والأربعون:

«هناك وجهات نظر متضاربة في ادعاء محمد النبوة. ففي سورة النجم[١] ذكر فيها أن الله نفسه أوحى إليه. بينما في سورة النحل[٢] والشعراء[٣] ذكر فيهما أن روح القدس نزل الى محمد. أما سورة الحجر[٤] فقد جاء فيها أن العديد من الملائكة نزلوا على محمد. وما جاء في سورة البقرة[٥] يؤكد أن الملاك جبرئيل واحد فقط. علماً أنه لم يذكر لا في القرآن ولا في الإنجيل أن جبرئيل ذاته روح القدس».

ردها:

روح القدس لغة: قال ابن منظور: وروح القدس: جبرئيل عليه السلام وفي الحديث: «إن روح القدس نَفَثَ في رُوعي» يعني جبرئيل عليه السلام،

---

(١) النجم: ٦ ـ ١٥.

(٢) النحل: ١٠٢.

(٣) الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤.

(٤) الحجر: ٨.

(٥) البقرة ٩٧.

لأنه خلق من طهارة. وقال الراغب: (نزل به الروح الأمين) سمي به جبرئيل، وسمّاه بروح القدس في قوله: ﴿...وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾[١].

إن خلط الأوراق والتعامي عن الحقيقة لا يُفضي الى نتيجة محمودة. ولاندري لماذا عمد هؤلاء الى هذا الاسلوب؟ لقد شيدوا نظريات متضاربة في طريقة الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: مرة كان الوحي من الله ـ عزوجل ـ ومرة جبرئيل هو الذي ينزل عليه، ومرة قالوا: روح القدس، وفي أخرى قالوا: نزل العديد من الملائكة. إذن هي أربعة أقوال.

والذي يتابع سورة النجم من البداية يرى أن جبرئيل الذي لقّبه القرآن بـ (شديد القوى) هو الذي كان يعلّم النبي صلى الله عليه وآله بوحي الله وكان مصاحباً له في رحلة المعراج. وفي سورة النحل جاء تلقين الله للنبي بـ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ من رَّبِّكَ...﴾[٢] أي جبرئيل نفسه. وله اسم آخر في سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ به الرُّوحُ الاَمينُ﴾ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾[٣] لأنه عليه السلام مؤتمن على الرسالة المبعوث بها الى النبي صلى الله عليه وآله فلا يغير شيئا من كلام الله بتبديل أو تحريف، بعمد أو سهو أو نسيان. إذن المعنيُّ هنا أيضاً جبرئيل بدليل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾[٤] وفي كل الآيات التي حكت

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) النحل: ١٠٢.

(٣) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) البقرة: ٩٧..

نزول الوحي والقرآن الكريم كان بوساطة جبرئيل عليه السلام وليس غيره.

أما قولهم: نزلت على النبي صلى الله عليه وآله الملائكة لتبليغ الرسالة أو القرآن فهذا ما لا وجود له في كتاب الله.

أما آية سورة الحجر التي ادعوا فيها أن ملائكة كانت تنزل، فهي دعوى بلا دليل؛ لأن الآية تحدثت عن شيء آخر وهو: أن الكفار اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينزل عليهم ملائكة حتى يصدقوا دعوى نبوته، فجاءت هذه الآية ﴿**مَا نُنَزِّلُ الْمَلائكَةَ إلاَّ بالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إذاً مُّنظَرينَ**﴾[1] جواباً على ما اقترحوه على النبي. ومحصل الجواب: أن السنة جارية على ستر الملائكة عن الناس تحت ستار الغيب. فلو أنزلهم وأظهرهم لهم حسب اقتراحهم، لكان ذلك آية سماوية خارقة للعادة. ومن شأن الآية المعجزة الخارقة النازلة حسب طلبهم أن يعقبها عذاب الاستئصال والهلاك القطعي إن لم يؤمنوا بها. ولما كان هؤلاء كفاراً معاندين غير مذعنين كان نزول الملائكة يعني هلاكهم. من غير ان يكونوا مُنظَرين. فأين ما في هذه الآية مما في الآيات السابقة؟

هذا هو الخلط الذي أشرنا إليه وهدفه التشويش المتعمد.

---

(١) الحجر: ٨

الشبهة الثالثة والأربعون:

«من الطريف أن محمداً هو المتكلم في العديد من الآيات. فكيف يمكن اعتبار القرآن قد أوحي الى محمد. وفي نفس الوقت نجد أنه ذاته المتكلم. انظر السور والآيات التالية: سورة الحمد[١]، وسورة آل عمران[٢]، وسورة غافر[٣]، وسورة الزخرف[٤]، وغيرها».

ردها:

القيّوم لغة: عن اللسان: قال الزجاج: القَيّوم والقَيّام في صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى: القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم. وقال مجاهد: القيوم: القائم على كل شيء، وقال قتادة: القيوم: القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم. وقال الراغب: وقوله: ﴿**اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...**﴾[٥]: القائم الحافظ لكل شيء، والمعطي له ما به قوامه.

الحمد لغة: قال في اللسان: الحمد: نقيض الذم، ويقال: حمدته على فعله، ومنه المحمدة خلاف المذمّة. ونقل عن الأزهري: والحمد قد يكون

---

(١) الحمد: ٥ ـ ٧.

(٢) آل عمران: ٢.

(٣) غافر: ٦٥.

(٤) الزخرف: ٨٨ ـ ٨٩.

(٥) البقرة: ٢٥٥

شكراً للصنيعة، ويكون ابتداءاً للثناء على الرجل. فحمد الله: الثناء عليه ويكون شكراً لنعمه التي شملت الكل. والحمد أعمّ من الشكر.

القيل لغة: جاء في اللسان عن الليث: تقول العرب: كثر فيه القال والقيل، ويقال إن اشتقاقهما من كثرة ما يقولون: قال وقيل له. ويقال: بل هما اسمان مشتقان من القول.

في هذه الشبهة قالو: إن في القرآن كلاماً لمحمد صلى الله عليه وآله وجملاً جرت على لسانه هو. فكيف تقولون: إن القرآن نزل به جبرئيل من عند الله؟ وفي الشبهة السابقة كانوا يشككون في الوسيط بين الله وبين رسوله. أما هنا فشككوا في أصل بعض الآيات ومُنشئها. وهي التي جرت على لسانه صلى الله عليه وآله بإيحاء من الله ـ عزوجل ـ ففي سورة الفاتحة التي هي كلها تعبير عن رغبة المؤمن سواء أكان نبياً أم غيره، في أن يبلغ أعلى مستويات الهداية ويسلك الصراط المستقيم، وألا يكون من الذين غضب الله عليهم كاليهود مثلاً، أو الذين ضلّوا كالنصارى. وهذه السورة نزلت بهذا الشكل والسياق لتعلّم الأمة وتوجهها في العبادة. وأن تبغي أسمى هدف وهو الفوز بالجنة التي طريقها الصراط المستقيم.

إذن. السورة كلها تلقين للعبد من قبل الله تعالى بحمد نفسه، وما ينبغي أن يتأدب به العبد عند وقوفه موقف العبودية. وقد جاء فيها اعتراف العبد بحقيقة ملك الله تعالى الذي لا ينفك عن التدبير العام للكون ومافيه.

والمحصلة النهائية: إن كل الخطابات القرآنية التي تشبه ما في سورة الحمد والتي فيها تلقين للنبي صلى الله عليه وآله مثل الجمل التي تأتي بعد

كلمة (قل) نحو: ﴿...قُل لاَّ اَساَلُكُمْ عَلَيـه اَجـراً...﴾ أو ﴿قُـلْ إن كُنـتُمْ تُحبونَ اللّهَ...﴾ أو ﴿قُلْ يَا اَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وغير ذلـك. فإنهـا كـلام الله لا محالة، وليست من تأليف النبي صلى الله عليه وآله. وذلك لوجـود الإعجـاز القرآني فيها. وهذا دليل على أنها من عند الله. ولو كانـت تلـك الجمـل مـن عنده صلى الله عليه وآله لكانت قابلـة للـنقض والمجـاراة والمعارضـة. وهـو مالم يحصل الى الآن منذ أربعة عشر قرناً مضت. وسوف يبقـى القـرآن كلـه بمختلف خطاباتـه وقصـصه وأخبـاره عـن الأمـم السابقة وعمـا سيأتي آيـةً معجزةً للبليغ في بلاغته، وللحكيم في حكمته، وللعالم فـي علمـه، وللمقـنّن في تقنينه، وللسياسي في سياسته. ولم يقتصر تحدي القرآن أعداءه بنصوصه التي فيه، بل تعدى ذلك الى تحـديهم بـشخص النبـي صـلى الله عليـه وآلـه. ذلك الرجل الأمي الذي لم يتعلم عند معلم أبداً طيلة حياته، ولم يُعرف عنـه غير أنه رجل صادق أمين. فمن أين جاء دفعةً واحـدة بهـذا المعجـز العظـيم الذي كلّت عنه ألسنة البلغاء، وخضع له أرباب الأدب. لولا أن يكون كل ما جاء به من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ وأشرف ما جاء به هو القرآن الخالد.

الشبهة الرابعة والأربعون:

«هناك آراء متضاربة في خلق الانسان. ففـي سـورة الفرقـان يـذكر أن الانسان خلق من ماء، أما في سورة يس فذكر أنه خلق من نطفة، وفي سورة ص ذكر أنه خلق من طين. علماً بأن ماورد في سجلات الحفريات لا يـساند نظرية التطور الداروينية».

ردها:

النطفة لغة: قال ابن منظور: والنُطفة: الماء القليل يبقى في الدلو، ثم قال: والنطفة: التي يكون منها الولد. وقال الجوهري: والنطفة: ماء الرجل، والجمع نُطَف. وقال الراغب: النطفة: الماء الصافي، ويعبّر بها عن ماء الرجل.

الخصيم لغة: قال ابن منظور: والخصيم: كالخصم، والجمع: خُصَماء وخَصْمان. وقال: وخصمك: الذي يخاصمك، وجمعه: خُصوم. وقال الراغب: والخصيم الكثير المخاصمة، قال: (هو خصيم مبين).

سوّيت لغة: قال ابن منظور: وساويت بينهما أي سويت ثم قال: وسويت الشيء فاستوى. وفي معناه قوله تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[1].

في هذه الشبهة آثاروا دعوى اختلاف النظريات في كيفية خلق الإنسان. ففي سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً...﴾[2] وفيها أشار الله ـ عزوجل ـ الى ضعة هذا الانسان الذي يجادلنا من دون علم، ويخاصمنا ويحاججُنا وهو في الأصل مخلوق من الماء. والماء هنا: (النطفة) وهي ماء واحد ولكن الله بقدرته جعل منه نسباً وهم أقرباء الرجل من جهة الأب (وصهراً) وهم أهل بيت الزوجة. وربما أراد بالماء مطلق الماء الذي جعل منه كل شيء حي. وأما قوله تعالى

(١) الانفطار: ٧.

(٢) الفرقان: ٥٤.

﴿اوَلَمْ يَرَ الإنسَانُ انَّا خَلَقْنَاهُ من نُّطْفَة فَإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[١] فقد صرحت بأصل خلقة الإنسان وهو النطفة. والمقصود هنا بالانسان ليس آدم عليه السلام فإنه لم يخلق من نطفة. وهذه الآية تذكّر المنكرين للبعث، والمعاندين الذين يعلمون بأنا خلقناهم من نطفة فجاؤوا يجادلوننا ويخاصموننا في أمور حقيقية لا تقبل الشك، وترفض الجدال. وقد نكّرها فقال: (نطفة) لغرض تحقيرها. وقال تعالى ﴿فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه من رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٢] وفيها إشارة الى الخلق الأول. وهو خلق آدم عليه السلام فإنه كان من طين وماء. فالنظرية الإسلامية لكيفية الخلق واحدة. وهي أن آدم عليه السلام خلق من طين ثم خلقت حواء منه، ثم تكاثرت البشرية عن طريق التزاوج المتعارف. فأين النظريات المتضاربة، وماعلاقتنا بنظرية داروين التي نقضها العلم وفنّدها؟

الشبهة الخامسة والأربعون:

«قال في سورة البقرة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ اَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِى الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ...﴾[٣] ثم نرى بعض الأحاديث الصحيحة أن النبي كان يتكئ في حجرعائشة وهي

(١) يس: ٧٧.

(٢) ص : ٧٢.

(٣) البقرة: ٢٢٢.

حائض[1]. وتقول في حديث آخر: «كنت أغتسل أنا والنبي من إناء واحد كلانا جنب... وكان يأمرني فأتزر، فيباشرني وأنا حائض»[2]. وعن زينب بنت أبي سلمة تقول: «حضت وأنا مع النبي في الخميلة فانسللت فخرجت منها فأخذت ثياب حيضي فلبستها فقال لي رسول الله: أنفستِ؟ قلت: نعم، فدعاني فأدخلني معه في الخميلة. قالت إن النبي كان يقبلها وهو صائم. وكنت اغتسل أنا والنبي من إناءٍ واحد من الجنابة»[3]. فلماذا لم يطع محمد أمر القرآن بأن يعتزل النساء وقت الحيض مطيعاً للقرآن؟ ولماذا لا يذهب الى زوجة أخرى وقت حيض غيرها. وقطعا لايتفق أن تكون كل نسائه حائضات في وقت واحد. لماذا الإصرار على واحدة حائض وعنده الكثيرات غيرها. ثم أليس الاعتزال صريحاً في الآية غاية الصراحة. فلمَ المعصية وهو القدوة التي يجب أن يكون معصوماً من الخطيئة والهوى».

ردها:

المباشرة لغة: قال في اللسان: ومباشرة المرأة: ملامستها، ثم قال: وفي الحديث: أنه كان يقبّل ويباشر وهو صائم. أراد بالمباشرة الملامسة. وأصله من لمس بشرة الرجل بشرة المرأة، وقد يرد بمعنى الوطء في الفرج وخارجاً منه.

اعتزل لغة: قال في اللسان: واعتزل الشيء وتعزّله، ويُعدَّيان بعن: تنحّى

(١) صحيح البخاري: ٢٩٣.

(٢) صحيح البخاري: ٢٩٥.

(٣) صحيح البخاري: ٣١١.

عنه، ثم قال: واعتزلت القوم أي فارقتهم، وتنحّيت عنهم. وقال الراغب: يقال: عزلته واعتزلته وتعزلته فاعتزل. قال تعالى: ﴿...فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء...﴾.

إن جميع المسلمين يقدسون جميع الأنبياء السابقين، ويحترمونهم، بل الإيمان بهم جزء من الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وآله؛ لأن تكذيبهم تكذيب له. وذلك عين الكفر. ولذا لا تجد مسلماً ينسب عملاً منكراً الى واحد منهم عليهم السلام على الإطلاق، ولكن مثيري هذه الشبهات يتجرّأون على المقام الشريف لنبينا صلى الله عليه وآله وينسبون إليه فعل المعصية ومخالفةَ القرآن الذي نزل عليه اعتماداً على رواية لايُدرى مدى صحتها. ويصرون على أنه لما كان قدوة، وللمسلمين به أسوة فكيف يباشر زوجته وهي حائض؟ وهذه الشبهة قائمة على مقدمة خاطئة. ومعلوم أن المقدمات إذا كانت خاطئة فالنتائج تكون خاطئة كذلك. ومنشأ الخطأ هو:

لقد فهموا قوله ﴿...فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء...﴾ أنه لا يجوز للرجل مداعبة زوجته الحائض، ولايجوز له لمسها وليس فقط لايجوز له مواقعتها أثناء الحيض. وهذا واضح البطلان. إذ يجوز للرجل تقبيل زوجته وهي حائض أو مداعبتها والاستمتاع بها. ولكن يحرم عليه وطؤها. وحديث عائشة لاندري مدى الاعتماد عليه والوثوق به. وربما قصدت بالمباشرة: المداعبة واللمس حسب ماجاء في التعريف وليس الوطء. وإلا فلا يُعقل أن ينهى رسول الله عن شيء ويمارسه هو، بل كان إذا نهى عن فعل شيء كان أول من ينتهي، وإذا أمر بفعل شيء كان أول من يبادر إليه.

زد على ذلك. إن النفس تستقذر مثل هذا العمل فكيف تلتذ بمزنمع

قذر؟ وهو صلى الله عليه وآله يعلم بأن مراعاة حرمة الفعل أهم من مراعاة استقذار النفس له. فتبين أن هذه الشبهة خالية من القيمة العلمية ولا ينقصها الا الصدق الصُراح.

ثم نقول لهؤلاء: إنكم أرسلتم هذه الشبهات الى موقع شيعي فليس من الصحيح أن تستدلوا على مدعاكم بدليل من صحيح البخاري.

الشبهة السادسة والأربعون:

«نجد في الموقف الواحد وفي القصة الواحدة وصفين مختلفين كل الاختلاف لشيءٍ واحد. ففي سورة النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَما رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّى لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[1] أما في سورة القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَما رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾[2]».

ردها:

الإدبار لغة: قال في اللسان: وأدبر إدباراً ودُبْراً: ولّى... ثم قال: ودبر النهار وأدبر: ذهب وقال الراغب: وقرئ: (وإدبار النجوم)... فإدبار مصدر مجعول ظرفاً.

---

(١) النمل: ١٠.

(٢) القصص: ٣١.

عقّب لغة: قال في اللسان: عقّب في الأمر إذا تردد في طلبه مُجداً. وعقّب عليه: كرّ ورجع ثم قال: والمعقّب: المنتظر... والمعقّب الذي يكرّ على الشيء. وقال الراغب: وقوله: ﴿...وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ...﴾ أي: لم يلتفت وراءه».

لاندري ما الذي أثار استغراب هؤلاء من الآية[1] التي اشتملت على أمر الله سبحانه لموسى عليه السلام أن يلقي عصاه لتلقف حبال السحرة وعصيهم. لأن عصاه ستتحول بقدرة الله القادر على كل شيء الى ثعبان حقيقي يلتهم كل ما يلقونه. وقد مرّ بنا بعض ذلك. وفعل موسى ما أُمر به، ولكنه لما رأى العصا تحولت الى ثعبانٍ حي ـ وهو لم يشاهد ذلك من قبل ـ خاف منه، فطمأنه الله ـ عزوجل ـ قائلاً: ﴿...يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ...﴾ فأنا الذي حولت عصاك الى ثعبان، وأنا الذي ﴿...لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ لأنك في حياطتي وأمني. ومن يكن كذلك لايخاف ولايوجل، بل هو في أمن مطلق من كل سوء ومن كل عدو.

وهذا نظير ما في سورة القصص[2] غير أن تغييراً في الألفاظ طرأ عليها وبقي المعنى واحداً. ومثله مرّ بنا وتحدثنا عنه. ومجمل الآيتين أن موسى عليه السلام ألقى العصا فتحولت الى ثعبان فخاف فطمأنه الله. وقوله: ﴿...وَلَمْ يُعَقِّبْ...﴾ أي لم يكرّ بعدما فرّ، فخاطبه الله إنك في حضرتي فلا تخف. وليس بين الآيتين أي تعارض أو تناقض. ولكن الذي في نفسه

---

(١) النمل: ١٠.

(٢) القصص: ٣١.

حاجة يؤوّل الأمور حسب ما يشتهي.

الشبهة السابعة والأربعون:

«جاء في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[1]. هنا يَعد الله المؤمنين بأن الواحد منهم يغلب عشرة والعشرين مائتين، والمائة ألفاً. ولكن حين حلّت الهزيمة، نزلت آية أخرى مغايرة تقول: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]. وهنا صحّح الله الوضع!! لا والغريب أن يرد النص التالي: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً...﴾ عجيب... كيف لا يعلم الله الضعف وهو العالم بكل شيء، وكيف يخطأ في التقدير فيغير وعده السابق بوعد جديد على ضوء العلم الجديد الذي علمه؟ أوليس هو العالم بما في الأرحام وما في الغيب، فكيف يغيب عنه العلم بضعف رجال محمد، فينكر سابق قوله ويقول بلهجة اعتذارية: (الآن..)؟».

---

(١) الأنفال: ٦٥.

(٢) الأنفال: ٦٦.

ردها:

التحريض لغة: قال في اللسان: التحريض: التحضيض. قال الجوهري: التحريض على القتال: الحث والإحماء عليه. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...﴾. وقال الراغب: التحريض: الحثّ على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه.

الفقه لغة: قال في اللسان: الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله... وقال الراغب: الفقه: هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد. فهو أخصّ من العلم.

الضّعف لغة: قال في اللسان: الضَّعْف والضُّعْف: خلاف القوة، وقيل: الضُّعف بالضم: في الجسد، والضَّعف بالفتح: في الرأي والعقل. وقال الراغب: الضعف: خلاف القوة، وقد ضعف فهو ضعيف ثم قال: قال الخليل رحمه الله: الضُعف بالضم في البدن، والضَعف في العقل والرأي.

جاء في الآية الاولى وعد الله المؤمنين إن صبروا يغلب العشرون منهم مائتين، ثم نراه صحّح وعده فقال في الآية الثانية ﴿...فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ...﴾[1] ثم قالوا: كيف يقول القرآن ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً...﴾ فأين علمه السابق حتى علم الآن. ونقول لهؤلاء:

إن الآية / ٦٥ أشارت الى قوى المؤمنين الروحية التي كانت على أعلى مستوياتها كما في معركة بدر حيث انتصر المسلمون وهم (٣١٣)

---

(١) الأنفال: ٦٥.

رجلاً مع قلّتهم وضعف عدتهم قياساً الى قوة المشركين. أي لما كانت السجايا النفسانية مثل الشجاعة والتضحية والإيمان بالهدف المشروع عالية رأينا أن النصر كان في جانب المسلمين إذ قتلوا من المشركين (٧٠) رجلاً وهو ما يعادل ١٤٪ منهم وقد أشاد الله بهذا النصر وخلّده في قرآنه المجيد الى يوم القيامة.

وبعد معركة بدر وانتشار خبر النصر فيها، ازداد عدد المسلمين. ومن المعلوم أنه كلما ازداد عدد الأفراد في المجتمع ازداد عدد ضعفاء الايمان، والذين في قلوبهم مرض، وازداد عدد المنافقين كذلك. وهو ما حصل بالفعل. الأمر الذي أدى الى نزول مستوى الروحية والصفات النفسانية.

وفي المقابل ازداد الطموح الى الراحة ونعمة الرفاه. ولذا تجد البواعث الروحية للجهاد قد بدأت بالخمول عند الكثيرين. وانعكس ذلك في معركة أحد. فلم يحقق المسلمون ما حققوه في بدر، بل خالفوا رأي قيادتهم وتسببوا في إحداث ثغرة للعدو فقتل من الصحابة من قتل، وكاد رسول الله صلى الله عليه وآله يقتل نتيجة قلة الهمة، وحداثة الإسلام في نفوس المسلمين الجدد. ولهذا تجد الآية ٦٦ قد خفضت مستوى النسبة من (١) مقابل (١٠) الى (١) مقابل (٢) وذلك تبعا لنزول مستوى الاستعداد. لا أن الله صحّح معلوماته، ولا علم بعد أن لم يكن يعلم. كيف وهو بكل شيء عليم؟! أي تغيّرُ الموقف الإلهي منهم وتغيّرُ النسبة في الآية الثانية تابع الى استعدادهم النفسي ووعيهم الديني فقال تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ...﴾ فالذي غير النسبة في الواقع هم أنفسهم، وليس الله جلّ شأنه، ولم

يُنكر سبحانه وعده السابق بل ثبّته لهم وعلّل ذلك بأن الكافرين لا يفقهون الأحكام المتعلقة بالجهاد. وأنتم أيها المسلمون تعلمون ذلك ولذا ضحيتم وصبرتم ﴿...وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. فأين ما ذهب إليه مثيرو الشبهة من الأوهام؟

الشبهة الثامنة والأربعون:

«جاء في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1] وهنا نرى أن هناك رسلاً مفضلين عند الله. وبعضهم رفع درجات على الآخر. ولكن في الآيات التالية نرى أن لا فرق بينهم. فقال في سورة البقرة: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2] ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) البقرة: ١٣٦.

مِّن رُّسُلِه وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ الْمَصِيرُ﴾[١]. وفي سورة آل عمران: ﴿قُلْ آمَنَّا بِالله وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالاَسْبَاط وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢] فكيف لايفرّق الله بين أنبيائه ورسله، ثم يفرق ويفضل هذا على ذاك ويرفع بعضهم على بعض درجات؟».

ردها:

فضّل لغة: قال ابن منظور: وفضّلته على غيره تفضيلاً إذا حكمت له بذلك أو صيّرته كذلك. وقال الراغب: ما ملخصه: التفضيل قد يكون لأمر ذاتي في الانسان ومنه قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾[٣].

الرفع لغة: قال ابن منظور: والرفع: ضد الوضع، رفعته فارتفع فهو نقيض الخفض في كل شيء.

فرّق لغة: قال الراغب: وقوله: ﴿...لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّن رُّسُلِه...﴾ إنما جاز أن يجعل التفريق منسوباً الى (أحد) من حيث إن لفظ (أحد) يفيد في النفي، ثم قال: والفراق والمفارقة تكون بالأبدان أكثر. وقال ابن منظور: وفرّق بينهم: كفرَق. هذه عن اللحياني. وقال في المنجد: فرّق تفريقاً وتفرقةً

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) آل عمران: ٨٤

(٣) النساء: ٣٤.

الشيءَ: وزّعه وبدّده.

لاشك في أن الله ـ عزوجل ـ فضّل بعض الرسل على بعض لمقاماتهم ودرجاتهم، ولكنهم جميعاً يشتركون في فضل الرسالة. والرسالة في نفسها فضيلة. إذن. فيما بين الرسل اختلاف من هذه الناحية. وهذا شيء لا ينكر. وكذلك يوجد اختلاف بين أممهم في الإيمان والكفر والنفي والإثبات.

وهذا الاختلاف الموجود بين الأمم كان سبباً لوقوع القتال بينهم. وبالجملة أن القتال بين أمم الأنبياء من بعدهم لا مناص عنه لأنه نابع عن الاختلاف فيما بينهم. ومعلوم أن الرسالة السماوية تدحض الباطل وتزيل الشبهة، والبغي واللجاج. وباقي الرذائل لا سبيل الى تصفيتها من الأرض. هذا مجمل ما في الآية[1]. وأما الآية[2] فتضمنت الإشارة الى أن اليهود والنصارى يفرقون بين الأنبياء، فيعدّون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط من أهل ملتهم. فاليهود من اليهود، والنصارى من النصارى. وكانوا يعتقدون بأن الملّة الحق من النصرانية أو اليهودية هي ما نزّل الله على موسى وعيسى. ولذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بأن يقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ وذلك لما طلبوا منه أن يتبع مذهبهم. فردّ النبي صلى الله عليه وآله على طلبهم بطلب آخر. وهو: أن يقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وهو القرآن، والإيمان بما عند الأنبياء عليهم السلام وهو الإسلام من غير فرق بينهم.

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) البقرة: ١٣٥.

فالإسلام لا يفرق بين دعوة الأنبياء وحملهم الرسالة وهداية الناس، ونبذ الشركاء والإذعان الى الحق. فهذه مشتركات بين جميع الأنبياء. ونحن نؤمن بهم جميعاً ولا نفرق بين أحد منهم، ونؤمن بما نزل عليهم، وبما جاؤوا به، ولكن اليهود والنصارى فرّقوا.

أما الآية[١]، ففيها تصديق لإيمان الرسول والمؤمنين بما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وآله. وكل ما أنزل كان يدعو الى الإيمان وتصديق الكتب والرسل والملائكة. فمن آمن بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وآله فقد آمن بجميع ذلك. ولسان حال المؤمنين بدعوة محمد صلى الله عليه وآله يحكي أنهم ما كانوا يفرقون بين أحد من رسل الله، ولكن اليهود فرّقوا بين موسى وعيسى ومحمد، والنصارى فرّقوا بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وانشعبوا شعباً، وتحزّبوا أحزاباً. وقد كان الله خلقهم أمة واحدة على الفطرة.

وأما سورة آل عمران، ففيها أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يجري على الميثاق الذي أخذ منه ومن غيره، فيقول عن نفسه وعن المؤمنين من أمته: ﴿**قُلْ آمَنَّا بِالله وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالاَسبَاط وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[٢] أي أن اعتقادنا بجميع الأنبياء واحد مع اختلاف منازلهم ودرجاتهم عند الله. فذلك أمر

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) آل عمران: ٨٤

راجع إليه سبحانه.

أما قولهم: إن الله يفرق بين أنبيائه ورسله فإنه لم يرد في نصّ مقدّس، ولكن ورد على لسان هذه الشبهة. والوارد أن الله تعالى يفاضل بين أنبيائه ورسله. وأما اليهود والنصارى فقد فرّقوا وهذا أمر واضح، ولكن أصحاب الشبهات يبذلون جهد العاجز لعلهم يتمكنون من عقل شاب مسلم ولكن هيهات.

الشبهة التاسعة والأربعون:

«ورد في القرآن أن ابراهيم الخليل هو مسلم أيضاً مع أنه ظهر سنة (٢٧٠٠ قبل ظهور الدعوة المحمدية) في جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق حالياً) فكيف يصح هذا؟ اسمع ما يقول في سورة آل عمران: ﴿**مَا كَانَ إِبرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً...**﴾[١] ثم إن محمداً نفسه يقول في الأنعام: ﴿**...وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٢] فمن نصدّق يا ترى؟».

ردها:

الحنيف لغة: قال في اللسان: الحنيف: المائل من خير الى شر، أو من شرّ الى خير، ثم قال: والحنيف: المسلم الذي يتحنّف عن الأديان. أي يميل الى الحق. وقال أبو زيد: الحنيف: المستقيم. وقال أبو منصور: والحنيف:

---

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) الأنعام: ١٦٣.

الصحيح الميل الى الإسلام والثابت عليه. وقال الراغب: وتحنّف فلان، أي: تحرّى طريق الاستقامة.

اليهود لغة: قال ابن منظور: وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الذينَ هَادُواْ...﴾ معناه دخلوا في اليهودية ثم قال: وجمع اليهودي: يهود، كما يقال في المجوسي: مجوس. والهُود : اليهود، هادوا يهودون هوداً. وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي: تابوا ثم قال: التهويد أن يصير الانسان يهودياً. ويهود: اسم للقبيلة معرّب عن يهوذ.

النصارى لغة: قال في اللسان: ونَصَرى ونَصْرى وناصرة ونَصورية: قرية بالشام. والنصارى منسوبون إليها. وقال الراغب: والنصارى قيل: سمّوا بذلك لقوله: ﴿...كُونوا انصَارَ الله...﴾ وقيل سمّو بذلك انتساباً الى قرية يقال لها: نصرانة، فيقال: نصراني.

قالوا: كيف يكون إبراهيم عليه السلام مسلماً بنص القرآن والدعوة المحمدية لم تظهر بعد؟ فنقول:

إن الآية[١] مثار البحث أشارت الى أن نزاعاً كان قائماً بين اليهود والنصارى حول نسبة إبراهيم عليه السلام الى كل طرف منهما. فقال اليهود إن الدين الحق لا يكون إلا واحداً وهو اليهودية، فلا محالة أن إبراهيم كان يهودياً، وقالت النصارى مثل ذلك. فنصّرت إبراهيم عليه السلام. وقد جهلوا أن دين الله واحد وهو الإسلام لله. قال تعالى عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ اَكُونَ

(١) آل عمران: ٦٧.

﴿اَوَّلَ الْمُسْلمينَ﴾[(١)] وهو دين واحد مستكمل بحسب مرور الزمان واستعداد الناس من حيث تدرجهم بالكمال. أما اليهودية والنصرانية فهما شعبتان من شعب كمال الاسلام الذي هو أصل الدين. والأنبياء بمنزلة بُناة هذا البنيان. لكل منهم موقعه فيما وضعه من الأساس.

وإبراهيم الخليل كان مسلماً حنيفاً متلبساً باسم الإسلام الذي أسسه كشريعة شاملة وركز قواعده. والإسلام أصل اليهودية والنصرانية. والأصل لا ينسب الى الفرع. والإسلام الذي وصف به إبراهم كان أصل التسليم لله سبحانه والخضوع لمقام الربوبية.

فالشبهة غير ناهضة من أصلها، ولكن مع ذلك نتابع الحديث عنها.

وقالوا: كيف يقول محمد صلى لله عليه وآله: ﴿...وَاَنَاْ اَوَّلُ الْمُسْلمينَ﴾[(٢)]؟ وهي حكاية عن النبي صلى الله عليه وآله حيث أمره الله سبحانه أن يجعل صلاته ومطلق عباداته ومحياه ومماته وكل شأن من شؤون حياته لله رب العالمين فكان صلى الله عليه وآله مأموراً بهذا النحو من العبودية. ولذا قال: (وأنا أول المسلمين) دلالة على أنه صلى الله عليه وآله أول الناس من حيث درجة الاسلام. وهو أيضاً أول المسلمين من هذه الأمة. ولم يُنعت بأول المسلمين أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر بأن يخبر قومه بذلك. فأين التناقض؟

---

(١) الزمر: ١٢.

(٢) الأنعام: ١٦٣.

الشبهة الخمسون:

«يقول ربك في كتابه ﴿...مَّا فَرَّطْنَا فِى الكِتَابِ مِن شَيْءٍ...﴾ وقال: ﴿...وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾. علماً أن القرآن لم يشتمل على أكثر العلوم الأصولية والطبيعية والرياضية والطبية، ولا على الحوادث اليومية. وجُلّ مافيه أحاديث عن نساء محمد ورغبات محمد وحروب محمد، وكيف يقسم الغنائم بين جنوده وأهل بيته، وتفاصيل صغيرة وتافهة عن نسوانه وعن الحيض والجنس ... الى آخره».

ردها:

فرّط لغة: قال الراغب: يقال: مافرّطت في كذا. أي: ماقصّرت. قال تعالى: ﴿...مَّا فَرَّطْنَا فِى الكِتَابِ...﴾. وقال ابن منظور: وفرّط في الشيء وفرّطه: ضيعه وقدّم العجز فيه. ثم قال: وفرّط في جنب الله: ضيع ما عنده فلم يعمل به.

دبّ لغةً: قال في اللسان: دَبّ النمل وغيره من الحيوان على الأرض يدِبّ دبا ودبيباً: مشى على هيئته. وكل ماشٍ على الأرض: دابّة ثم قال: والدابة التي تركب وقال: ودابة الأرض: أحد أشراط الساعة.

قال تعالى ﴿وَمَا من دَآبَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1]

(١) الأنعام: ٣٨.

وقال في السورة نفسها: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الاَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[1]. فكيف قالوا في الشبهة: لانجد في القرآن أكثر العلوم الطبيعية والرياضية وقد ذكرت هاتان الآيتان كل ما في الطبيعة؟ وقالوا: ونجد الحديث مسهباً عن النساء والحيض الى غير ذلك.

ونقول لهؤلاء: لابد للناقد من تحديد محل النقد قبل البدء به. لقد بادروا الى تسجيل نقص في كتاب الله عندما قرأوا ﴿...**مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ من شَيْءٍ**...﴾ وفهموا من الآية: ما تركنا من شيء إلا أوردناه في القرآن. أي: كل العلوم وفروعها وتفاصيلها.

والصحيح هو: إن المراد بالكتاب إن كان (الكتاب المكنون) وهو اللوح المحفوظ. كان المعنى: أن المخلوقات المماثلة للإنسان لابد أن تكون خلقتها قد بُنيت على نظام، كما خُلق الإنسان على نظام. ولم تخلق عبثاً، كما أن الإنسان لم يخلق عبثاً، ولم تذهب سُدىً، كما أن الإنسان لم يذهب سدى. وأن هذه المخلوقات الحيوانية تمضي في سلسلة تكاملية كما هو شأن الانسان أيضاً. فيكون في معرفة شأن الحيوانات والنباتات كذلك اطلاع على قدرة الله وحكمته في خلقه.

وإن كان المراد بالكتاب هو القرآن المجيد. كان المعنى: أنه لما كان كتاب الله كتاب هداية وإرشاد ووعظ وبيان للمعارف الإلهية والحقائق

---

(١) الأنعام: ٥٩.

الربانية. فإنه لابد له أن يكون كذلك ليرشد الأمة الى الحق الصراح، ولم يفرّط هذا الكتاب في بيان كل ما تتوقف عليه سعادة الأمة في الدنيا والآخرة. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾[1].

وقد ندب القرآن الكريم في آياتٍ عديدة الى الاطلاع على عالم الحيوان، لتتجلّى قدرة الخالق لنا.

إذن الآية مسوقة لهذا الغرض. زد على ذلك أن جملة (مافرّطنا) جملة اعتراضية. معناها: لايوجد شيء تجب رعاية حاله والقيام بواجب حقه وبيان نعمته في الكتاب، إلا وقد فُعل من غير تفريط. وعليه يكون الكتاب كاملاً لانقص فيه. ولايستبعد أن يكون المراد من (الكتاب) كلا المعنيين.

أما الآية الثانية فهي متصلة بما قبلها من كلام. فإن المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله أن ينزل عليهم آية أخرى غير القرآن، فقال لهم: ﴿...مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ...﴾ وقال: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي...﴾ الى أن قال: ﴿...وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ إشارة الى أنكم لمعذبون، لأنكم ظالمون. والله مطلع على خفايا نفوسكم وأسرار قلوبكم. ولا يخفى عليه شيء، ثم جاءت الآية الثانية مورد البحث: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ...﴾ أي: أن الله ليس فقط مطلعاً على دواخل نفوسكم، وإنما يعلم الغيب كله، وعنده مفاتح خزائن غيبه لم يعرفها غيره،

---

(١) النحل: ٨٩

ويعلم ما في البر من مخلوقات ومافي البحر من حيوانات ونباتات وكنوز، حتى الورقة التي تسقط من الشجرة يعلمها. وفي ذلك توضيح لهم أنه سبحانه لايعزب عن علمه مثقال ذرة، ولارطب ولايابس إلا في كتاب مبين. وهو مكنون علمه وسرّ غيبه الذي لا يعلمه غيره.

والمحصلة النهائية أن هذا الكتاب يُحصي جميع ما وقع في عالم الصنع والإيجاد مما كان أو يكون وما هو كائن. فالذي تقترحونه عليّ - الكلام للنبي صلى الله عليه وآله - يعلمه الله العالم بكل شيء. وإن اقتراحكم ليس بمقدوري. وإن الحكم الفصل ليس راجعاً لي، وإنما الى الله. ولو كان الأمر لي لقضي بيني وبينكم، ولأخذكم العذاب، لأنكم ظالمون لي ولأنفسكم بمطالبكم هذه.

عودة الى الشبهة:

ان القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً يبحث في مختلف العلوم. وإن وجدت فيه إشارت علمية متفرقة هنا وهناك، وليس كتابا تأريخياً مع أنه اشتمل على أروع قصص الأنبياء عليهم السلام والأمم السابقة، كما أنه ليس كتاباً فقهياً متخصصاً في علم الفقه مع أن فيه أكثر من (٥٠٠) آية تبين بعض الأحكام الشرعية لأهميتها، ولكنه كتاب هداية للناس، ومنهج عمل للحياة وخارطة طريق الى الجنة الخالدة. فالمؤاخذة على القرآن أنه أشار الى بعض الأمور الحربية وما ينتج عنها من غنائم، أو الى شؤون المرأة وبعض أحكامها، وعن نسائه صلى الله عليه وآله فليست بالمؤاخذة العلمية التي يركن إليها الناقد أو يلتفت إليها.

وهم يعلمون أن الحروب كان لها دور مهم في إنقاذ دين الله من

الأعداء والمتآمرين. ولولاها لما بقي للدين من أثر. والحديث عن المرأة حديث عن نصف المجتمع. وهذا لا ينكر. والتطرق الى نسائه صلى الله عليه وآله إنما كان لاعتبارهن عنواناً لكل نساء الأمة.

وأما الحديث عن الجنس فإنه من باب تنظيمه وضبطه اللذين أهملهما الغرب حتى صارت دولة فلندا اليوم من أكثر دول العالم بالأبناء غير الشرعيين. فكان من الأولى تنظيم هذه العلاقة التي هي سرّ تكاثر البشرية. فأين التناقض، وعن أي شيء أسفر هذا النقد؟

الشبهة الحادية والخمسون:

«تكرر في القرآن: عروبية هذا الكتاب في ثمانية مواضع: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] و ٣٧ / الرعد و ١٠٣ / النحل و ١٩٥ / الشعراء و ١١٣ / طه و ٢٨ / الزمر وغيرها. فكيف نفسر وجود كلمات عبرية مثل آدم ـ توراة ـ جهنم ـ آمين، وفارسية مثل: أباريق ـ إستبرق ـ سرادق، وبهلوية مثل: حور ـ زنجبيل ـ سجيل ـ فردوس ـ مقاليد، وحبشية مثل: طاغوت ـ مشكاة، وفينيقية مثل: حبر، ومصرية مثل: تابوت، وآشورية مثل: إبراهيم، ويونانية مثل: إنجيل، وآرامية مثل: سَكينة، وأرمنية مثل: هاروت وماروت، وسريانية مثل: سورة ـ عدن ـ فرعون. لابل وكلمة (الله) ذاتها التي ترد في القرآن (٥٦٦) مرّة هي تحريف للكلمة العبرية «إلوه» أو عن

---

(١) يوسف: ٢.

السريانية «الاهة» وهذا ذاته يؤكد الشكوك في المصدر الأساس للدين الاسلامي وهو اليهودية. وربما لهذا السبب اختلف محمد مع اليهود، وأعلن الكراهية المطلقة لهم، وحاول مخالفتهم لاحقاً في كل شيء، ليؤكد استقلالية ديانته ليطمس جريمة تبنّيه لديانتهم، ثم ادعائه أنها من الله ذاته».

ردها:

القرآن لغة: قال ابن الأثير: تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ، والأصل في هذه اللفظة الجمع... وسمي القرآن، لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها الى بعض.

العربي لغة: قال ابن منظور: والعربي: المنسوب الى العرب وإن لم يكن بدوياً. ثم قال: وعربيٌّ: بيّن العروبة والعروبية، وهما من المصادر التي لا أفعال لها. وحكى الأزهري: رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتاً. وإن لم يكن فصيحاً. وقال الراغب: والعربي: الفصيح البيّن من الكلام قال تعالى: (قرآناً عربياً).

هذه شبهة أثارها المستشرقون وردد أبناءُ اليوم صداها. فقالوا: إن وجود كلمات غير عربية في القرآن يخدش في عربيته. ولهذا قلنا:

١ ـ إن القرآن الكريم ابن هذه اللغة العربية، وهو مصوغ من أعلاها وأقواها، ولم يستعمل كلمة غير موجودة في لغة العرب، أو غير مستعملة فيها. وعليه فالإشكال إن كان موجها للقرآن، فهو موجه الى العربية أيضاً. فلماذا لا يثيرونه عليها، وأثاروه على القرآن وحده؟

٢ ـ لم تسلم أية لغة في العالم من الدخيل. فهذه اللغة التركية والفارسية فيهما المئات من الكلمات العربية ولا يضر ذلك بتركيتها ولا

بفارسيتها، ولم ينهض إشكال واحد لحد الآن على هاتين اللغتين لوجود كلمات عربية فيهما. وهكذا اللغة الهندية والأردية والأفغانية وغيرها. فلماذا يوجه إصبع الاتهام الى القرآن الذي نزل بلغة مجاورة لهذه اللغات؟

٣ ـ هناك رأي آخر اقتبسناه من كتاب (سياحة في ألفي سؤال وألفي جواب)[١] يقول: إن بين اللغات وشائجَ وصِلات، وإنّ تأثر بعضها ببعض قانون اجتماعي، وظاهرة طبيعية، وإن العرب في الجاهلية ـ رغم عزلتهم ـ كانت لهم صلات بغيرهم من الأمم والشعوب، كالروم والفرس واليهود والسريان والأحباش. فتسربت ـ بحكم هذه الصلات ـ بعض الكلمات العربية الى تلك اللغات، وبعض الكلمات الأعجمية الى اللغة العربية. وقد أجرى العرب عليها تغييراً وتحويراً لتتلاءم مع لغتهم، ولتنطبق عليها قواعدُها وأحكامها. وهو ما يسمى بـ «التعريب» في علم اللغة. فلما استعمل القرآن الكريم هذه الكلمات كانت معرّبة ومستعملة عند العرب الجاهليين وإن كانت أعجمية في أصولها القديمة، ولكنها أصبحت عربية أو بحكم العربية بعد استعمال العرب لها. فوجودها في القرآن النازل بلغة العرب لا يضره ولا يخدش في كونه عربياً. وليس في ذلك مسكة للخصم.

٤ ـ إن دعوى أصل الدين الإسلامي هو اليهودية يحتاج الى ألف دليل ودليل، بل العكس هو الصحيح؛ لأن الديانة اليهودية ـ كما مر بنا ـ فرع من الإسلام، ومرحلة تكاملية من مراحله التي تمّت بالبعثة النبوية الشريفة، وانتشار الإسلام في أصقاع العالم.

---

(١) كتاب للمؤلف قيد التنضيد.

٥ ـ إن النبي صلى الله عليه وآله لم يختلف مع اليهود إلا لأنهم اختلفوا مع الله، وعادَوه ونسبوا إليه مالا يجوز عليه. زد على ذلك: أنهم كادوا للإسلام كل كيد، وظاهروا أعداءه عليه، وتآمروا مع المنافقين، وحاولو قدح نار الفتنة بين الأوس والخزرج، وأرادوا قتل النبي صلى الله عليه وآله، ولما كان اليهود يمثلون جبهة الباطل، والرسول يمثل جبهة الحق صار مُضاداً لهم. وهذا شأن كل مُحِق.

٦ ـ مجمل القول: إن اليهود يعتبرون النبي صلى الله عليه وآله منافساً قوياً لهم. وقد عجزوا عن الحد من ذياع صيته وانتشار دعوته. وبخاصة لما فتح حصونهم، وسبى نساءهم وفاوضهم على أراضيهم وهجّرهم، لأنهم لم يلتزموا بمواثيقهم التي أعطوها له صلى الله عليه وآله. فماذا ننتظر من هؤلاء والحال هذه؟ هذا هو الواقع الذي هم فيه منذ قرون: مؤامرات، فتن، مكائد، حسد، إثارة شبهات، شكوك لا تنتهي عند حدّ.

الشبهة الثانية والخمسون:

«ورد في سورة النحل: إن القرآن ﴿...لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1] لكن كم من الآيات ما لاينطبق عليها هذا القول. مثل: (الم ـ الر ـ كهيعص ـ طه) الى آخره. فهل هذا مبين؟».

---

(١) النحل: ١٠٣.

ردها:

اللسان لغة: قال ابن منظور: اللسان: جارحة الكلام، وقال ابن سيده: اللسان: المقْوَل، يذكّر ويؤنث، والجمع ألسِنَة فيمن ذكّر مثل حمار وأحمِرة، وألسُن فيمن أنث مثل ذراع وأذرع. وقال: اللسان: الثناء. وقوله عزوجل: ﴿وَاجْعَل لِى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ﴾(١) معناه اجعل لي ثناءاً حسناً باقياً الى آخر الدهر، وقال: اللسان: اللغة مؤنثة لاغير. وقال الراغب: اللسان: الجارحة وقوتها وقوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِسَانِي﴾(٢) يعني به من قوة لسانه، فإن العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوته التي هي النطق به.

إن اتهام القرآن الكريم بأنه غير مبين، لوجود بعض الألفاظ التي تستعصي على الفهم بادئ الأمر اتهام مجحف وغير منصف، بل هو تطاول على المعجزة التي تحدى بها الاسلام أرباب البيان والفصاحة. ومن هذه الألفاظ: الحروف المقطعة التي ابتدأ بها بعض السور، وقد ذكرت الشبهة شيئاً منها. وقد بذل المفسرون جهدهم لفهم هذه الحروف، واستفرغوا قواهم، فلم يثبتوا على رأي واحد. والسبب هو: وجود عدة احتمالات منها: ربما كانت هذه الحروف رموزاً بين الله ـ عزوجل ـ وبين نبيه صلى الله عليه وآله وليست الأمة معنية بها كسائر النصوص القرآنية الأخرى. ويؤيد ذلك أن العقل البشري إذا لم يستقبل هذا الرأي، فلا يعقل أن الله سبحانه يضع في

(١) الشعراء: ٨٤

(٢) طه: ٢٧.

كتابه ألفاظاً، ولا يريد أن يفهمها أو يطّلع عليها أحد. كيف يكون ذلك وهو تعالى ندب الى تدبّر القرآن، وندّد بالذين لا يتدبرونه فقال: ﴿اَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ اَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ اَقْفَالُهَا﴾[١].

فيكون الرأي الراجح هو: إن الله سبحانه بعد أن تحدى بالقرآن كل الجاحدين والمعاندين، فعجزوا، ألفت أنظارهم الى أن هذه الحروف المقطعة نزل القرآن المعجز وهو مؤلف من جنسها. وهذه الحروف التي هي في متناول أيديكم وأيدي أطفالكم، وتجري على ألسنتكم جريَ الماء قد عجزتم عن مجاراتها ولو بسورة واحدة مطابقة لما في القرآن من حيث السبك والصياغة. فعجزكم دليل قاطع على أن هناك سرّاً لا تفسير له إلا أن هذا القرآن من وحي الله الى رسوله، وليس من صنع البشر.

الشبهة الثالثة والخمسون:

«جاء في سورة آل عمران: ﴿وَلاَ تَحسَبَنَّ الذينَ قُتلُواْ فى سَبيلِ الله اَمْوَاتاً بَلْ اَحْيَاء عندَ ربِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿فَرحينَ بمَا آتَاهُمُ اللّهُ من فَضْله وَيَسْتَبشرُونَ بالذينَ لَمْ يَلْحقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ اَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢] فإن كان الشهيد سيدخل الجنة حقاً، فلماذا قال في سورة مريم: إن الجميع سيدخلون النار وبدون استثناء ﴿وَإِن مِّنكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا

---

(١) محمد: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠.

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[١]».

ردها:

الورود لغة: قال في اللسان: ورد فلان وروداً: حضر، ثم قال: وردتُ الماءَ أردُه وروداً إذا حضرتَه لتشرب. وقال الراغب: الورود أصله: قصد الماء، ثم يستعمل في غيره. يقال: وردتُ الماء أردُ وروداً، فأنا وارد والماء مورود. واستعمل في النار على سبيل الفظاعة. قال تعالى: ﴿...أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٢]. وقوله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا...﴾ فقد قيل منه: وردت ماء كذا: إذا حضرته وإن لم تشرع فيه، وقيل: بل يقتضي ذلك الشروع، ولكن من كان من أولياء الله والصالحين لا يؤثر فيهم، بل يكون حاله فيها كحال إبراهيم عليه السلام في نار النمرود.

الحتم لغة: قال في اللسان: الحتم: القضاء، وقال ابن سيده: الحتم: إيجاب القضاء. وفي التنزيل العزيز: ﴿...كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾ ثم قال: وحتمت عليك الشيء: أوجبت .. الحتم: اللازم الواجب الذي لابد من فعله. وقال الراغب: الحتم: القضاء المقدّر.

في هاتين الآيتين بيان لحال الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله. أنهم يشعرون ويفرحون. وهذه الحال خلاف الموت الذي هو بطلان الشعور. فقال: ﴿بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ حيث ذكر الارتزاق وهو فعل معه

---

(١) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

(٢) الأنبياء: ٩٨.

شعور. وقال ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ...﴾ والفرح يقتضي الشعور أيضاً.

والمعنى أنهم فرحون بما وجدوه من الفضل الإلهي الحاضر المشهود عندهم. هذا مختصر لما فيهما من معنى. أما الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ...﴾ فلفظ (إنْ) سيق للنفي مثل (ما) النافية. وعليه يكون المعنى: ومامنكم إلا واردها. والضمير في (واردها) يعود الى نار جهنم. والخطاب في الآية للناس عامة. مؤمنيهم وكافريهم. وكلمة (واردها) تعني حضورها، ولا تعني بالضرورة الدخول فيها. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ...﴾ أي جاءه ولم يدخل فيه.

ومع ذلك كله فإن هذا الورود يعني الاطلاع على جهنم من غير أن يصيب المؤمنين منها أذىً. بدليل قوله تعالى: ﴿...أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا...﴾[1] إكراماً لهم، كما حجب الله بين إبراهيم عليه السلام وبين حرارة النار. وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾، دليل آخر على أن المؤمنين في سلام من حرارة جهنم، ولكن الظالمين يُبقيهم ربهم فيها جثياً على الراكب باركين.

وقد ورد عدد من الروايات يؤكد هذا المعنى. فالمراد من الورود هنا: الحضور والإشراف والمشاهدة. أما الفائدة من الورود كما في بعض الأخبار فهي: إن الله تعالى لا يُدخل أحداً الجنة حتى يُطلعَه على النار وما فيها من العذاب، ليعلم تمام فضل الله عليه، وكمال نعمته وإحسانه، فيزداد لذلك

---

(١) الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٢.

فرحاً وسروراً بالجنة ونعيمها. ولا يُدخل أحداً النار حتى يُطلعه على الجنة وما فيها من أنواع النعيم ليكون ذلك زيادة عقوبة له وحسرة على مافاته من الجنة ونعيمها.

وقديماً قالوا: لا تُعرف الأشياء إلا بأضدادها. فالذي لم يشاهد نار جهنم لم يعرف نعمة الجنة. والذي لم يشاهد الجنة لم يعرف قسوة النار.

والذي ورد في الشبهة: أن الجميع يدخلون النار. استناداً الى قوله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا...﴾ مبني على عدم الالتفات الى الفارق فيما بين سورة آل عمران وسورة مريم من دون تروٍ ولا تدقيق.

الشبهة الرابعة والخمسون:

«ورد في سورة الحديد ما يؤكد أن الرهبانية بدعة إنسانية وليست تكليفاً إلهياً ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1] ولكن في نص آخر نجد تكريماً للرهبان إذ يقول في سورة المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ

(١) الحديد: ٢٧.

وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[١] طيب كيف يكونون مبتدعين على الله ما لم يكلفهم به، ثم يُمدَحون كل هذا المدح ويكونون أقرب الناس الى المسلمين؟».

ردها:

الرهبانية لغة: قال ابن منظور: رهِب بالكسر، يَرهَبُ رَهْبةً ورُهباً بالضم ورَهَباً بالتحريك، أي خاف، وقال ابن الأثير: والرهبانية منسوبة الى الرَهْبَنَة بزيادة الألف. وفي الحديث: «لارهبانية في الأسلام» ثم قال هي من رهبنة النصارى. قال وأصلها من الرهْبَة: الخوف، وقال الراغب: والترهّب: التعبّد، وهو استعمال الرهبة. والرهبانية: غلوّ في تحمل التعبد من فرط الرهبة. قال: **﴿...ورَهْبَانيَّةً ابْتَدَعُوهَا...﴾**.

قَفّى لغة: قال ابن منظور: وقفّيت على أثره بفلان أي اتبعته إياه... وفي التنزيل العزيز: **﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا...﴾** أي أتبعنا نوحاً وإبراهيم رسلاً بعدهم. وقال الراغب: وقفّيته: جعلته خلفه. قال: **﴿...وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ...﴾**.

قالوا في هذه الشبهة إن النصارى ابتدعوا الرهبانية. فهم مبتدعون ـ كما في سورة الحديد ـ وإذا كانوا كذلك فكيف يمدحهم القرآن في سورة المائدة؟

ولبيان الحقيقة نقول: إن أهل الكتاب يشتركون في بعض السجايا والصفات، ولكن آية سورة الحديد أظهرت بعض التفاوت بين النصارى

---

(١) المائدة: ٨٢

واليهود. وذلك بعد أن ذكرت أن الله أرسل رسلاً وأنبياء من ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام يقتفي بعضهم أثر بعض، فقالت: ﴿...وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإنجيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الذينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً...﴾ ثم قالت الآية ﴿...وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ...﴾ والرهبانية من الرهبة وهي ـ عرفاً ـ الانقطاع عن الناس لعبادة الله خشية منه.

أما الابتداع فهو: إتيان مالم يسبق إليه في سنة أو في صنعة. والبدعة في عرف الشرع: إدخال ماليس من الدين في الدين. وهل كتب الله على النصارى تلك الرهبانية؟

الجواب: (ماكتبناها عليهم) أي ابتدعوها من عند أنفسهم من غير تشريع لها، ولكن هذه الرهبانية كانت (ابتغاء رضوان الله) إشارة الى أنها كانت في موضع الرضا من الله. وإن لم يشرعها تعالى، وإن لم يرعوها حق رعايتها. أي: تعدوا حدودها. فما ذمهم الله في الواقع حتى تسجل مسكة على الآية. وليس فيها منفذ لمثيري الشبهة. ولم تتعارض مع آية سورة المائدة التي ميزت بين اليهود والمشركين من جهة، وبين النصارى من جهة أخرى وذلك من حيث بعض الصفات التي تميز بها أتباع النبي عيسى من غيرهم من أهل الكتاب فقالت: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالذِينَ أَشرَكُواْ...﴾ وذلك بعدما بين الله بعض الصفات المشتركة بين أهل الكتاب كقول اليهود: ﴿...يَدُ الله مَغْلُولَةٌ...﴾ وقول النصارى: ﴿...إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ...﴾ وأضاف إليهم حال المشركين، ثم بين وقع الإسلام من قلوب الأمم غير المسلمة من حيث القرب والبعد من قبوله.

فظهرت النتيجة أن النصارى أقرب تلك الأمم مودة للمسلمين، وأسمع لدعوتهم الحَقّة وذلك لما آمنت طائفة منهم بالنبي صلى الله عليه وآله وحسن إسلامها، ثم علّلت الآية مدح النصارى ﴿...بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي أن فيهم ثلاث خصال يفتقدها غيرهم من اليهود والمشركين وهي:

١ـ أن فيهم علماء يعلمونهم ويذكرونهم مقام الحق ومعارف الدين.

٢ ـ وأن فيهم رهباناً وزهاداً يذكرونهم عظمة ربهم وأهمية سعادتهم الأخروية.

٣ـ وأنهم لا يستكبرون إذا عُرض عليهم الحق، بل يُذعنون له.

فتبين أن في الآيتين مدحاً لشريحة من النصارى. وليس بينهما حتى رائحة تناقض.

الشبهة الخامسة والخمسون:

«أشكلوا على خط القرآن هذه المرة بعد أن لم يحققوا انتصاراً على مفاهيمه، فقالوا إن المصاحف لم تلتزم بقوانين ثابتة للإملاء، وذكروا مثالاً لذلك أن كلمة (نعمة) كتبت مرة بتاء طويلة ـ مبسوطة ـ وجاؤوا باسم ملحق بجمع المذكر السالم (اولو) كتب (اولوا) بألف بعد واو الرفع، أو فعل ماضٍ مسند الى واو الجماعة بغير ألف بعد الواو، أو أن (أيها) كتبت في مصحف سعودي (أيّه) كما كتب (بأيدٍ) هكذا: (بأييد) واستشهدوا على ضعف رسم الخط القرآني بما كتبه ابن خلدون في مقدمته طبعة بولاق:

«وكان خط العرب لأول الإسلام غير بالغ الى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا الى التوسط، لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبُعدهم عن الصنائع. انظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير محكمة الإجادة. فخالف الكثيرُ من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله» الى غير ذلك. والشبهة طويلة ذكرنا أهمها.

ردها بشكل عام:

١ ـ لقد تحدى القرآن بالبلاغة والفصاحة أهل هذا الفنّ. ونحن الآن نجد في القرآن الكريم ما يفي بأفضل التحدي. فلا نقص ولا ضعف فيه من هذه الناحية.

٢ ـ تحدى القرآن كل المشككين فيه بعدم وجود أي اختلاف في آياته وسوره. وما في أيدينا يفي بغرض التحدي بأصدق القول.

٣ ـ نجد القرآن يوغل في التاريخ ويورد قصصاً عن الأمم والأنبياء السابقين، ويفصل القول فيها بما يليق بطهارة الأنبياء ونزاهة ساحتهم. وكلما طبقنا قصة من القصص القرآنية على ما يماثلها مما ورد في العهدين. انجلى ذلك أحسن الانجلاء.

٤ ـ وصف القرآن نفسه بأجمل الصفات وأزكاها. فقال: إنه نور، وإنه هدى، وإنه ذكر الله تعالى. وما في أيدينا يؤكد ذلك ويؤيده.

٥ ـ تحدى القرآن كل من حاول التلاعب فيه، أو أراد التغيير أو

التبديل بقوله: ﴿إِنَّا نحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَـهُ لَحَـافِظُونَ﴾[١] فقطع على المتآمرين عليه سبيل الوصول الى أهدافهم، وأيأسهم من تحقيق مُرادهم. وما نجده من كلام الله بين الدفتين يثبت هذا التحدي بلا شك.

٦ ـ لازال القرآن الكريم حجة على غيره من الكتب السماوية. فلابد من الرجوع إليه عند ظهور الفتن وفي حل عُقد الإشكالات. وحديث الثقلين المروي من طرف الفريقين يدل بشكل لا لبسَ فيه على أن القرآن حجة في كل العصور الى قيام الساعة، مع وجود من يمثل العترة الطاهرة معه.

٧ ـ لو كان ما أشاروا إليه في الشبهة المُسْهَبة من خروج الخط القرآني عن القاعدة الإملائية ـ أحيانا ـ مخلاً بحجية القرآن لما أرجعنا رسول الله إليه، ولما بقي أي معنىً للأمر بالتمسك بكتاب محرَّف أو ضعيف الدلالة، لأن كلمة واحدة كُتبت بتاء مبسوطة مكان المربوطة. أو وجود همزة وصل مكان همزة قطع، أو ألف بعد الواو وضعت في غير محلها مع عدم وجود أي أثر لكل ذلك في المعنى والسبك، وليس له تأثير سلبي على الحجة التي أشرنا إليها، ولاهو مسكة علمية يُعتد بها.

وبخاصة إذا لاحظنا الظروف التي كتب فيها القرآن، أو جمع فيها. فقد نزل وفي مكة (١٧) شخصاً يقرأون ويكتبون. ولايوجد غيرهم. ولم تكن للمسلمين آنذاك وسائل لحفظ النصوص سوى ما حفظوه في صدورهم، وماكتبوه على جَريد النخل، وفي وقت لم تكن الحروف فيه

---

(١) الحجر: ٩.

منقطة، ولم توضع قواعد الإملاء بعد، ولم يوجد أسلوب الترقيم والتنقيط.

فكيف يتوجه النقد الى كتاب الله الذي نزل في ظروف مثل هذه؟

خصوصاً إذا عرفنا أن القرآن نزل حتى قبل إيجاد علم النحو ووضع قواعده. لذا يكون إشكالهم في غير محله.

أما ماجاء في المصحف الذي طبعته وزارة الإرشاد السعودية فهي مسؤولة عنه. ولابد أن تتقيد بالنسخة الموحدة للقرآن المتداولة بين أيدي المسلمين، وينبغي عدم الخروج عنها.

الشبهة السادسة والخمسون:

«هنا سألوا عن جَدّ الجنّ في القرآن. فقد ورد في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً﴾[1]. ومسلم[2] قال: إن عمر بن الخطاب كان يجهر بهذه الكلمات يقول: سبحانك الله وبحمدك تبارك اسمُك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرُك» مع أن الجَدّ أبو الأب أو أبو الأم والجمع: أجداد وجدود. والجَدّة أم الأب أو أم الأم وجمعها: جَدّات. والجَدّ: االبخت والحظوة. والجد: الحظ والرزق. وفي التفاسير تلميحات لمشكل كبير. قال ابن كثير في تفسيره: وقال: الجد أب ولو علمت الجن أن في الانس جداً ماقالوا: تعالى جدّ ربنا... وقال القرطبي في تفسيره: وقيل:

(١) الجن: ٣.

(٢) صحيح مسلم: باب الصلاة، ح ٩١٨.

إنهم عنوا بذلك الجَدّ الذي هو أب الأب. وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جَدّ، وإنما قالته الجن للجهالة... وقال ابن الجوزي: للمفسرين في معنى ﴿...**تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا**...﴾ سبعة أقوال. أحدها: قدرة ربنا. قاله ابن عباس والثاني: غنى ربنا قاله الحسن والثالث: جلال ربنا قاله مجاهد وعكرمة والرابع: عظمة ربنا قاله قتادة والخامس: أمر ربنا قاله السدّي والسادس: ارتفاع ذكره وعظمته قاله مقاتل. والسابع: ملك ربنا وثناؤه وسلطانه قاله أبو عبيدة. فما هو المعنى المراد؟».

ردها:

الجَدّ لغة: قال الراغب: وسُمي الفيض الإلهي جداً. قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا**...﴾ أي فيضه، وقيل عظمته، وهو يرجع الى الأول، وإضافته إليه على سبيل اختصاصه بملكه. وقال ابن منظور: والجدّ: الحظ والرزق... والجدّ: العظمة. وقال الطريحي: (جدّ ربنا) أي عظمة ربنا من قولهم: «جدّ الرجلُ في صدور الناس وفي عيونهم».

إن الجن مخلوقون من النار، كما أن الانسان مخلوق من التراب، وإنهم يعيشون ويموتون ويُبعثون مثل سائر الناس. وهم يتكاثرون بالتوالد والتناسل لوجود الذكور والإناث فيهم. وهم مكلفون كالناس ومنهم مؤمنون ومنهم كافرون. وقد استمع بعض هؤلاء الجن الى القرآن، فأثار عجبهم وآمنوا به، ودعوا قومهم للإيمان به كذلك.

وهذه الحادثة أوحاها الله الى رسوله صلى الله عليه وآله، وأمره بأن يقصّها على قومه. وفُسر (جدّ ربنا) بعظمة ربنا، أو حظ ربنا، إلا أن هؤلاء

فسروها بالجد أبي الأب وصاروا يتساءلون عمن يكون هذا الجد، مع أنه من الألفاظ المشتركة التي تعجّ بها لغتنا العربية. وما قاله الإمام الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام هو الصحيح؛ لأن عدم وجود أب لله تعالى يقتضي نفي الجدّ عنه. وبهذا تنحلّ الشبهة التي اختلقوها.

الشبهة السابعة والخمسون:

«انظروا الى هذا التناقض: الملائكة في سورة الصافات إناث في البداية، وفي النهاية ذكور» ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾[1] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾[2]».

ردها:

الصف لغة: قال الراغب: الصف: أن تجعل الشيء على خط واحد كالناس والأشجار ونحو ذلك، وقال ابن منظور: الصفّ السطر المستوي من كل شيء معروف. وجمعه صفوف. وقال: وقوله عزوجل ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾ قيل: الصافات الملائكة مصطفون في السماء يسبحون الله تعالى. ومثله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ قال: وذلك لأن لهم مراتب يقومون عليها صفوفاً كما يصطفّ المصلّون.

المَلك لغة: قال الراغب: والمتولّي من الملائكة شيئاً من السياسات

---

(١) الصافات: ١.

(٢) الصافات: ١٦٥.

يقال له: مَلَك بالفتح ومن البشر يقال له: ملِك بالكسر. فكل مَلِك ملائكة وليس كل ملائكة مَلَكاً، بل المَلَك هو المشار إليه بقوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾.

وفي هذه الشبهة قالوا: جمع الله سبحانه الملائكة بلفظ مؤنثٍ، كما في بداية سورة الصافات مما يدل على أن الملائكة إناث. ثم جمعها جمع مذكر مما يدل على أن الملائكة ذكور. ومن هنا نشأ التناقض في تصور هؤلاء. ولكن بمجرد أن يمعنوا النظر في خصائص اللغة العربية، ولا يتسرعوا في الحكم بالتناقض كلما قصرت عقولهم عن فهم مطلب علمي. ولو فعلوا ذلك لتهاوت كل التناقضات التي شيدوها نتيجة الجهل والوهم. ولكن بدا لنا من أول مطالعتنا لهذه الشبهات أنهم يتعمدون افتعال الشبهة وصنع التناقض.

نعود الى سورة الصافات وهي أول سورة اشتملت على قسم الله تعالى بنفسه أو شيء من مخلوقاته فقال في مطلعها: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾ ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجراً﴾

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾[1] والواو كما هو معلوم واو قسم. والذي أقسم هو الله، والمُقسَم به هو: جماعة الملائكة الصافات. والجماعة الزاجرات، والجماعة التاليات. والغرض من هذا القسم هو: إن إلهكم أيها الناس واحد وهو رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق.

ولا إشكال في التعبير عن الملائكة بلفظ الإناث: (صافات، زاجرات،

---

(١) الصافات: ١ ـ ٣.

تاليات) وهو جمع بألف وتاء مزيدتين؛ لأن هذه الأوصاف المؤنثة موصوفها «الجماعة» وهي مؤنث لفظي. ومعناه: أقسم بجماعة الملائكة المصطفّة في عالم الوجود بصفوف منتظمة، مستعدة لتنفيذ الأوامر الإلهية، وأقسم بجماعة الملائكة التي تزجر الشياطين عن التدخل في الأمر الالهي الذي نزلت به الملائكة. وتزجر الناس عن فعل المعاصي، وأقسم بجماعة الملائكة التي تتلو أمر الله وآياته حين نزول الوحي على الرسل عليهم السلام. زد على ذلك أن هذه الطوائف من الملائكة إنما أقسم الله بها لعظم شأنها عنده.

وأما ما ورد في آخر سورة الصافات ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ فهو قول الملائكة: بأننا جميعا مصطفون بانتظار أوامر الله ـ عزوجل ـ نسبّحه وننزّهه عما لا يليق بساحة عظمته وكبريائه. ونحن مع ذلك عباد الله وعبيده. إذن: ليس الملائكة أبناء الله ولا بناته كما كان بعض العرب يعتقد ذلك، بل هم جند الله يفعلون ما يؤمرون ولا يعصون الله ما أمرهم. ولم يتعرض أي مصدر إسلامي الى أن الملائكة ذكور أو إناث، وإنما هم خلق خاص يتكاثرون بإرادة الله، ولكن لاعن طريق التزاوج أو التناسل.

الشبهة الثامنة والخمسون:

«سألوا: هل الهداية والضلالة من الله أم من العبد؟ ثم قالوا: احتج بعض أهل السنة على نفي الهداية عن الله بأكثر من (٢٠) نصاً قرآنياً. منها: ﴿...وَاللّهُ لاَ يَهدى الْقَوْمَ الْكَافِرينَ﴾[١] أربع مرات و﴿... إنَّ اللّهُ لاَ يَهْدى الْقَوْمَ الظالمينَ﴾[٢] عشر مرات و﴿... إنَّ اللّهُ لاَ يَهدى الْقَوْمَ الْفَاسقينَ﴾[٣] خمس مرات غير نظائرهذه العبارات. وأثبت فريق الضلالة من الله في (٣٢) نصاً قرآنياً منها: ﴿...يُضلُّ به كَثيراً...﴾[٤] و﴿...اَتريدُونَ اَن تَهدُواْ مَنْ اَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلل اللّهُ فَلَن تَجدَ لَهُ سَبيلاً﴾[٥] و﴿...مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْللْهُ...﴾[٦].وقال فريق الهداية والضلال من الله واستشهد بأكثر من (٥٢) نصاً. ونفى فريق الهداية والضلال عن الله.

وذكر (٤٢) نصاً ثم قالوا والتعارض ظاهر في طرح القرآن لمسألة الهداية والضلالة فيه. ولذا حدثت ردة بعد وفاة محمد. فكيف ينسجم هذا

---

(١) البقرة: ٢٦٤.

(٢) الأنعام: ١٤٤.

(٣) المنافقون: ٦.

(٤) البقرة: ٢٦.

(٥) النساء: ٨٨.

(٦) الأنعام: ٣٩.

الواقع مع المبدأ المقرر: ﴿وَمَن يَهدِ اللهُ فَمَا لَهُ من مُّضلٍّ...﴾[١].

لذا لا نرى وجه الحق في قوله: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[٢]. لقد تدبروه وانقسموا ال فئتين متعارضتين وهما تستندان الى القرآن نفسه».

ردها:

الظلم لغة: قال ابن منظور: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وقال: وأصل الظلم الجَور ومجاوزة الحد، وقال: والظلم: المَيل عن القصد، وقوله عزّوجل: ﴿...إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يعني أن الله تعالى هو المحيي المميت الرزّاق المنعم وحده لا شريك له، فإذا أُشرك به غيرُه فذلك أعظم الظلم؛ لأنه جعل النعمة لغير ربّها.

الفسق لغة: قال ابن منظور: الفسق: العصيان والترك لأمر الله عزوجل ـ والخروج عن طريق الحق ـ وقيل: الفسوق الخروج عن الدين وفَسَقَ عن أمر ربه أي خرج. وقال الراغب: فسَقَ فلان: خرج عن حجر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب: إذا خرج عن قشره. وهو أعم من الكفر. والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تُعورف فيما كان كثيراً.

نختصر الرد ونوجزه لأن الشبهة شرقت وغربت وأوردت آراء بعض إخواننا ـ سددهم الله ـ والذي يعيننا في الرد على الشبهة رأي الإمامية الاثني عشرية لا غير.

---

(١) الزمر: ٣٩.

(٢) النساء: ٨٢.

لقد مرّ بنا معنى الهداية، وهي تعني الإرشاد بلطف ودقة. وهي تنقسم الى قسمين: بيان الطريق، والإيصال الى المطلوب. وبعبارة أوضح: هداية تشريعية وهداية تكوينية. ولتوضيح ذلك نقول:

إن الانسان يصف الطريق للسائل بدقة، ويتركه معتمداً على الوصف في قطع الطريق الذي كان ضالاً فيه حتى يصل الى غايته المطلوبة.

ومرّة يسافر مع السائل ويبقى معه الى آخر الطريق مع توفير الحماية له وإزالة العقبات. ومعلوم أن القرآن الكريم نسب الهداية والضلال الى الله تعالى قال: ﴿...وَاللّهُ يَهدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] وقال: ﴿...وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهدِى مَن يَشَاءُ...﴾[2] وقد تعثّر البعض في الوصول الى معاني هذه الآيات، فصار مجبّراً غير ملتفتٍ الى أن القول بالجبر ينفي دواعي التكليف، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

أما المعتقدون بمذهب الاختيار فقالوا: ليس من المعقول أن يجبر الله مجموعة من الناس على سلوك سبيل الضلال، ثم يعاقبهم على ذلك، أو أنه يهدي مجموعة أخرى إجباراً منه، ثم يمنحها المكافأة والثواب والتفضيل على الآخرين. ولكن الصحيح أن المراد من الهداية الإلهية هي الهداية التشريعية التي تأتي عن طريق إنزال الكتب السماوية وبعث الأنبياء والرسل، وتعيين الأوصياء، أما سلوك سبيل الهداية التشريعية فهو بعهدة الانسان نفسه

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) النحل: ٩٣.

وباختياره هو. قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[١]. وقال أيضاً: ﴿...يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[٢] وفي موضع آخر: ﴿...وَاللّهُ لاَ يَهدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

ويتضح لنا أن الظلم مقدمة الضلال. والفسق كذلك. وقال أيضاً: ﴿...وَاللّهُ لاَ يَهدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٤]؛ لأن الكفر هو الذي يهيء أرضية الضلال، وهكذا الكذب والإسراف. قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٥]، وقال: ﴿...إِنَّ اللهَ لاَ يَهدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[٦]. وعليه تكون الضلالة الإلهية شاملة لكل من توافرت فيه هذه الصفات: الكفر ـ الظلم ـ الفسق ـ الكذب ـ الإسراف.

ومعلوم أن لهذه الصفات آثاراً تلاحق الإنسان شاء أم أبى. إذ ترمي بستائرها على عينيه وسمعه وعقله، وتؤدي الى الضلال. إذن الإنسان هو الذي ضل بمحض إرادته واختياره وإنما ينسب الضلال هنا الى الله ـ عزوجل ـ باعتباره هو الذي منح الانسان قدرة الاختيار والرفض وذلك من باب ربط الاشياء بأسبابها، ويبقى السبب المباشر للضلال هو الانسان نفسه.

---

(١) الدهر:٣.

(٢) البقرة: ٢٦.

(٣) البقرة: ٢٥٨.

(٤) البقرة: ٢٦٤.

(٥) الزمر: ٣.

(٦) غافر: ٢٨.

إذ لم يسلك سبيل النجاة الذي أرشدت إليه الشرايع، بل تمادى في غيّه وقطع كل علاقة له مع خالقه مما أدّى الى ترك الله له يَخبط خبطَ عَشواء، وسحب منه يد العون ولم يوفّقه للهدى. أي لم يكن مثل هذا الانسان محلاً لرحمة الله وفيوضاته الكثيرة التي لا غنىً له عنها.

والمحصلة النهائية لما تقدم: إن الهداية الإلهية تعني توفير الظروف والمقدمات المؤدية إليها فيمن لهم الاستعداد لذلك. والضلالة الإلهية تعني سلب تلك المقدمات وحجبها عن الذين ليس لهم استعداد للهداية بالنظر الى أعمالهم.

ولايخفى أن الباحثين عن الإيمان المتعطشين إليه، يضع الله في طريقهم مصابيح مضيئة كي لا يضلوا الطريق. ويصلوا الى أفضل الأهداف وأشرف المراتب، أما الذين انغمسوا في طاعة هواهم ودنياهم ولم يُعيروا أي اهتمام لأخراهم، ولم يبحثوا عن خيط علاقة مع الله تعالى فهم محرومون من الإمدادات الإلهية، وسوف يتعثرون في طريقهم ولا يوفقون للهداية. وهذه سُنة الله في عباده. ويمكن القول على نحو الإيجاز:

إن هناك هدايتين وضلالين. فالهداية الأولى والضلال الأول يكونان من العبد بمحض اختياره. والهداية الثانية والضلال الثاني يكونان من الله على نحو المجازاة والمكافأة. فمن اهتدى بنفسه زاده الله هدىً، ومن ضل بنفسه قطع الله عنه لطفه وطبع على قلبه. وقد صرح القرآن الكريم بالهدايتين معاً في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿وَالذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ

تَقْواهُمْ﴾[١] وقوله: ﴿...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[٢]. وصرح بالضلالين معاً في آيات كثيرة أيضاً مثل قوله تعالى ﴿...فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ...﴾[٣]. وقوله: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً...﴾[٤].

وكل ماورد في القرآن الكريم مثل قوله: ﴿...فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ...﴾[٥] فمحمول على الهداية الثانية والضلال الثاني اللذين هما من الله جزاءاً لعبده على حسن اختياره أو سوء اختياره. والله سبحانه لا يهدي أحداً محاباةً، ولايُضلُّ أحداً مُعاداةً، وإنما يفعل ذلك من باب المُجازاة.

الشبهة التاسعة والخمسون:

«حرّم القرآن النفاق في جملة من آياته فقال: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٦]، وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ

(١) محمد: ١٧.

(٢) الكهف: ١٣.

(٣) الصف: ٥.

(٤) البقرة: ١٠.

(٥) فاطر: ٨

(٦) البقرة: ٧٦.

العزَّةَ للّه جَميعاً﴾[١] وقال: ﴿وَلَئن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبالله وَآيَاته وَرَسُوله كُنتُمْ تَسْتَهْزئُونَ﴾[٢] وقال ﴿الْمُنَافقُونَ وَالْمُنَافقَاتُ بَعضُهُم مِّن بَعض يَأْمُرُونَ بالْمُنكَر وَيَنْهَوْنَ عَن الْمَعْرُوف وَيَقْبضُونَ أَيْديَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسيَهُمْ إنَّ الْمُنَافقينَ هُمُ الْفَاسقُونَ﴾[٣] وغير ذلك، ولكنه يقبل إسلام المكره بقوّة السيف، وهذا لا يكون إسلامه من قلبه بل من شفتيه، والمعروف أنه متى خالف ظاهرُ الإنسان باطنَه كان منافقاً. أنظر قوله ﴿مَن كَفَرَ بالله من بَعد إيمَانه إلاَّ مَنْ أُكْرهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنٌّ بالإيمَان وَلَـكن مَّن شَرَحَ بالْكُفْر صَدْراً فَعَلَيْهمْ غَضَبٌ مِّنَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ﴾[٤]».

ردها:

الايمان لغة: قال في اللسان: الإيمان: التصديق... فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً، فهو مؤمن ثم قال: الإيمان: الدخول في صدق الأمانة التي إئتمنه الله عليها. فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدّق بلسانه فقد أدّى الأمانة وهو مؤمن. وقال الطريحي: والإيمان لغة هو: التصديق المطلق اتفاقاً من الكل.. وشرعاً على الأظهر هو: التصديق بالله بأن يصدق بوجوده وبصفاته.

النفاق لغة: قال في اللسان: والنفاق: الدخول في الإسلام من وجه

---

(١) النساء: ١٣٩.

(٢) التوبة: ٦٥.

(٣) التوبة: ٦٧.

(٤) النحل: ١٠٦.

والخروج عنه من آخر.. وقال الراغب مثله وقال: وعلى ذلك نبّه بقوله: ﴿...إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شراً من الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ...﴾[١].

العزّة لغة: قال في اللسان: والعزّ والعزة: الرفعة والامتناع، والعزّة لله .. ورجل عزيز: منيع لا يُغلب ولا يُقهر. وقال أبو زيد: عَزّ الرجل يَعِزُّ عِزاً وعِزّةً إذا قوي بعد ذلّة وصار عزيزاً.

صحيح أن الله تعالى حرّم النفاق وحاربه وكشف للنبي صلى الله عليه وآله أكثر المنافقين وبيّن أوصافهم والمشتركات التي بينهم، ولكن ما هو النفاق بالتحديد لكي نطبقه على هذا وذاك؟ هنا وقع هؤلاء ـ مثيرو الشبهة ـ فلم يعرفوا ولم يميزوا بين النفاق وبين التقية فخلطوا بينهما وخرجوا بنتيجة مضحكة مبكية.

إن النفاق الذي أشارت إليه عشرات الآيات هو: إظهار الإيمان وإخفاء الكفر. ففي الوقت الذي يكون فيه المنافقون مع المسلمين يظهرون الإسلام على ألسنتهم، وإذا خَلَوا الى أقرانهم من المشركين والكفار أظهروا لهم الكفر والاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وآله ودعوته. وكان الله بهم عليماً، وبما يخفون ويعلنون محيطاً.

وقد أشارت آيات كثيرة الى مكائد المنافقين وخطرهم على الإسلام والمسلمين، حتى أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله بقتالهم وقتال الكفار

(١) النساء: ١٤٥.

فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾(١) فكان المنافقون أخطر من الكافرين والمشركين، وذلك لخفائهم وتعايشهم مع المسلمين وبين ظهرانَيهم. وأما آية سورة النحل التي ربطوا بها موضوع النفاق وادعوا جهلاً أنها من آيات النفاق، فهي التي نزلت في الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه وقد بدأت بالوعيد على الكفر بعد الإيمان وهو الارتداد. وفيها وعد جميل للمسلمين المهاجرين من مكة الى المدينة من بعد ما فتنوا بتعرضهم للتعذيب والتنكيل من قبل المشركين فصبروا في ذات الله. وفيها أيضاً تعرّض لحكم التقية. أما الاطمئنان الذي في الآية فيعني السكون والاستقرار. وقوله: ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ...﴾ شرطٌ جوابه قوله: ﴿...فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ...﴾ وعطف عليه قوله ﴿...وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ثم استثنت الآية من الوعيد المتقدم فقالت: ﴿...إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ...﴾ والمراد بالإكراه الإجبار على التصريح بكلمة الكفر والتظاهر به. ومعلوم أن القلب لا يقبل الإكراه فاستثنى الله المكره على الكفر بعد الإيمان.

وعمار رضي الله عنه أعطاهم بلسانه ما يريدون وبقي قلبه مطمئناً بالإيمان ثابتاً على العقيدة الحقة. وإنما فعل ذلك من باب التقية لحفظ نفسه وإخراجها من المأزق الذي وقعت فيه، ولكنه بعد ذلك اشتد عليه ما صرّح به، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف كان قلبك حين قلتَ الذي قلتَ؟ أكان منشرحاً بالذي قلتَ أم لا؟ قال: لا، فأنزل الله الآية مورد البحث.

---

(١) التوبة: ٧٣.

والحادثة مروية بما يقرب مما ذكرنا.

ودعوى أن الاسلام يقبل من المكره إسلامه فهذه من رحمة الله الواسعة؛ لأنه تعالى اعتبر النطق بالشهادتين تحت أي ظروف حاقناً للدم والعرض والمال على أمل أن يتعمق نور الإسلام في صدره، وتتعود نفسه على تعاليمه فينخرط في صفوف المسلمين ليصبح واحداً منهم بشرط أن يحسن إسلامه. فأين ماذهبوا إليه من دعوى التناقض؟

الشبهة الستون:

«حرّم القرآن الى حدّ معلوم خطيئة الهوى كما في سورة النازعات: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾**[1]. ولكنه أباح تعدد الزوجات بالإضافة الى الإماء. وأباح لمحمد من الزوجات أكثر مما أباح لسائر المسلمين. كما في سورة الأحزاب[2]. وذلك لرجحانه عليهم. والجنة التي وعد بها هي تلذذ غير محدود بالحور العين. كما في سورة الرحمن[3] وسورة الواقعة[4]. وقد أفرد كتّابهم المجلدات الضخمة لذكر أخبار النساء كالإمتاع والمؤانسة، وعِشرة النساء، وأخبار النساء، وقال أبو العلاء المعرّي: إن اللواط مباح في الجنة مستدلاً

---

(١) النازعات: ٤٠ ٤١.

(٢) الأحزاب: ٣٣ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٥٠ ـ ٥١.

(٣) الرحمن: ٧٢ ٧٤.

(٤) الواقعة: ٣٤ ٣٧.

بالآية: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾[1] وقال إذا كانت الخمرة حراماً في الدنيا حلالاً في الآخرة فكذلك اللواط. ذكر ذلك في (رسالة الغفران). كما ذكره محمد جلال كشك في (المسألة الجنسية)».

ردها:

الهوى لغة: قال ابن منظور: والهوى: مقصور: هوى النفس، وقال ابن سيده: الهوى: العشق يكون في مداخل الخير والشر... وهوى النفس: إرادتها، والجمع: أهواء. وجاء في التهذيب: قال اللغويون: الهوى: محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه. وقال الله عزوجل: ﴿...وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ معناه نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عزوجل. وقال الراغب: وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا الى كل داهية، وفي الآخرة الى الهاوية.

الجنة لغة: قال في اللسان: والجنة: البستان ومنه الجنّات، والعرب تسمّي النخيل جنّة. وقال: الجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل. وجمعها جِنان... والجنة هي دار النعيم في الدار الآخرة من الاجتنان. وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها. وقال الراغب: والجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض.

حاول هؤلاء هنا تزريق عقول المسلمين ببعض السموم. وبعد أن فشلت كل محاولاتهم النيل من القرآن الكريم صاروا ينالون من الرسول صلى الله عليه وآله، واتهموا القرآن بالتوسع في استجابة داعي الهوى وذلك

(١) الواقعة: ١٧.

لما سمح بالزواج بأكثر من واحدة، وبجواز التسع من النساء للنبي صلى الله عليه وآله وقالوا: إن ذلك يدل على طاعة الهوى المذمومة في القرآن نفسه. فكيف يكون ذلك.

فنقول: إن آيتي سورة النازعات[١] بيّنتا شرطين لدخول الجنة وهما: الأول: ﴿...مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ...﴾ والثاني: ﴿...وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ فالشرط الأول: الخوف من الله ـ عزوجل ـ بعد معرفته. والثاني: هو ثمرة الشرط الأول وهو نهي النفس عن الهوى وكبح جماحها. وهو أقبح الأصنام المعبودة من دون الله؛ لأنه المنفذ الرئيس لارتكاب كل معصية. لذا كان أبغضَ إلهٍ عُبد على وجه الأرض هو: الهوى. لأنه الطابور الخامس في قلب الانسان. نعم فالشيطان الخارجي لا يتمكن من النفوذ الى قلب الانسان مالم يوافقه الشيطان الداخلي في الاتجاه، ويفتح له باب الدخول. وقد أشارت آية سورة الحجر الى ذلك ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٢] هذا هو ملخص ما في الآيتين اللتين أشارت إليهما الشبهة. فهل فيهما شيء خالفه رسول الله صلى الله عليه وآله؟

أما تعدد الزوجات فدواعيه كثيرة في ذلك الوقت، وربما في كل وقت. زد على ذلك أنه كان سنة جارية في غالب الأمم القديمة كمصر والهند والصين، بل والروم واليونان. وربما كثرت هذه الظاهرة في القرى والأرياف وذلك لحاجة رب الأسرة الى الإكثار من أعضاء أسرته ليسهل

---

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) الحجر: ٤٢.

أمر الدفاع عن مصالحه وإظهار السؤدد بين أفراد قومه، ولتأمين حاجاته وسد النقص الحاصل في الرجال نتيجة الحروب والغزوات. ولما كان من نتائج هذه الحروب زيادة عدد النساء على الرجال صار الزواج بأكثر من واحدة وقد يصل العدد الى العشرات. فجاء الإسلام وشرع الزواج بواحدة فإن كانت لدى الرجل القدرة على العدل الذي أشرنا إليه سابقاً فله الزواج بأكثر من واحدة حَلاً لمشكلة اجتماعية قوامها تكدس النساء في البيوت من دون بُعول. الأمر الذي يثير قلقاً كبيراً من انتشار الزنا في المجتمع.

وقد اعترف بجودة هذا التشريع الإسلامي وما في منعه من المفاسد الاجتماعية والمحاذير الأخلاقية جمعٌ من الباحثين في الغرب من الرجال والنساء. وإذا سجلت مؤاخذة جرّاء تعدد الزوجات فهي راجعة الى الزوج المسلم لا الى الاسلام وتعاليمه الحقة.

أما تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وآله فهوى غير راجع الى طاعة الهوى والميل الى النساء بداعي الشهوة، بل كان ذلك من مختصات النبي صلى الله عليه وآله كما وجبت عليه صلاة الليل، أو جواز صوم الوصال، وإذا لبس لامة حربه فلا يضعها من دون قتال. فتعدد زوجاته الى التسع من خصائصه لدواعٍ وأسباب إنسانية بحته، ولأغراض التقوّي بذلك لما للمصاهرة من آثار اجتماعية معروفة. وقد استهل حياته صلى الله عليه وآله بالزواج من خديجة رضي الله عنها وهي تكبره بـ(١٥) سنة وكانت ثيباً. وبعد وفاتها تزوج بسودة بنت زمعة بعد أن توفي عنها زوجها. فكانت لو رجعت الى أهلها الكفار لعذبوها، فتزوجها ليحميها، ثم تزوج بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها في معركة أحد وكانت تُدعى أم المساكين لكثرة

عطفها عليهم، فصان صلى الله عليه وآله بالزواج منها ماء وجهها، وتزوج بأم سلمة بعد وفاة زوجها عبد الله، وكانت صاحبة أيتام، ثم تزوج بصفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير بعد أن قتل زوجها في خيبر، وبعد أن أعتقها من السبي فوقاها من الذل ووصل سببه ببني إسرائيل، وتزوج بجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، فقال المسلمون: هؤلاء أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله لاينبغي أسرهم واعتقوهم فأسلم بنو المصطلق بذلك، وتزوج بميمونة بنت الحارث الهلالية. وقد وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة زوجها الثاني، ثم تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها (رمله) بعد أن تنصّر زوجها في الحبشة وثبتت هي على الاسلام فأحصنها رسول الله صلى الله عليه وآله، وتزوج بحفصة بنت عمر بن الخطاب بعد أن قتل زوجها ببدر وبقيت أرملة، ثم تزوج بعائشة بنت أبي بكر وهي البكر الوحيدة، ثم تزوج بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة.

وقد كان صلى الله عليه وآله في أول أمره وآخره وما سار به من الزهد والعدل بين زوجاته لا يُبقي لمتربّص موضعاً للشك في أن زواجه كان بدعاً من عامة الناس. وغاية ما في الأمر أن زيادة عدد زوجاته صلى الله عليه وآله كانت لأهداف لا علاقة لها بالجمال أو المال كما يرغب في ذلك أبناء الدنيا وعُبّاد الهوى.

وما ذكر في آخر الشبهة من آراء فهي تمثل أصحابها، ولا تمثل رأي الإسلام. ولا يصح عقلاً أن نحمّل الاسلام تبعات المسلمين.

الشبهة الواحدة والستون:

«الخمر محرم في دار الدنيا على جميع المسلمين حسب آية سورة المائدة: ﴿...إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] وفي سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[2] ولكن للمؤمنين في الجنة آنهار من خمر كما قال في سورة محمد: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ...﴾[3] وكذلك في سورة الانسان[4]، والمطففين[5]».

ردها:

الخمر لغة: قال ابن منظور: والخمر ما خَمَرَ العقلَ وهو المسكر من الشراب، وهي خَمْرة وخَمْر وخُمُور مثل تمرة وتمر وتمور... والخمّار: بائعها. وعنب خمري: يصلح للخمر. وقال الراغب: أصل الخمر: ستر الشيء.

---

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) محمد: ١٥.

(٤) الانسان: ٥.

(٥) المطففين: ٢٥.

الميسر لغةً: قال في اللسان: قال مجاهد: كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: الشطرنج ميسر العجم. وقال عطاء في الميسر: إنه القمار بالقداح في كل شيء.

الأنصاب لغة: قال الراغب: النصيب: الحجارة تنصب على الشيء وجمعها: نصائب ونُصُب وقد يقال في جمعه: أنصاب.

الأزلام لغة: قال في اللسان: الزُلَم والزَلَم: القدح الذي لا ريش له، والجمع أزلام. وقال وفي رواية: الأزلام، وهي القداح التي كانت في الجاهلية. كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، فإذا أراد سفراً أورواحاً أو أمراً مهماً أدخل يده فأخرج منها زُلَماً، فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرخ النهي كفّ عنه ولم يفعله.

الرحيق لغة: قال في اللسان: الرحيق من أسماء الخمر معروف، قال ابن سيده: وهو من أعتقها وأفضلها، وقيل الرحيق: صفوة الخمر وقال الزجاج: ﴿...مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ الرحيق الشراب الذي لاغشّ فيه... والمختوم: المصون الذي لم يبتذل لأجل ختامه.

الكافور لغة: قال في اللسان: والكافور: الطلع ـ التهذيب: كافور الطلعة وعاؤها الذي ينشق عنها... الكافور: أخلاط تجمع من الطيب تركب من كافور الطلع.

أشكلوا هنا على الله الذي حرّم الخمر في دار الدنيا، وأمر بحدّ شاربها إضافة الى العقوبة الأخروية، وقالوا كيف يحرمها ـ عزوجل ـ هنا وفي الجنة

أنهار من الخمر لذة للشاربين؟ وذكروا الآيات التي تناولت هذا الموضوع. والرد على الشبهة يقتضي بيان تعاطي عرب الجاهلية للخمرة وكيفية تحريمها فنقول:

إن معاقرة الخمرة في الجاهلية وقبيل الإسلام كانت منتشرة انتشاراً أشبه بالوباء العام. وقد ورد في بعض الروايات أن تحريم الخمر جاء بشكل تدريجي لشدة تعلّقهم به، فكان من الصعوبة بمكان الإقلاع عنه. حتى قال بعض المسلمين: ما حُرّم علينا شيء أشد من الخمر. ويبدو واضحاً أن الإسلام اتبع أسلوب المراحل في تحريم الخمر نظراً للحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية، لأن المجتمع الجاهلي آنذاك كانت صناعة الخمر فيه تمثل عاملاً اقتصادياً مهماً بالنسبة له. إضافة الى التعود على شربه، ولكثرة المفاسد الاجتماعية الحاصلة جرّاء تناول الخمور حرمها الله سبحانه في دار الدنيا التي هي ساحة للاعتداء والإضرار والتخاصم وهتك الأعراض والقتل، وعوّض الإنسان الذي التزم بحرمة الخمر وامتنع من شربه عوضه في الجنة التي هي دار سلام وأمان خمراً ليس كخمر الدنيا يذهب بالعقول ويحول الإنسان الى حيوان هائج. وهيّأ له خمراً يشعر معه المؤمن براحة ولذة وسعادة إذ إنه يُسقاها بعد الفراغ من الحساب مباشرة.

والخمر هو أول شيء يقدم لأهل الجنة، ثم ينتهون الى السرور المطلق بالاستفادة من سائر مواهب الجنة. ومعلوم أن السعادة الأبدية في عالم الآخرة هي مكافأة من الله الى عباده المؤمنين المتقين الذين لم يتلوثوا بأوضار الدنيا التي نهاهم عنها. وقد بيّنت الآية ١٥/ محمد بعض ما في الجنة من نعيم مقيم، وما هُيئ لسكانها من ماء عذب ولبن طيب وخمر فيه لذة

للشاربين من غير دوخة في الدماغ وفقد للشعور وذهاب للعقل.

ولابد لمثيري هذه الشبهات أن يعرفوا أن الجنة دار سعادة وأمن وطُمأنينة، وليس فيها تكليف فلا محرمات ولا ممنوعات كما في الدنيا. فالحال تختلف تماماً هناك، ولايمكن إجراء قياس بين الدارين لأن لكل منهما خصوصية معروفة. والدنيا مقدمة والجنة نتيجة.

الشبهة الثانية والستون:

«من أهم تعاليم القرآن أن القدر هو سبب سعادة أو شقاء الإنسان في الآخرة. جاء في سورة الإسراء: ﴿وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾[1] وفي سورة إبراهيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] ثم نجد في الأعراف: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعيُنٌ لاَّ يُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[3] وفي سورة السجدة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

---

(١) الإسراء: ١٣.

(٢) إبراهيم: ٤.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

اَجْمَعِينَ﴾[1] فيظهر أن غرض الله من خلق الإنسان هو أن يملأ جهنم من الناس والجن أجمعين، وجاؤوا بحديث قدسي عن الارتداد».

ردها:

القَدَر لغة: قال في اللسان: القدْر والقدَر: القضاء والحكم. وهو ما يقدّره الله من القضاء ويحكم به من الأمور.

ذرأ لغة: قال في اللسان: ذرأ الله الخلق يذرأهم ذرءاً: خلقهم. وقال الراغب: يقال: ذرأ الله الخلق، أي: أوجد أشخاصهم.

غفل لغة: قال ابن منظور: غفل يغفَلُ غُفولاً وغَفلةً وأغْفله عنه غيره: تركه وسها عنه... واستغفلته: تحَيّنت غفلته. وقال الراغب: الغفلة: سهو يعتري الانسان من قلّة التحفظ والتيقظ. قال تعالى: ﴿...هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

جهنم لغة: قال في اللسان: الجِهِنّام: القَعْرُ البعيد. وبئرٌ جَهَنّم وجهِنّام بكسر الجيم والهاء: بعيدة القَعر. وبه سميت جهنّم لبعد قعرها... جهنّم: من أسماء النار. قاله الجوهري. وهي ممنوعة من الصرف للتعريف والعجمة.

صرحوا هنا بفرية على كتاب الله إذ قالوا: بأن أهم تعاليم القرآن: أن القدر هو سبب سعادة الإنسان أو شقائه في الآخرة. وهذا دليل على أنهم لم يفهموا القدر، ولم يلتفتوا الى أن أهم شيء جاء به القرآن الكريم ودعا له هو التوحيد وطاعة الله. وأن السعادة يقررها الإنسان نفسه بالتوحيد والطاعة والإيمان بالرسل وتصديق الكتب السماوية وآخرها القرآن. أما القدر الذي جهلوا معناه فهو:

---

(١) السجدة: ١٣.

إن هذا الانسان خلقه الله ليعيش سعيداً في الدنيا والآخرة، ولكنه يضل الطريق فيحاول الله هدايته عن طريق إرسال الرسل والكتب السماوية، ومع ذلك لا يهتدي أكثر الناس. ولما كان المقدر في الإنسان أن لو كفر بدعوة النبي صلى الله عليه وآله عُذب وأدخل النار يوم القيامة، كان لابد أن يلاقي قدره المكتوب عليه. ومثله كل من يسلك طريق الضلالة. وليس معنى القدر: أن الإنسان منذ أن ولد كان مقدراً عليه أن يدخل النار. لما فيه من الظلم المحال على الله عقلاً. إذن: فالمصير الأسود يختاره الإنسان بأعماله في الدنيا، وهكذا السعادة ودخول الجنة. يختاره الإنسان بمحض إرادته، فيلاقي قدره المكتوب عليه وعلى كل شخص سلك طريق الهداية. فظهر أن القدر لا يقرر السعادة والشقاء كما قالوا في الشبهة، وإنما يقرره الإنسان ذاته. أما الآية ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِى عُنُقِهِ...﴾ فقد مرّ بيانها. ومجمل معناها: أن كل إنسان يواجه عمله الذي صدر عنه في الدنيا، ويطالع صحيفة أعماله في الآخرة، فيجد كل شيء مكتوباً فيها. ولا أدري ما علاقة هذه الآية بمطلع الشبهة؟

وأما آية سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ...﴾ فليس معناها ـ كما فهموا ـ أن غرض الله من خلق عباده إدخالهم جهنم. فهو سبحانه لا يلتذّ بتعذيبهم وليس لديه روح ساديّة كطغاة التأريخ، وإنما هو أصل الرحمة. وهو خلق الجن والإنس للعبادة والعمل الصالح، والعلم النافع، والتكامل، وزودهم بجميع المؤهلات لذلك، وأعطاهم العقل المميز، وأرسل إليهم الرسل لإيقاظهم وإرشادهم، ولكن كثيراً منهم يختارون بأعمالهم جهنم،

فيصيرون من سكانها، وقليلاً منهم يختارون الجنة فيصيرون من أهلها. وبهذا تكون جهنم مزدحمة السكان فيما الجنة تفتقد ذلك الزحام، ثم تطرقت الآية الى صفات أهل النار ـ وهو خارج عن محل البحث.

أما الحديث القدسي الذي أشاروا إليه وهو: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وقد يحدث العكس مما يجعل دخول الجنة أو النار متوقفا على ما قدّر مسبقا على الانسان» هكذا قالوا وفهموا. ولكن معنى الحديث هكذا:

إن الانسان المسلم بعد مدة طويلة من الاستقامة نراه يرتد عن دينه. أي: في آخر المطاف يختم تلك السلسلة من الأعمال الصالحة بطاعة الشيطان الذي أغواه وأضله عن سبيل الله، فيرتد فيدخل النار. وقد يحدث العكس من ذلك. أي أن إنساناً مقارفاً للمعاصي ملحداً شريراً، إلا إنه في آخر المطاف يتوب ويهتدي ويستغفر لذنبه فيدخل الجنة.

والمحصلة النهائية: أن الشبهة اشتملت على افتراء على القرآن الكريم. وقد بيّناه بأن غاية خلق الله لعباده ليس لاحراقهم بالنار والتلذذ بالنظر إليهم، وأن القرآن المفترى عليه يكذبهم في سورة الذاريات ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]. وان آية سورة الإسراء غريبة عن الموضوع ولابرط لها بمجمل الشبهة. أما مسألة الهداية والضلالة فقد تقدم البحث فيها، وتبين أن القرآن الكريم يمتاز بحصانة ربانية منعت أعداءه من

---

(١) الذاريات: ٥٦.

اقتحامه الى هذه اللحظة.

الشبهة الثالثة والستون:

«قال في سورة الحجر: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[(١)] وفي الاسراء: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[(٢)] كيف تتفق هذه الآيات مع قوله عن محمد ـ وهو في عرف المسلمين أفضل الصالحين ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[(٣)] و﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[(٤)] فلو كان ليس للشياطين سلطان على الصالحين لما كان محمد يدعو بهذا الدعاء».

ردها:

السلطان لغة: قال ابن منظور: السلاطة: القهر.. والاسم: سُلطة بالضم.. والسلطان: الحجة والبرهان.. والسلطان إنما سمي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه.

الهمز لغة: قال ابن منظور: والهمز مثل الغمز والضغط... والهمز مثل اللمز. وقال الراغب: الهمز كالعصر. يقال همزت الشيء في كفّي... وهمْزُ الإنسان: اغتيابه.

---

(١) الحجر: ٤٢

(٢) الإسراء: ٦٥.

(٣) المؤمنون: ٩٧.

(٤) المؤمنون: ٩٨.

وفي هذه الشبهة كشفوا عن جهل وقعوا فيه، وبلادة تلبّسوا بها، حيث قالوا: طالما لم يكن للشيطان سلطان وسبيل على الانسان، فلماذا دعا محمد صلى الله عليه وآله وتعوذ بربه من همزات الشياطين؟ فإن كان محمد صلى الله عليه وآله صادقاً في دعائه فهو دليل على أن للشيطان سلطة على عباد الله. وهو ما يتعارض مع آيتي سورة الحجر التي نفت ذلك: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1] ونحن في مقام رد هذه الشبهة لابد أن نعرف ماالذي حدث قبل نزول هذه الآية؟

إن البداية كانت في تمرد إبليس على أمر ربه في السجود لآدم عليه السلام، وبدأ السؤال من الله لإبليس: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿قَالَ لَمْ اَكُن لِّاَسجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ من صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ﴿وَإِنَّ عَلَيكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ فَاَنظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ﴿إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا اَغْوَيْتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الاَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ...﴾[2] فالحوار من هنا بدأ، وهكذا انتهي بـ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِينَ﴾ وعقدة إبليس كانت من آدم لأنه تصور أن

---

(١) الحجر: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) الحجر: ٣٢ ـ ٤١.

آدم صار سببا للعن الله له، وإنما صار من الغاوين بسبب آدم، فتوعد ذريته بالإغواء. وهو إلهاؤهم بملذات الدنيا، والأخذ بأيديهم إلى الضلال، ولكنه استثنى فقال: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1] لأنه يعلم أن لا سلطان له عليهم. وفي الآيات حاول إبليس أن ينسب إغواءه الى الله لتبرئة نفسه فقال: (بما أغويتني) أي بسبب إغوائك لي سؤغوي عبادك. وهذا المنهج هو منهج كل الأبالسة والشياطين إذ يُلقون تبعة انحرافهم على غيرهم إعذاراً لأنفسهم من سوء أعمالهم. وكيف يكون ذلك والله عليم بما يخفون وما يعلنون؟

والعباد المخلصون ـ بفتح اللام ـ هم المؤمنون الذين وصلوا الى مرتبة عالية من الإيمان والعمل بعد مجاهدة النفس والمِران على الطاعة والصبر عليها، حتى صارت قلوبهم محكمة الإغلاق أمام وساوس الشيطان. فلا سبيل له عليهم، والذين اتبعوه وأطاعوه ووضعوا أمرهم بين يديه فله عليهم سلطان وأولئك هم حزبه.

وفي الآية مدار البحث تحقير للشيطان بنفي سلطته على المؤمنين، وفيها تقوية لقلوبهم بأنهم في مأمن منه. ولكن ذلك لايمنعهم من الدعاء والاستعاذة بالله من همزات الشيطان لاستدامة نعمة الأمن منه. ولذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بأن يدعو كما في سورة المؤمنون. وفيها تربية للمؤمنين وإرشاد لهم بأن يدعوا هم كذلك طالما كان النبي يدعو ويتعوذ وهو القدوة لهم. فأين التناقض الذي تخيّلوه؟

---

(١) الحجر: ٤٠.

الشبهة الرابعة والستون:

«قال في سورة البقرة: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[(١)] والنصارى واليهود لا يؤمنوا بوجود شيء اسمه الجنة، بل في المسيحية مثلاً تسمى الحياة الأبدية أو الفردوس، ولا يؤمنون نهائيا بجنة حيوانية فيها أكل وشرب ونكاح. فكيف يُصدَّق القول بأن النصارى قالوا: إن الناس بعد الموت يدخلون الجنة؟».

ردها:

الفردوس لغة: قال ابن منظور: الفردوس: البستان، قال الفرّاء: هو عربي. قال ابن سيده: الفردوس: الوادي الخصيب عند العرب كالبستان وهو بلسان الروم البستان. والفردوس: الروضة. والفردوس أصله رومي عرّب وهو البستان.

زعموا هنا أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بجنة كما يصفها القرآن. فكيف جاء احتكارهما لها كما في سورة البقرة؟ فنقول: لقد جاء في تفسير الآية: أن جماعة من اليهود والنصارى قالوا ذلك: أي أن كلاً منهما ادعى أنه يدخل الجنة دون الآخر، فأجابهم القرآن بجواب رادع: (تلك أمانيهم) وأمر الله أن يقول لهم النبي صلى الله عليه وآله: ﴿...قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ

---

(١) البقرة: ١١١.

صَادقينَ﴾ أي أن ادعاء هذه المجموعة من الفريقين فارغ لا قيمة له، وأنه مجرد أمنية تخامر أذهانهم، ثم بين الله بعد هذه الآية القانون الأساس، والمعيار العام لدخول الجنة فقال: ﴿بَلَى مَنْ اَسلَمَ وَجْهَهُ للّه وَهُوَ مُحسنٌ فَلَهُ اَجرُهُ عندَ رَبه وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. فتبين أن الجنة ومرضاة الله والسعادة الأبدية ليست حكراً على أحد ولا تقتصر على طائفة معينة، بل هي نصيب كل من يتوافر فيه شرطان:

الأول: التسليم التام لله والانصياع لأوامره وعدم التبعيض في هذه الأوامر.

الثاني: الطاعة الخالصة لله والقيام بالأعمال الصالحة والإحسان في جميع المجالات. وذلك لا يتحقق إلا برسوخ الإيمان في النفوس.

ومما تقدم يُفهم أن نظرية الاحتكار عند اليهود والنصارى قديمة تشمل نعيم الدنيا والآخرة، ويظهر كذلك أن احتكار الجنة كان مختصاً برجال الدين عندهم. وعلى هذا كانت الكنيسة تبيع صكوك الغفران للعصاة والآثمين بعد أن تقبض الثمن. ومما كانت تكتبه الكنيسة للعاصين في الصك: «يُغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة الى العذاب والعقاب، ويُفتح الباب الذي يؤدي الى فردوس الفرح وإن عمّرت سنين طويلة. فهذه النعمة غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن وروح القدس».

ونقول لهؤلاء إذا كانت النصارى لا تؤمن بوجود جنة، فلماذا يشترون

---

(١) البقرة: ١١٢.

صكوك الغفران؟ وإذا كانت اليهود لا تؤمن بوجود جنة فمعنى ذلك أن حياتهم عبثية، لعدم وجود نتيجة طبية لها يُقرّها العقل. وإذا صدق أنهم لا يعتقدون بوجود جنة فذلك يعني أنهم منحرفون عن تعاليم أنبيائهم؛ لأن كل الأنبياء وعدوا الصالحين من أممهم بجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، وليس اليهود ولا النصارى بدعاً من تلك الأمم. ولا دينهم بدعاً من الدين العام الذي سار عليه جميع الأنبياء عليهم السلام، ثم إذا كانوا لا يؤمنون بوجود جنة بمواصفات القرآن، فما هي طبيعة الحياة الأبدية التي يتوقعونها، هل هي في صحراء أم جبال أم جزيرة في البحر؟ وإذا كان النصارى يعتقدون بوجود فردوس فإن الفردوس أعلى مكان في الجنة التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وآله. إن هذه العقيدة المنحرفة تجعل الحياة بلا معنى وذلك خلاف سنة الله في خلقه، ثم قالوا:

إن النصارى لا يؤمنون بوجود جنة حيوانية فيها أكل وشرب ونكاح. وقد تناسوا أن هذه الأمور هي من أساسيات الحياة فكيف يعيشون سعداء وهم جياع وعطاشى، وكيف يلتذون بحياة فارغة من الجنس الآخر؟ وبالنتيجة تكون حياتهم الأبدية هذه أكثر شقاءاً وتعاسة من حياة الدنيا.

الشبهة الخامسة والستون:

«قال في سورة التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1] حقاً يقول النصارى: إن المسيح ابن الله ومقصدهم رمزى لا حرفى، ولكن لا يوجد نهائياً في التوراة أي قول عن أن هناك عزيز ابن الله. ولا تجد ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ...﴾[2] واستدلوا على فهم اليهود بصريح الآية: ﴿الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ...﴾[3] فكيف يقولون ذلك؟».

ردها:

المسيح لغة: قال ابن منظور: والمسيح الدجال: منه على هذه الصفة وقيل: سمي بذلك لأنه ممسوح العين... والمسيح: الصديق وبه سمّي عيسى عليه السلام... ولعل هذا كان يستعمل في بعض الأزمان فدرس. قال ابن سيده: والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام سمي بذلك لصدقه، وقيل سمي به لأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر. وقال شمر: سمي عيسى المسيح لأنه مسح بالبركة.

---

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) المائدة: ٦٤.

(٣) الأنعام: ٢٠.

عزيز لغة: قال ابن منظور: وعزيزٌ اسم نبي. وعزيزٌ اسم ينصرف لخفته وإن كان أعجمياً مثل نوح ولوط. لأنه تصغير عزر.

في هذه الشبهة تعرضوا الى قول الله تعالى عن اليهود حيث قالوا: عزيز ابن الله والنصارى قالوا: المسيح ابن الله كما قال المشركون في مكة: الملائكة بنات الله. واعترفوا بقول النصارى ونفوا قول اليهود، كما نفوا وجود نص في التوارة يؤكد أن اليهود قالوا: ﴿...يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ...﴾ وقبل الرد. علينا أن نعرف من هو عزيز؟

إن عزيزاً هو عزرا مُعرّب من لغة اليهود ومُصغّر منه. وما ورد عنه في التعريف قولٌ. ولعزير مكانة خاصة في تاريخ اليهود لما له من خدمات كبيرة في بناء مجدهم ودينهم. لقد كان عزير من جملة اليهود الأسرى الذين جاء بهم (بخت نصّر) الى بابل. ولما فتح (كورش) ملكُ فارس بابلَ جاءه عزيز وكان من أكابر اليهود يستشفعه فيهم فشفعه، فرجعوا الى ديارهم، وكتب لهم عزيز التوراة مما بقي في ذاكرته من أسلافه، لذلك يعدّونه محيي شريعتهم. فكان هذا سبباً لأن تلقبه جماعة من اليهود (ابن الله) لا على معنى الحقيقه، بل احتراماً له. وقد اعترض عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله لهذه التسمية قائلاً: إن موسى نبيكم أعظم لديكم من عزير فلماذا لا تسمونه ابن الله، فلم يجدوا لسؤاله جواباً.

ومعلوم أن هذه التسمية أكبر من موضوع الإجلال والاحترام في أذهان هذه المجموعة من اليهود. ويدل على صحة تسميتهم عزيراً ابن الله عدمُ ردهم على النبي صلى الله عليه وآله عندما سمعوا بهذه الآية نـدار

البحث، ولم ينكروا على القرآن ذلك.

أما النصارى فكانوا يعتقدون بأن عيسى عليه السلام ابن الله حقيقة، وليس من باب التشريف والاحترام، وكانوا يحرّمون إطلاق هذه التسمية على غيره، مع أن عيسى نفسه ماكان يدّعي ذلك. وإنما كان يقول: أنا عبد الله. والآية تشير الى أن اليهود والنصارى مقلدون لغيرهم في إطلاق مثل هذه التسميات. فقد سبقهم مشركو مكة إليها وسبقهم البوذيون والبراهمة كذلك.

أما قولهم ﴿...يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ...﴾ فذلك بلسان الحال وإن لم ينطقوا به بلسان المقال؛ لأنهم أرادوا من الله ـ عزوجل ـ أن يهبهم الأرض ومن عليها وحدهم. وإن لم يفعل فهو بخيل مغلول اليد، فجاءهم الردّ الالهي: ﴿...غُلَّتْ اَيدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبسُوطَتَان...﴾[(١)] وهو دعاء عليهم من الله بالبخل ومازالو أبخل الأمم، ثم إن القرآن الكريم قال عن أهل الكتاب: ﴿الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ...﴾[(٢)]. أي يعرفون صفات محمد صلى الله عليه عليه وآله المكتوبة عندهم حق المعرفة تماماً كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم يكتمون ما يعرفون، وليس كما جاء في الشبهة يعرفون الكتاب. وإشكال القرآن عليهم ليس مِن طرف علمهم، بل لإنكارهم وإخفائهم ماعلموا.

---

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) الأنعام: ٢٠.

الشبهة السادسة والستون:

«قال في سورة التوبة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] ولكن تم إلغاء الأشهر الحرم».

ردها:

العدّة لغة: قال في اللسان: قال أبو زيد: يقال انقضت عدّة الرجل إذا انقضى أجله، وجمعها العِدَد، ومثله: انقضت مدّته وجمعها المُدَد... وعدّة المرأة: أيامُ قروئها. وقال الراغب: والعدّة: هي الشيء المعدود. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ...﴾ والعدّة: عدة المرأة.

القيّم لغة: قال في اللسان: وقيّم الأمر: مُقيمه. وأمر قيّم أي مستقيم وفي الحديث: «ذلك الدين القيّم» أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا مَيل عن الحق. وقال الراغب وقوله: (ديناً قيّماً) أي: ثابتا مقوّما لأمور معاشهم ومعادهم.

لم يتضح مرادهم في هذه الشبهة إلا أنهم ذكروا آية سورة التوبة.

التي شرعت قتال المشركين وحرمت قتالهم في الأشهر الحرم. وهي أربعة: ثلاثة سَرْد: ذو القَعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فَرْد وهو شهر رجب. وتحريم القتال في هذه الأشهر الأربعة كان من عهد إبراهيم عليه

---

(١) التوبة: ٣٦.

السلام الى عهد الجاهلية والإسلام، إلا أن عرب الجاهلية كانوا يغيرون هذه الاشهر أحياناً تبعاً لميولهم ومصالحهم. مثلاً: كانوا يُحلّون القتال في المحرم ثم يحرمونه في شهر صفر من باب التعويض، ولكن الإسلام أقرّ حرمة القتال فيها جميعاً. ولم يغيّر ولم يبدّل.

ومن الجدير بالذكر أن حرمة القتال في هذه الأشهر نافذة اذا لم يبدأ العدو بقتال المسلمين فيها. أما لو فعل ذلك فلا شك في وجوب قتاله: ولا شك في أن هذا التحريم كان قانوناً ثابتاً في كل الشرايع السماوية، ولكن لما كان من المحتمل أن يتخذ العدو هذا التحريم ذريعة لمهاجمة المسلمين في الأشهر الحرم عقّبت الآية بالقول: ﴿...وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً...﴾ ومن المعلوم أن هذا التحريم المؤقت كان وسيلة لإيقاف الحروب طويلة الأمد، ودعوة نحو الصلح والركون الى السلم. لأن المحاربين إذا وضعوا أسلحتهم في هذه الأشهر، وأُخمدت نيران الحرب تهيأت فرصةٌ للتفكير في إيقافها نهائياً، إما بالصلح، أو بالتوصل الى حل مناسب. ومن الواضح أن الشروع بقتال جديد بعد توقفٍ وهُدنة يكون صعباً ومستبعداً. والإسلام يرمي الى حقن الدماء ويدعو الى السلام والمصالحة. ولذلك أقرّ حرمة القتال في الأشهر الحرم. وقد يكون تشريع قتال المشركين في حال اعتدائهم على المسلمين في هذه الاشهر ـ وهو مرادهم من الشبهة ـ من باب الجهاد الدفاعي الذي لابد منه. ولانقض ولا إلغاء لحرمة الاشهر في الجهاد الدفاعي كما تصوروا، لأنه دفاع عن النفس.

الشبهة السابعة والستون:

«جاء في قرآن محمد في سورة النور: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1] إذن الخبيثة للخبيث والطيبة للطيب، لكن ناقض هذا المبدأ في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[2] وهنا الطيب نوح والطيب لوط؟ أخذا خبيثتين وصارتا مثلاً للذين كفروا. فلا نجد للآية الأولى أي معنى».

ردها:

الخبيث لغة: قال الراغب: الخُبث والخبيث: مايُكره رداءةً وخساسة، محسوساً كان أو معقولاً. وقال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ...﴾ أي الأفعال الرديّة والاختيارات المبهرجة لأمثالها. وقال في اللسان: الخبيث: ضد الطيب من الرزق والولد والناس. وقال أبو بكر: الخبث: الكفر. وقال ابن الأثير: وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وكذلك الطيبات للطيبين.

---

(١) النور: ٢٦.

(٢) التحريم: ١٠.

الطيب لغة: قال الراغب: وأصل الطيب: ماتستلذه الحواس، وما تستلذه النفس. والطيب في الشرع ماكان متناولاً من حيث ما يجوز. وقوله: ﴿...وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ...﴾ تنبيه أن الأعمال الطيبة تكون من الطيبين كما روي: «المؤمن أطيب من عمله، والكافر أخبث من عمله».

إن المنهج العلمي يقتضي الإحاطة بمحور البحث قبل البدء به. فرب آية لها ارتباط بما قبلها أو بما بعدها لو أخذت بمفردها اختل المعنى وبقي مبتوراً. ومنه آية سورة النور. التي جاءت ضمن آيات سبقتها تحدثت عن موضوع الإفك الذي أثاره ضعافُ الإيمان فقالت: (الخبيثات للخبيثين...) والخبيثة: المرأة المنحلة أخلاقياً، المنحرفة من جهة العفة والشرف، وليس من جهة الفكر والعقيدة. وهذا الحكم الشرعي مرتبط بالجذور التكوينية لهما. فشبيه الشيء منجذب إليه.وكما يقولون:«السنخية علّة الانضمام» وعلى كل حال فكل صنوٍ يتبع صنوه. وقد رأينا في بعض الرويات أن أصحاب أحد الأئمة عليهم السلام يسألونه عن الزواج بالخبيثة فيجيبهم بالرفض. وذلك لعدم وجود سنخية بينهما. ولذا آثار أصحاب الشبهة أن نوحاً كان طيباً ولوطا كذلك. فكيف كانت زوجتاهما كافرتين بحيث ضرب الله بهما مثلاً للذين كفروا؟ وجوابه: إن المقصود بالخبث ـ كمامرّ ـ الانحطاط الأخلاقي والسقوط بارتكاب أعمال مخلّة بالشرف وهذا لا يلازم الكفر، ثم إن امرأتي نوح ولوط عليهما السلام ليستا من هذا النوع وإنما كانتا خائنتين من حيث الأمانة والعقيدة إذ كانتا تتجسسان على زوجيهما لمصلحة الكفار، ولم تكونا خائنتين من حيث العلاقة الزوجية والشرف. فهذا ممتنع على نساء

الأنبياء حسب عقيدتنا.

ولما كان المفروض أن تكون بيوت الأنبياء طاهرة من هذه العيوب المنفّرة للناس حتى لا يحدث تقاطع لأهداف النبوة في جذب الناس الى الرسالة الإلهية. عُدّ عملهما خيانة أثبتها القرآن الكريم الى يوم يبعثون، لتبقى درساً للعبرة والموعظة.

وفي الآية إشارة الى حفصة وعائشة اللتين أفشتا سراً لرسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرت الآية أن القرب من الولي لا يُغني عن عقاب الله. بدليل أن نوحاً ولوطاً وإن كانا نبيين، ولكنهما لم يمنعا من شمول العذاب لامرأتيهما. وكذلك زوجات النبي صلى الله عليه وآله فإنه لايُغني عنهن قربُهن منه. فهل في الآية مايثير الريبة؟

الشبهة الثامنة والستون:

«لقد مدح القرآن النصارى في سورة المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1] وفي سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ

---

(١) المائدة: ٨٢

بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١] لكن هناك آيات تذم النصارى مثل ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[٢]».

ردها:

توفّى لغة: قال في اللسان: وتوفّي فلانٌ وتوفّاه الله: إذا قبض نفسه. وقوله عزوجل: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾ أي يستوفي مدد آجالهم في الدنيا. وقال الراغب: وقد عبّر عن الموت والنوم بالتوفي. قال تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى...﴾ و﴿وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيلِ...﴾ و﴿...يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...﴾ وقد قيل: تَوفّي رفعةٍ واختصاصٍ لا تَوفّي موت.

العدوّ لغة: قال الراغب: فمن المُعاداة يقال: رجلٌ عدوّ وقومٌ عدوّ وقد يُجمع على عِدىً وأعداء، وقال ابن منظور: والعدوّ: ضدّ الصديق، يكون للواحد والاثنين والجمع والأنثى والذكر بلفظ واحد.

وقال الجوهري: العدوّ: ضد الولي.

لم يوفق هؤلاء لحد الآن في نيل مرادهم بمسكة على القرآن الكريم. وهنا أوردوا آية سورة المائدة التي أشادت ببعض صفات النصارى لأسباب مرّت بنا، وذمت اليهود لصفات فيهم، ولم يتراجع القرآن عما في هذه الآية من مدح الممدوح أوذم المذموم. إذ كان للنصارى قسيسون أي علماء يعلمونهم وليسوا كعلماء اليهود الذين كانوا يُخفون الحقائق. وكان في النصارى زهاد تركوا الدنيا وهي النقطة الفارقة لما كان يفعله اليهود البخلاء

---

(١) آل عمران: ٥٥.

(٢) مريم: ٣٤.

الجشعون. فكان النصارى أرفع من اليهود من هذه الناحية، وكان كثير من النصارى يخضعون للحق ولم يستكبروا، ودخل كثير منهم في الإسلام في حين أن قلة من اليهود دخلت فيه، ثم إن نفراً من النصارى كانوا إذا استمعوا آيات القرآن فاضت أعينهم من الدمع؛ لأنهم يعرفون الحق إذا سمعوه، ولكن هذا لم يكن قانونا عاماً في النصارى، وإنما كانت صفة النصارى المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله هكذا. ولو كانت قانوناً عاماً فيهم لما حدثت الحروب الصليبية بينهم وبين المسلمين.

أما آية سورة آل عمران فقد جاء في تفسيرها أن اليهود بالاتفاق مع النصارى الخونة قرروا قتل السيد المسيح عليه السلام، فأحبط الله كيدهم ونجّى نبيه منهم. وفي هذه الآية يذكر الله نعمته على المسيح قبل وقوع الحادثة ﴿...إِنِى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ والتوفي: الأخذ التام ـ إضافة الى ما عرفنا من معناه ـ ولذا يستعمل في الموت أحيانا لأنه أصدق مصاديق الأخذ، ولكن اليهود ادعوا أنهم قتلوا السيد المسيح عليه السلام: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ...﴾[١] وظن النصارى أن اليهود قتلوا نبيهم ودفنوه، ثم قام من بين الأموات وبقي فترة قصيرة على الأرض ثم صعد الى السماء.

ذكرت ذلك أناجيل: (مرقس ومتي ولوقا ويوحنا) والواقع إن الله أنقذ عيسى عليه السلام من الكفار الخبثاء الذين كانوا يوجهون إليه التهم الباطلة

---

(١) النساء: ١٥٧.

سعياً لتلويث سمعته، ثم قالت الآية ﴿...وَجَاعِلُ الذينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذينَ كَفَرُواْ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَـةِ...﴾ وفيها بشارة للسيد المسيح وأتباعه الخلّص لتشجيعهم على المضي في الطريق الذي اختاروه.

واليوم نرى ما أشارت إليه الآية على نحو الإعجاز الغيبي أن اليهود لايستطيعون إدامة حياتهم السياسية والاجتماعية يوماً واحداً من دون الاستناد الى المسيحيين. وهذه التبعية سوف تبقى الى آخر الدهر. هذا أحد الآراء في الفوقية. وفي الآية ثناء ومدح وضمان لبقاء عيسى حياً، وتكذيب لدعوى اليهود بأنهم قتلوا السيد المسيح.

أما آية سورة مريم التي ادعى أصحاب الشبهة أن فيها ذماً للنصارى بعد مدحهم. فقد أكدت الآيات التي سبقتها ولادةَ عيسى عليه السلام بصورة واضحة، ونفت الخرافات وكلمات الشرك التي قالوها في شأن نبيهم فقالت: ﴿ذلكَ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ...﴾ وأكدت أنه ابن مريم نفياً لبنوّته لله تعالى. ﴿...قَوْلَ الْحَقِّ الذى فيه يَمْتَرُونَ﴾ وفيه تأكيد على صحة جميع ماذكرته الآيات السابقة في حق عيسى عليه السلام، ولايوجد أدنى ريب فيها، ولكن اليهود وأكثر النصارى شككوا في طهارة أمه وعفّتها، بل شك قوم منهم في كونه إنساناً. وقد ذمت سورةُ مريم هذه الفئة الضالة لأنها نسبت عيسى الى الله، وقالت ببنوّته له ﴿مَا كَانَ للّـه اَن يَتَّخـذَ مـن وَلَـدٍ سُبْحَانَهُ إذَا قَضَى امراً فَإنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُـونُ﴾[1] وفيها رد صريح

---

(١) مريم: ٣٥.

وردع واضح لهم؛ لأن نسبة الولد الى الله تعالى لا تنسجم مع قداسة مقام الألوهية، لما تستلزم من الجسمية والمحدودية والاحتياج، وفيها تنزيلُ مقامِ الخالق الى مقام المخلوق. والله إذا أراد شيئا يتحقق ذلك الشيء بمجرد إرادته، فلا يصعب عليه شيء.

من هنا جاء الذم ولهذا السبب كان. إذن: ليس بين آية سورة مريم تناقض أو تراجع عن مدح بعض النصارى الذي ورد في الآيتين الأوليين، بل المدح في محله والذم في محله.

الشبهة التاسعة والستون:

«جاء في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١] وهذا يعني أن أتباع عيسى لاخوف عليهم الى يوم القيامة، لكن القرآن يضاد ذلك بقوله في سورة آل عمران ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢]».

ردها:

الدين لغة: قال في اللسان: الحساب، ومنه ﴿مٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقيل

(١) آل عمران: ٥٥.

(٢) آل عمران: ٨٥.

معناه مالك يوم الجزاء. والدين: الطاعة. والدين الاسلام، وقد دِنْتُ به. وقال الراغب: والدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة.

بعد أن ذكروا آية سورة آل عمران التي مررنا بها تواً افتروا على الله تعالى بقوله ﴿...وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ معناه أن أتباع عيسى عليه السلام لا خوف عليهم. في حين أن الآية لم تتطرق الى أمان إلهي دائم لأتباع عيسى عليه السلام، ولم تضمن لهم أنهم لا يصيبهم خوف مدى الحياة، وإنما قالت إن اتباع عيسى فوق الذين كفروا في بعض الصفات. فليس فيها تعهد إلهي بالأمن وعدم الخوف الذي ادعوه.

وأكثر ما شغل المفسرين قوله تعالى: ﴿...وَجَاعِلُ الذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ...﴾ والذين اتبعوا عيسى هم المؤمنون المخلصون له الذين لم يتسرب الى قلوبهم منه أدنى شك. و ﴿...الَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ هم اليهود الذين كان لهم موقف معادٍ ومضاد لنبوة عيسى عليه السلام، فحاولوا أن يصدوا الناس عن دعوته بإثارة الشكوك فيه واتهام أمه مريم عليها السلام. ومعلوم أن من يكون أصلُه وعِرضُه موضعاً للتهمة والشك لا يستطيع المضي بدعوته، ولايجد من يؤمن به. فكان دأب اليهود ليس فقط الكفر بعيسى وبما جاء به، وإنما حياكة الشبهات ضده واتهامه بكل ما ينفر منه الخلق الرفيع. أما مسألة الفوقية التي تضمنتها الآية فما هي حقيقتها؟

فنجيب:

في الفوقية المشار إليها آراء كثيرة ولكن الآقرب هو: إن الله تعالى

سينزّل على اليهود سخطه ويكون أتباع عيسى في منجىً منه، وسيكون اليهود في إذلالِ مَن آمن بعيسى الى يوم القيامة. ويؤيده أن المدح لمن أخلص لعيسى خالد في القرآن الباقي الى يوم القيامة. فالفوقية فوقية معنوية لا فوقية مادية. ويمكن أن نستخلص من هذا الرأي أن المسلمين أيضاً ستكون لهم فوقية على اليهود لأنهم من المؤمنين بعيسى المصدقين له كسائر الأنبياء عليهم السلام، ويؤيده ما ورد في الروايات عن أن دولة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف ستكون فيها أقليات دينية تتعايش مع دولته الكبرى بشروط وذمم. وفي هذا صَغار لهم.

أما الآية ٨٥/آل عمران فقد جاءت بعد آيات أخذ الميثاق من النبيين. وذلك لما آتاهم الكتاب والحكم على أن لا يدعوا هم ورؤساء أديانهم وعلماؤهم الى الشريك. وعلى الإيمان والنصرة لغيرهم من النبيين الذين يدعون الى توحيد الله. أي أن الميثاق مأخوذ من عامة الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً، ويصدق بمجيئ محمد صلى لله عليه وآله نبياً خاتماً. وهذا يعني أن الدين واحد يدعو إليه جميع الأنبياء. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنا معاشرَ الأنبياء دينُنا واحد». ثم ختمت الآيات بالآية مورد البحث ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً...﴾ أي بعد أخذ الميثاق من النبيين وأممهم وعلمائهم صار الجميع ملزماً بالعمل وفق ذلك الميثاق. قال الإمام علي عليه السلام: «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وآله وأمره أن يأخذ العهد على قومه بأن يؤمنوا به ويناصروه إذا أدركوا زمانه» وأما من يخالف الميثاق باتخاذ دين غير الإسلام فلن يقبل منه ويُعدّ من

الخاسرين في الدنيا والآخرة. وأتباع عيسى كانوا مع الميثاق؛ لأن المسيحية ـ كما نوهنا ـ مرحلة من مراحل تكامل الدين الإسلامي. فلا يُعتبرون ـ قبل بعث النبي صلى الله عليه وآله ـ منتحلين ديناً غيرَ الإسلام، إلا أنهم بعد أن أدركوا بعثته الشريفة عليهم الوفاء بالميثاق المشار إليه. وعليه تكون فوقية النصارى المؤمنين على اليهود فوقية ذكر طيب خالد الى يوم الدين.

الشبهة السبعون:

«قال في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الذي يُلْحِدُونَ إِلَيه أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[1] ولكن هذا المبين تناقضة كلمات كثيرة في القرآن غير مبينة وغريبة. منها: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾[2] و ﴿...غِسْلِين﴾[3] و﴿وَحَنَاناً...﴾[4] و ﴿...أَوَّاهٌ...﴾[5] و ﴿...كَلاَلَةً...﴾[6] و ﴿...مُبْلِسُونَ﴾[7] و ﴿...وَأَخْبَتُواْ...﴾[8]

(١) النحل: ١٠٣.

(٢) عبس: ٣١.

(٣) الحاقة: ٣٦.

(٤) مريم: ١٣.

(٥) هود: ٧٥.

(٦) النساء: ١٢.

(٧) المؤمنون: ٧٧.

(٨) هود: ٢٣.

و﴿...الـرَّقِيمِ...﴾[١] و ﴿...حَصْحَصَ...﴾[٢] و ﴿...سَرِيّاً﴾[٣] و ﴿...الْمَسْجُورِ﴾[٤] و ﴿...قَمْطَرِيراً﴾[٥] و ﴿...عَسْعَسَ﴾[٦] و ﴿...سِجِّيلٍ...﴾[٧] و ﴿...النَّاقُورِ﴾[٨] و ﴿...فَاقِرَةٌ﴾[٩] و﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[١٠] و ﴿...إِسْتَبْرَقٍ...﴾[١١] و(مثلاً قرأ عمر بن الخطاب على المنبر: وفاكهة وأبّا فقال: هذه الفاكهة وقد عرفناها. فما الأب؟ ثم رجع الى نفسه وقال: إن هذا هو الكلف. وقال ابن عباس: لا أعرف. غسلين وحنانا وأواه والرقيم) ونحن نسأل: أليست هذه الألفاظ الغريبة مخالفة للقول بأن القرآن عربي مبين؟».

ردها:

أشكلوا على كتاب الله في هذه الشبهة لورود بعض الكلمات التي تحتاج الى توضيح وقد تم توضيحها للمسلمين من قِبل رسول الله صلى الله

---

(١) الكهف: ٩.

(٢) يوسف: ٥١.

(٣) مريم: ٢٤.

(٤) الطور: ٦.

(٥) الانسان: ١٠.

(٦) التكوير: ١٧.

(٧) هود: ٨٢.

(٨) المدثر: ٨.

(٩) القيامة: ٢٥.

(١٠) الرحمن: ٦٤.

(١١) الرحمن: ٥٤.

عليه وآله. ومنبع الشبهة أن هؤلاء تصوروا أن القرآن نزل وحده وبقي وحده. وسوف تبقى بعض كلماته مستغلقة لايفهم معناها أحد. وهذا ـ حسب رأيهم ـ مخل بفصاحة القرآن ومخالف لكونه مبيناً. فنقول:

إن الله تعالى أكمل حجة القرآن بوجود النبي صلى الله عليه وآله وأوصيائه. وهؤلاء جيمعاً بينوا مفاهيمه وأغراضه وشرحوا مقاصده وأهدافه. ولهذا كان القول المشهور لعمر بن الخطاب: «حسبنا كتاب الله» خطأً واضحاً. وفي حديث الثقْلين إشارة واضحة الى هذا المعنى. فالعترة الطاهرة من بعد رسول الله هي المعنية بالقرآن الكريم شرحاً وحفظاً وتطبيقاً. ولم يُبقِ النبي صلى الله عليه وآله، ولا العترة الطاهرة خافيةً في كتاب الله إلا وفسروها في موقف عام أو خاص.

زد على ذلك أن القرآن تحدى أهل البلاغة ببلاغة لا قبل لهم بها، وقد أثار حميتهم وأنفتهم لعلهم يُجارونه في سورة أو آية فلم يفعلوا ولم يجرؤوا على ذلك. فكيف يتسنى لنفر من أبناء اليوم جهلاء باللغة غرباء عنها أن يسجلوا مثلبة في كتاب الله ويقولوا إن وجود كلمات غير مفهومة لعامة الناس مخل بعربيته؟ وإذا كان حقٌ لمثيري الشبهات أن يُشكلوا على القرآن اليوم، فالعرب المعاصرون لنزول القرآن أولى بهذا الحق. ومع ذلك لم ينفروا من الكلمات التي ذكرتها الشبهة، ولم يعترضوا عليها خصوصاً بعد بيان معانيها وشرحها. ولم تكن هذه الكلمات من لغة أخرى، بل هي من بنات لغة العرب.

ونحن ذكرنا سابقاً أن اللغة لم تستوحش من الدخيل عليها فكيف تستوحش من كلمات لها أصول وجذور فيها؟ أما كون بعض الصحابة لم

يفهم معنى لفظ من الألفاظ فهذا حدّ علمه وهذا تقصير منه لأنه معاصر للرسول صلى الله عليه وآله ولم يسأله عن معنى في كتاب يعنيه. وقديما قالوا: «السؤال مفتاح المعرفة» فالشبهة مكررة ولكن بثوب آخر وهي راجعة الى عدم فهم اللغة والابتعاد عنها.

الشبهة الواحدة والسبعون:

«جاء في سورة النساء: ﴿وَاللاَّتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوت حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[١] قالوا: هذه الآية نُسخت بحديث عُبادة بن الصامت أن النبيّ قال: «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر والثيب بالثيب البكر تجلد وتنفى والثيب تجلد وترجم» ثم إن هذا الحديث صار منسوخاً بسورة النور ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِد مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَة وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ الله إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وهذا يثبت أن القرآن قد يُنسخ بالسنة والسنة قد تُنسخ بالقرآن. وهناك رأي آخر يقول: إن آية الحبس صارت منسوخة بآية الجلد. وقال رأي ثالث إن الحديث جاء تفسيراً لآية الحبس وبياناً للسبيل

(١) النساء: ١٥.

(٢) النور: ٢.

الذي جعله الله لهن. فهل من مسلم يرضى بذلك؟».

ردها:

أمسك لغة: قال ابن منظور: ومسك بالشيء وأمسك به وتمسّك وتماسك واستمسك ومسّك كله: احتبس. وقال الراغب: إمساك الشيء: التعلّق به وحفظه... ويقال: تمسكت به ومسكت به. قال تعالى ﴿...وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾.

الجَلد لغة: قال في اللسان: والجلد: مصدر جلده بالسوط يجلده جلداً: ضربه، وجلده الحدّ جلداً أي ضربه وأصاب جِلده. وجلدت به الأرض: أي صرعته.

وهنا ركبوا رأس الشطط إذ خاطبوا مواقع شيعية بما عند غيرهم من المذاهب الإسلامية وهذا ـ كما قلنا ـ خلاف المنهج العلمي للحوار. فقالوا مستغربين: إن آية السجن المؤبد للزانية المحصنة نسخها حديث عبادة. ونحن نقول إن القرآن قد ينسخ بالسنة المتواترة القطعية وبالإجماع الداخل فيه معصوم. ولكن التفاسير الشيعية لم تذكر حديث عبادة ولم تدّع أن آية السجن المؤبد نسخت بالحديث المذكور. بل ذكرت الآية حكما خاصاً مؤقتا للزانية المحصنة مما يعني أن الحبس يبقى مفعوله مستمراً حتى يُشرَّع لهن حكم آخر. وقد شُرِّع وهو الرجم. وبينت ذلك السنة الشريفة القطعية. إذ لم يرد الرجم في القرآن ولو على نحو الإشارة إليه. ومن هنا يتضح أن السجن نسخ بالرجم. وأما الجلد فقد شُرِّع لغير المحصنة وغير المحصن أي البنت والرجل غير المتزوجين. وهو ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ...﴾ والجلدة الواحدة تعني ضربة سوط واحد. والذي يباشر الجلد هو النبي أو الامام أو نائبه أي الحاكم الشرعي في زمن الغيبة. ويكون الجلد علنياً أمام مرأىً ومسمع من المؤمنين والناس أجمعين، حتى تكون العبرة مما يشاهدونه رادعة لهم. وقد كان حكم غير المحصن والمحصنة الأذى وذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا...﴾[1] ولم يحدد الأذى وترك للعرف. فكل ما يحقق الأذى فهو، ثم حُدِّد بآية الجلد العلني وهو أبلغ الأذى. فتكون آية الجلد مبيّنة ومحدّدة للأذى الذي كان مطلقاً. إذن: قد يُنسخ القرآن بالقرآن وقد يُنسخ بالسنة القطعية وبالاجماع الكاشف عن دخول المعصوم فيه. ولكن لم يرد أن القرآن نَسخ السنة. وهو خلاف ما ورد في الشبهة.

الشبهة الثانية والسبعون:

«قال في سورة محمد: ﴿فَإذا لَقِيتُمُ الذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إذَا اَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإمَّا مَناً بَعدُ وَإمَّا فداء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ اَوْزَارَهَا ذٰلكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لاَنتصرَ مِنْهُمْ وَلَكن لِّيَبْلُوَ بَعضَكُم بِبَعْضٍ وَالذينَ قُتلُوا فِى سَبِيلِ الله فَلَن يُضلَّ اَعْمَالَهُمْ﴾[2]. وهنا نرى أنه يمكن إعطاء فداء للكفار، ولكنهم يقولون إن هذه الآية نسخت بآيات

---

(١) النساء: ١٦.

(٢) محمد: ٤.

أخرى تنفي أي فداء للكفار مثل: ﴿...فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[(١)]».

ردها:

أثخن لغة: جاء في اللسان: أثخن: إذا غلب وقهر... وأثخن في العدو: بالغ. وفي التنزيل العزيز ﴿...حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ...﴾ قال أبو العباس: معناه غلبتموهم وكثر فيهم الجراح فأعطوا بأيديهم.

الوثاق لغة: قال في اللسان الوثاق: اسم الإيثاق، تقول: أوثقته إيثاقاً ووثاقاً، والحبل أو الشيء الذي يوثق به: وثاق... وأوثقه في الوثاق أي شده. وقال الراغب: والوَثاق والوِثاق: اسمان لما يوثق به الشيء.

المنّ لغة: قال في اللسان: ومَنّ عليه يمُنُّ مَنّاً: أحسن وأنعم، ومنّ عليه وامتنّ وتمننّ: قرّعه بمنّة. قال الراغب: والمِنّة: النعمة الثقيلة. وقوله: (فإما منّاً بعد وإما فداء) فالمنّ إشارة الى الإطلاق بلا عوض.

تخبطوا في هذه الشبهة بما لا مزيد عليه. وإنما ذاك للجهل الذي هم فيه. فذكروا آية سورة محمد وهي خاصة بقتال الكفار الذين صدوا عن سبيل الله، ووقفوا حجر عثرة في طريق الدعوة المحمدية. وأولئك هم كفار مكة ومن تبعهم، حيث كان أبرز أعمالهم إبطال الحق وإحياء الباطل خلافا لما وعد الله تعالى من إحياء الحق وإبطال الباطل. وذلك قوله ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[(٢)]. وفي الآية مورد البحث وصفٌ

---

(١) التوبة: ٥.

(٢) الانفال: ٨

لمن كفر،ووصف لمن آمن وعمل صالحاً. وبعد هذين الوصفين وتشخيص أهل الحق وهم المؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله وبما جاء به، وتشخيص أهل الباطل وهم الكفار الذين صدوا عن سبيل الله، فرّعت الآية على ذلك: أن على المؤمنين إذا لقوا الكفار أن يقاتلوهم لتطهير الأرض منهم؛ لأنهم مفسدون. فقالت: ﴿فَإذا لَقيتُمُ الذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَاب...﴾ أي إذا لقيتم الكفار في القتال فضرب الرقاب أي بالسيف ثم قالت: ﴿...حَتَّى إذَا اَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ...﴾ والإثخان الإكثار من القتل والوثاق عرَفناه أي فأسروهم بشد الوثاق. وفيها جاء الأسر بعد الإثخان وهو منسجم مع قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبيٍّ اَن يَكُونَ لَهُ اَسرَى حَتَّى يُثْخِنَ فى الاَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الاَخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، ثم عقّبت الآية ﴿...فَإمَّا مَناً بَعدُ وَإمَّا فدَاء...﴾ أي بعد الأسر يكون للمسلمين أن يمنّوا على الأسرى فيطلقوهم، أو يسترقوهم أو يطلقوهم مقابل فداء بالمال، أو يبتادلوا بهم بما عند الكفار من أسرى المسلمين. وهذه الآية لم تَنسخ آية ﴿مَا كَانَ لِنَبيٍّ اَن يَكُونَ لَهُ اَسرَى...﴾ لتأخر سورة محمد عن سورة الأنفال، بل إن آية الانفال نهت عن الأسر قبل الإثخان. والآية مورد البحث أمرت بالأسر بعد الإثخان.

أما آية سورة التوبة فحددت وظيفة المسلمين بعد انسلاخ الأشهر الحرم. أي: بعد إمهال المشركين أربعة أشهر. فأصدرت أربعة أوامر

(١) الأنفال: ٦٧.

صارمة بحقهم:

أ ـ إيصاد الطريق في وجوههم.

ب ـ محاصرتهم.

جـ ـ أسرهم.

د ـ ثم قتلهم. وهذه الأوامر ليست على نحو الترتيب أي: إن كان في غلق الطرق والمحاصرة والأسر كفاية فبها، وإلا فلا محيص عن القتال. وقد يقال: إن هذا المنهج يتعارض مع قوله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ...﴾ الذي يدل على حرية الاعتقاد. قلنا: إن عدم الإكراه منحصر في أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم ولا يشمل عبدة الأوثان؛ لأن الوثنية ليست ديناً يُلحظ بعين الاعتبار، بل هي مجموعة خرافات وجهل وانحراف عن الفطرة السليمة. ولكن هذه الشدة والصرامة المعبَّر عنها بالآية لا تعني سد الطريق أمام من يريد الرجوع والتوبة. ولذلك عقّبت الآية ﴿...فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتوب عن عباده المُنيبين. إذن: في الآية هدنة وهي ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ...﴾ أعطاها الله للمشركين، وبعدها تتم ملاحقتهم وتصفيتهم.

فموضوع آية سورة محمد مختلف جداً عن موضوع آية سورة التوبة. فهناك مندوحة للكفار، وهنا تشديد وإصرار عليهم من دون فداء. ولم يذكر أحد من المفسرين أن آية التوبة ناسخة للآية الأولى. وإنما بينت كل آية منهجاً للمواجهة وإن كان الهدف واحداً.

الشبهة الثالثة والسبعون:

«وصف القرآن محمداً بأنه صاحب خلق رفيع فقال في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١] ولكن نراه في مقابلة رجل أعمى تولّى عنه واحتقره. وهذا ليس بالخلق العظيم وذلك في سورة عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿أَن جَاءهُ الأَعْمَى﴾[٢] وليس من يخشى الناس والواجب أن يخشى الله بصاحب خلق عظيم حيث جاء في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْه وَأَنْعَمْتَ عَلَيه أَمسكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ وَاتَّق اللهَ وَتُخْفى فى نَفسكَ مَا اللهُ مُبْديه وَتَخشَي النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمنينَ حَرَجٌ فى أَزْوَاجِ أَدْعيَائهِمْ إِذَا قَضَوْا منْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمرُ الله مَفْعُولاً﴾[٣] وليس خلقه عظيماً من كان ضالاً. ففي سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى﴾[٤] ولديه ذنوب أُمر بالاستغفار منها. ففي سورة محمد: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاستَغْفرْ لذَنبكَ وَللْمُؤْمنينَ وَالْمُؤْمنَات

---

(١) القلم: ٤.

(٢) عبس: ١ ـ ٢.

(٣) الاحزاب: ٣٧.

(٤) الضحى: ٧.

وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[1]».

ردها:

تولّى لغة: قال في اللسان نقلاً عن التهذيب: وقد يكون ولّيت الشيءووليت عنه بمعنى. ثم قال وقد تكون التولية إقبالاً، ومنه قوله تعالى ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا...﴾ قال الفرّاء: هو مستقبلها. قال والتولية تكون انصرافاً، قال الله تعالى ﴿...ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ وقال أبو معاذ النحوي: قد تكون التولية بمعنى التولّي. يقال ولّيت وتوليت بمعنى واحد.

خشي لغة: قال الراغب: الخشية خوف يشوبه تعظيم. وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خصّ العلماء بها. وقال ابن منظور: الخشية: الخوف. خشي الرجل يخشى خشيةً أي خاف.

التقلّب لغة: قال الراغب: والتقلّب: التصرف قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ وقال في اللسان: وتقلّب في الأمور وفي البلاد: تصرّف فيها كيف شاء.

لقد حشّدوا هنا ست آيات قرآنية جاعلين الأولى منها ركيزة انطلقوا منها نحو شبهة عفا عليها الزمن، حاولوا إلصاقها بسيد الكائنات النبي محمد صلى الله عليه وآله والآية هي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وقالوا: إن كان محمدٌ ممدوحَ ربه لخلقه العظيم. فقد صدر منه ما يخالف هذا المدح. فإما أن يكون المدح مبالغة فيه، أو يكون الممدوح غير محل للمدح. والذي

(١) محمد: ١٩.

صدر منه ـ حسب تصورهم ـ سوء خلق ماكان ينبغي أن يصدر ممن هو دونه بحق عبد الله ابن أم مكتوم. إشارة الى مطلع سورة عبس. وعبد الله هذا هو المؤذن الثاني لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد بلال، وابن خال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها والذي أمّره النبي على المدينة في غزوتين، وكان يؤم الصلاة بأهلها في تينك المرتين.

إعلم أخي القارئ الكريم ـ بأن المفسرين اختلفوا في العابس، فقيل هو رجل من أُميّة كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما دخل عبد الله على النبي تقذّر منه هذا الأموي، وأعرض عنه؛ لأنه هو من الأثرياء، وعبد الله أعمى من الفقراء، وقيل رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن قول المفسرين أن الله عاتب النبي على ذلك لا وجه له على الإطلاق ـ كما ستعرف ـ لأنه صلى الله عليه وآله أراد أن يغتنم فرصة وجود من عنده من صناديد قريش الذين طمع في هدايتهم ليهتدي مَن خلفهم مِن أتباعهم لتقوية الإسلام وليأمن المسلمون شرهم. وهم: عُتبة وشيبة وأبو جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم. وكان مقبلاً عليهم ومشغولاً بهم دون الجالسين، يذكّرهم الله ويحذّرهم عاقبة الشرك، فأتاه عبد الله ودخل على الخط مباشرة وطلب من النبي أن يعلّمه مما علمه الله. وهو لا يعلم بمن عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذ يكرر طلبه والنبي منشغل عنه بهؤلاء، فكره النبي مقاطعة عبد الله له وهو في تلك الحال ـ فعاتبه الله مرة بضمير الغائب، ومرة بضمير المخاطب. وضمير المخاطب فسّر ضمير الغائب بأن المخاطب هو رسول الله. ومع هذا فلا موجب للعتاب ـ حسب قول بعض المفسرين ـ لأمور منها:

أ ـ إن هداية هؤلاء أهم من استجابة طلب عبد الله ابن أم مكتوم. وعليه يكون طلبه مهماً. وتقديم الأهم على المهم أمر عقلائي، لأن هؤلاء إذا فلتوا منه فقد لا يجتمع بهم ثانية.

ب ـ إن هداية صناديد قريش أمر مضيّق، واستجابة طلب عبد الله أمر موسع. والمضيّق يفوت بفوات وقته. والأمر الموسع يمكن القيام به في أي وقت آخر. وتقديم المضيق على الموسع أمر عقلائي. فكان عمل رسول الله صلى الله عليه وآله في محله.

جـ ـ لا لوم ولا عتاب على النبي صلى الله عليه وآله، ولاعلى عبد الله في هذه الآيات. وإنما هي في واقعها تحقير وتوبيخ لؤلئك المشركين الذين أقبل عليهم النبي وطمع في هدايتهم. فقال الله له ـ وهو مضمون الآيات الأخرى ـ لماذا تتعجل النصر لدين الله، وتسلك إليه كل سبيل حتى بلغتْ بك الحال أن تأمل هداية أشقى الخلق وأكثرهم فساداً وضلالاً؟ دعهم في طغيانهم فإنهم أحقر من أن ينتصر الله بهم لدينه، وأضعف من أن يقفوا في طريق دعوته. فإن الله سيذلهم ويُظهر دينه على كل دين ولو كره المشركون. وهذا المضمون قريب من قوله: ﴿...فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ...﴾[1].

ثم قالوا: وليس بصاحب خلق عظيم من يخشى الناس والله أحق أن يخشاه. إشارة الى آية الأحزاب التي تناولت قصة زواج النبي صلى الله عليه وآله من زينب بنت جحش وهي بنت عمته التي زوّجها من قبل الى ابنه

(١) فاطر: ٨

بالتبنّي وعتيقه (زيد بن حارثة) ولما لم يدم هذا الزواج وانتهى بالطلاق للفارق الكبير بين زينب وزيد حيث كانت من قبيلة معروفة، وهو عبد معتق فلم ينسجما فطلقها، فتزوجها النبي للقضاء على ظاهرتين كانتا قبل الإسلام هما:

الاولى: كان الابن المتبنّى ـ طبقاً لسنة الجاهلية ـ يتمتع بكل أحكام الابن الصُلبي. ومن جملتها حرمة الزواج من زوجة الابن المتبنى إذا طلقها. أي تحرم على المتبنّي.

الثانية: كانوا يستنكرون الزواج من مطلقة العبد المعتَق. وبخاصة إذا كان المقبل عليها شخصاً كرسول الله صلى الله عليه وآله. ولكن الله أمر نبيه بالزواج من زينب فلابد أن يقع هذا الزواج لتحطيم تلك القيود الجاهلية. ولذا قدّم هذه الآية ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمرِهِمْ وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً**﴾[1].

وبقول مختصر: ماكان هذا الزواج لمصلحة النبي، وإنما مثل سائر زواجه السابق. فكان النبي قبل تنفيذ أمر الله خائفاً من إثارة ألسن الخصوم عليه لرواسب جاهلية. وإن خشيته تلك كانت على دين الله من التعثر بسبب ما سيثار من قبل المتربصين. وقد يؤثر ذلك على ضعفاء الإيمان. ولذا قالت الآية: ﴿**...وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخشَاهُ...**﴾ إنه حريّ أن يخشى الله دون الناس، ولكنه خشي الله عن طريق الناس فأمّنه الله ذلك. نظير قوله

(١) الأحزاب: ٣٦.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلغْ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾. وقوله ﴿...وَتَخشَى النَّاسَ...﴾ مسوق لانتصاره وتأييد أمره قبال طعن الطاعنين، ولكنه تأييد يبدو في صورة العتاب.

ثم قالوا: من كان ضالاً كيف يكون صاحب خلق عظيم؟ وذكروا قوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى﴾ وتصوروا أنه كان منحرفاً عن خط الهداية، ولكن الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يعلم بنبوّته ورسالته، إلا أن الله أنزل عليه هذا النور ليهدي به الإنسانية جمعاء، ومثل هذا المعنى جاء في قوله تعالى: ﴿...مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا...﴾[1]. ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وآله كان فاقداً لهذا الفيض الإلهي قبل وصوله الى مقام النبوة، ثم أخذ الله بيده وبلغ هذا المقام. ومن المؤكد أنه لولا الهداية الإلهية والإمداد الغيبي لما استطاع النبي صلى الله عليه وآله أن يهتدي المسير نحو الهدف المقصود. فليس (ضالاً) في الآية يعني عدم الايمان والتوحيد والتقوى، بل يعني نفي العلم بأسرار النبوة وأحكام الإسلام، لكنه بعد البعثة الشريفة اهتدى الى كل هذه الأمور بعون الله تعالى.

ثم قالوا: من له ذنوب يُؤمر بالاستغفار منها كيف يكون صاحب خلق عظيم؟ وذكروا الآية ١٩ / محمد التي جاءت بعد آية عن المنافقين وكيف

(١) الشورى: ٥٢.

كان تعاملهم مع الوحي الإلهي، وقرنت بينهم وبين الذين اهتدوا، ثم ذكّرتهم أن الساعة قريبة الوقوع وتأتيهم بغتةً، ثم جاءت الآية مورد البحث ملتفتة الى النبي صلى الله عليه وآله: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) أي اثبت على خط التوحيد فإنه الدواء الشافي وهو أفضل وسيلة للنجاة. وليس معنى ذلك أن النبي ما كان يعلم بالتوحيد، بل المراد الاستمرار عليه، ثم أشارت الآية الى مسألة التقوى والبعد عن المعصية فقالت ﴿...وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ ولا يخفى أن النبي لم يرتكب ذنبا أبداً بحكم العصمة، ولكنه لما كان القدوة لكل المسلمين فعليه أن يعوّدهم على الاستغفار. فكان صلى الله عليه وآله يستغفر الله في اليوم مائة مرة، وفي رواية سبعين مرة من اللحضات التي شُغل فيها عن ذكر الله تعالى. وأُمر أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات لتسعهم رحمة الله.

فهل انكشف لهؤلاء أنه صلى الله عليه وآله جدير بالمدح والثناء وأنه صاحب خلق عظيم؟

الشبهة الرابعة والسبعون:

«قال في سورة مريم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[1] ولكنه في سورة الأنبياء: ﴿وَالَّتِي اَحصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً

(١) مريم: ١٧.

لِّلْعَالَمِينَ﴾[١] في الآية الأولى أرسل روحه، وفي الثانية من روحه. والجزء ليس مثل الكل، والكل ليس مثل الجزء».

ردها:

أحصن لغة: قال ابن منظور: وأصل الإحصان: المنع. والمرأة تكون محصنة بالاسلام والعفاف والحرية والتزويج. يقال: أحصنت المرأة فهي محصَنة ومحصِنة وكذلك الرجل.

هنا أطلب من القارئ الكريم أن يمعن النظر جيداً ليطلع على محل (التناقض) المزعوم، ويرى هل هو تناقض أم جهل أم تخبّط؟ لقد جاؤوا بالآية ١٧ / مريم وفيها ﴿...فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا...﴾ وقالوا هذا يناقض قوله في سورة الأنبياء: ﴿...فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا...﴾ وإني لأراها مسخرة لا تناقضاً ولا حتى شبهة. وإنما هو جهل عميق وثرثرة فارغة ليس من ورائها إلا إشغال المسلمين عن واجبهم الشرعي. وقد يقول القائل : إن رد هؤلاء هو وظيفة شرعية، ولكن أراها شبهات مدّعاة لقتل الوقت ليس إلا، وليس الغرض من إثارتها كشفَ الحقيقة ولا المعرفة بعد الجهل، ولكن لما أصر استاذي سماحة الشيخ الواعظي دام ظله على أن أرد هذه الشبهات صرت مضطراً لتقبل هذا التكليف بعين الرضا. وردّنا عليهم هو:

إن لفظ (روحنا) في سورة مريم المعني به جبرئيل عليه السلام والتمثيل هو: ظهور جبرئيل لمريم على صورة إنسان ـ وقد مرّبنا ـ ولم يتحول الى بشر حقيقة. فإن ذلك غير ممكن لاختلاف طبيعة الملائكة عن

---

(١) الأنبياء: ٩١.

طبيعة البشر. إلا أنها عليها السلام كانت تظن أنه بشر صورةً وسيرةً. وذلك يشبه تمثل إبليس بصورة شيخ كبير السن حضر في (دار الندوة) حيث كان المشركون مجتمعين يخططون لقتل النبي صلى الله عليه وآله.

إذا عرفنا معنى الروح هنا لننتقل الى الآية الثانية: ﴿...**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**...﴾ هنا النفخ لم يقع من الله تعالى لأن النفخ ممتنع عليه، وإنما كان عن طريق جبرئيل الذي نفخ في جيب مريم عليها السلام إذن: النفخ كان بوساطة الملك، ثم إن ﴿...**مِن رُّوحِنَا**...﴾ يعني أجرينا فيها ـ أي مريم ـ روح المسيح عليه السلام كما يجري الهواء بالنفخ. وقد تكررت الإضافة التشريفية مثل: (كلمة الله) وغيرها لأن عيسى شيء منه سبحانه وهو عليه السلام معجزة في كل شيء: في الحمل به، في مدة الحمل، في الولادة، في التكلم في المهد، في بعثه نبياً، في إحيائه الموتى، في السير على الماء. الى غير ذلك من معاجزه. والذي يشك في ذلك يشك في قدرة الله ـ عزوجل ـ فكيف صار تناقضاً ما ذكرته الآيتان وفي الأولى: إرسال وفي الثانية نفخ.

الشبهة الخامسة والسبعون:

«جاء في سورة المزمل: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً**﴾[1] وهي حقيقة يعرفها الجميع أن هناك مشرقاً واحداً للشمس ومغرباً واحداً. ولكن آية أخرى تقول ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ**

(١) المزمل: ٩.

الْمَغرِبَيْنِ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١]، وهذا تناقض».

ردها:

الوكيل لغة: قال في اللسان: وكيل الرجل: الذي يقوم بأمره، وقال الجوهري: الوكيل: معروف. يقال: وكّلته بأمر كذا توكيلاً. وقال الراغب: والوكيل فعيل، بمعنى مفعول.

قرروا أن للشمس مشرقاً واحداً ومغرباً استناداً للآية ٩ / المزمل. وقالوا هذا هو الصحيح. فكيف يقول الله ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغرِبَيْنِ﴾؟

ولبيان الحق الذي ابتعدوا عنه نقول:

إن الآيات التي سبقت هذه الآية تحث النبي صلى الله عليه وآله على أداء صلاة الليل الواجبة عليه دون غيره من أمته، وقراءة القرآن، وذكر الله، ثم التفتت الى شيء مهم في حياته صلى الله عليه وآله وفي حياة أمته وهو: بعد أن ذكّر اللهُ نبيه ببعض العبادات والإخلاص فيها، دعاه الى إيداع الأمور الى الله الذي بيده الحاكمية المطلقة والربوبية العامة على المشرق والمغرب. وكيف لا يفعل ذلك ويتوكل على ربه وليس في العالم الواسع حاكم غيره، ولا منعم ولامعبود سواه؟ والله وصف نفسه تأكيداً لهذا المعنى بأنه ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغرِبَيْنِ﴾ أي رب العالم كله. ﴿.. فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ أي في جميع أمورك. والخطاب كان متوجها للنبي صلى الله عليه وآله، إلا أنه في أغلبه متوجه الى الأمة. أما آية الرحمن ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ

---

(١) الرحمن: ١٧ ـ ١٨.

﴿الْمَغْرِبَيْنِ﴾ فقد أرادت بالمشرقين: مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين: مغرب الصيف ومغرب الشتاء كذلك؛ لأن مشرق الصيف غير مشرق الشتاء كما هو معلوم. وهذه ظاهرة كونية متكررة. وبهذا الاختلاف تحدث الفصول الأربعة وتنتظم الأرزاق. ونزيد على ذلك: إن الله تعالى قال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[1] فلم يكتف بمشرق واحد ولا مشرقين. والمعنى: مشارق الشمس باختلاف الفصول الأربعة واختلاف المناطق. والفصول جمع ومشارقها مجموعة أيضاً.

وليعلم هؤلاء أن لكل نقطة جغرافية على الأرض مشرقاً ومغرباً يختلف عن النقاط الأخرى، ولذا قال: ﴿...وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ وإنما لم يذكر المغارب لوضوحه.

الشبهة السادسة والسبعون:

«جاء في سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[2] ويعني بقوله هذا: أن ما جاء من الآية ١ ـ ٤٣ في السورة كان من الغيب المنزل. بمعنى أنه وحي جديد على متلقي الوحي وسامع الآيات. بينما آية من السورة نفسها تقول: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيكَ مِنَ الآيَاتِ

---

(١) الصافات: ٥.

(٢) آل عمران: ٤٤.

وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[١] فهو وحي من (الذكر الحكيم) أي الإنجيل؛ لأن الآية تأتي في ختام ذكر آل عمران ومريم والمسيح فكيف يفسر علماء المسلمين هذا؟ كيف يكون وحياً جديداً وفي نفس الوقت هو منقول من الإنجيل. ومعلوم أن هذه القصص الإنجيلية كانت معروفة ومتداولة بين عرب مكة والحجاز؟».

ردها:

الغيب لغة: قال الراغب: الغيب: مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين وقوله: ﴿...عَالِمُ الْغَيبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾ أي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه. والغيب في قوله: ﴿...يُؤْمِنُونَ بِالْغَيبِ...﴾ مالا يقع تحت الحواسّ، ولا تقتضيه بدائةُ العقول. وإنما يُعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام. وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد.

ذكر الله تعالى في سورة آل عمران أشياء كثيرة منها: المحكم والمتشابه، واستعراض حال المسلمين وقت نزول السورة، حيث كان للمنافقين دور في إضعاف الهمم وإفساد الدعوة، وذكرت تطميناً من الله للمؤمنين ﴿إِنَّ الذينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَموَالُهُمْ وَلاَ اَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً...﴾[٢] وفيها تعرض الى أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وأكد سبحانه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ...﴾[٣] ثم عطف على قصة مريم

---

(١) آل عمران: ٥٨.

(٢) آل عمران: ١٠.

(٣) آل عمران: ١٩.

وحملها وولادة عيسى عليه السلام مخبراً بـذلك نبيه صلى الله عليه بما لم يُحط به خُبراً لولا هذا الإخبار؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يقرأ في التوراة ولا الإنجيل، ولم يعرف شيئاً مما عُرض عليه، ولم يدرس عند أحد. فكل ماذكرته الآيات كان بالنسبة إليه غيباً. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ...﴾ وهو قول خالٍ من أي إشارة الى أن ما ورد في السورة المباركة كان في التوراة أو الإنجيل. وإنما لم يشر الله تعالى الى ذلك، لتحريف اليهود كتبهم، ولاعتمادهم خمسة أسفار من مجموعة بلغت تسعة وثلاثين سفراً. يُطلق النصارى عليها اسم «العهد القديم» ولأن الأناجيل كُتبت حسب المضمون، لاحسب اللفظ. وبعد ميلاد السيد المسيح بعشرات السنين. وقد اعتمدوا أربعة أسفار فقط في البداية، ولم يستقر رأيهم على سبعة وعشرين سفراً إلا بعد خمسمائة سنة من الميلاد، ويطلقون عليها اسم «العهد الجديد» ثم قال تعالى، ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ والمراد بالذكر الحكيم: القرآن الكريم الذي هو محكم من حيث البناء وهو ذكر الله، وليس معنى الذكر الحكيم: الإنجيل كما ورد في الشبهة، وليست الأخبار منقولة عن الإنجيل قطعاً، لما عرفت من التحريف الذي تعرض له الأنجيل وأصبح عدة أناجيل، وليس الله بحاجة الى نقل معلومات من هنا وهناك وهو العالم بكل شيء.

الشبهة السابعة والسبعون:

«قال في سورة المؤمنون: ﴿...سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١] وفي الأنبياء: ﴿...فَسُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢] وفي الشورى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٣] وهذا يعني أن الله لا مثيل له. ولكنه قال عن الله في سورة النور: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ من شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ...﴾[٤] وهنا يمثل القرآنُ اللهَ بمشكاة ومصباح. وإن قالوا المقصود نور الله. قلنا إن بداية الآية تذكر أن الله نفسه هو نور».

ردها:

المثل لغة: قال في اللسان: مثل: كلمة تسوية. يقال: هذا مِثْلُه ومَثَلُه كما يقال: شِبْهه وشَبَهه بمعنى. قال ابن برّي: الفرق بين المماثلة والمساواة أن

---

(١) المؤمنون: ٩١.

(٢) : الأنبياء: ٢٢.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) النور: ٣٥.

المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين. أما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين.

النور لغة: قال في اللسان: والنور: الضياء والنور: ضد الظلمة. وفي المحكم: النور الضوء والنور من صفات الله عزوجل... والنور من أسمائه تعالى. قال ابن الأثير: هو الذي يُبصر بنوره ذو العماية ويرشُد بهداه ذو الغواية.

لقد صرح القرآن الكريم أن المثلية ممتنعة بالنسبة لله تعالى. وجاء في سورة الشورى ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾ والكاف زائدة فتصير العبارة: ليس مثلَه شيءٌ. أي لا شيء يشبه الله في صفة من الصفات. ومن هنا انقطع سبيل التشبيه.

أما قولهم لقد مثّل القرآنُ اللهَ بمشكاة ومصباح، وزادوا على ذلك فقالوا النور هو الله نفسه فسيتضح ذلك إن شاء الله تعالى:

عُرّف النور بأنه الظاهر بنفسه المُظهِر لغيره. والله ظاهر بنفسه، مظهر للسماوات والأرض بما فيهما. وقيل أصل الظهور هو الوجود، كما أن أصل الخفاء هو العدم. فهو تعالى موجود بذاته وموجِد لما عداه. ويمكن أن يقال: إن النور هو الهادي في الظلمات المعنوية والظاهرية. وبما أن الله هو الهادي لأهل السماوات والأرض الى طريق الحق، ويهديهم لمصالحهم وخيرهم، أطلق على ذاته المقدسة أنه نور السماوات هادٍ لأهل الأرض.

ومما يُلفت النظر أن كل مخلوق يرتبط بالله تعالى بمقدار معين، يكتسب من النور بنفس ذلك المقدار وبقوة ذلك الارتباط. فمثلاً: القرآن

نور لأنه كلام الله، والإسلام نور؛ لأنه دين الله، والأنبياء أنوار؛ لأنهم رسل الله، والأئمة المعصومون أنوار إليهة؛ لأنهم حفظة دين الله. والإيمان نور؛ لأنه رمز الالتحام به سبحانه، والعلم نور؛ لأنه السبيل الى معرفة الله. ولهذا كان اللهُ نورَ السماوات والأرض. وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن الآية مورد البحث فقال: الله «هادٍ لأهل السماوات، وهادٍ لأهل الأرض» وجاء في دعاء الجوشن الكبير بخصوص صفات الله: «يانورَ النور، يا منوّرَ النور، ياخالقَ النور، يامدبرَ النور» ومنه يظهر أن الله شيء والنور شيء آخر. ولو كان النور هو الله كما قالوا في الشبهة للزم أن يكون الله خالقَ نفسه، ومعلوم أنه موجود بذاته لاموجد له.

وقد جاء في تفسير ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...**﴾ أن الله هادٍ كما مرّ، ولم يمثل اللهُ نفسه بالمشكاة ـ كما قالوا ـ بل قال: ﴿**...مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ...**﴾ وهنا فرق بين ما قالوا وبين صريح الآية من حيث الاستعمال وبناء الجملة إذ لا يجوز أن يكون المشبَّه والمشبَّه به شيئاً واحداً. فلا يصح قولك: «خالد كخالد، أو الأسد كالاسد» لانتفاء الغاية من التشبيه. والمعنى: أن هذا النور هادٍ مثل نور هذا المصباح في غَلَس الليل، ينفع ولايضر. ولا أعتقد أن المسألة تحتاج من اللبيب وقتاً موسعاً لفهمها، ولكن الذي يجهل الأمور يتعب نفسه من دون فائدة.

الشبهة الثامنة والسبعون:

«إن الملائكة الذين تحدثوا الى مريم عليها السلام حسب سورة آل عمران جمع ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾[١] وفي السورة نفسها ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٢] وفي سورة مريم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[٣] وربما يقول المسلمون إن هناك مناسبتين: في الأولى المتحدث جمع من الملائكة، وفي الثانية الروح وحده. وإجابة ذلك: إن البشارة تكون مرة واحدة وإذا تكررت صارت لامعنى لها».

ردها:

البشارة لغة: والبشارة المطلقة لاتكون إلا بالخير. وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤]. وقال الراغب: وأبشرْتُ الرجل وبشّرته وبشَرْته: أخبرته بسارٍّ بسط بشرةَ وجهه. ويقال للخبر السارّ: البِشارة والبُشرى.

---

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) آل عمران: ٤٥.

(٣) مريم: ١٧.

(٤) الانشقاق: ٢٤.

خاطبت الآيات الواردة في الشبهة السيدة مريم عليها السلام بعد أن تطرقت الى قصة ولادة يحيى عليه السلام كيف ستكون مع شيخوخة أبويه، فخاطبت مريم وبشرتها بالمولود الذي ستلده وأنه سيكون آية للناس ورسولاً الى بني إسرائيل. وكان الخطاب عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام وإنما ذكره بلفظ الجمع لأنه رئيس الملائكة. ونحن نستعمل مثل هذا في قولنا: شارك العراق في مؤتمر البيئة. والمشارك الحقيقي فيه هو رئيس العراق لا الشعب العراقي. وقد أفزع أصحابَ الشبهة هذا الاستعمال، وقالوا: كيف قال في سورة آل عمران ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ...﴾ وفي سورة مريم قال ﴿...فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا...﴾ وفي موضع آخر قال ﴿...إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً﴾[1].

ولايضر ذلك ولايقدح بالمعنى الذي تريده الآية، بل يدل على عظمة المرسَل الى مريم عليها السلام، وأنه ذو شأن عند ربّه بحيث ذكره بلفظ الجماعة من جنسه وهم الملائكة. ولو بحث هؤلاء عن الأواصر التي تقوّي الرابطة بين الشعوب، وتحترم رموز العالم ومقدساته، وأن يتواصوا بعدم المساس بأحد مهما كان، وينسوا الماضي الأسود الذي راح ضحيته ملايين الأبرياء بسبب الحروب التي أججتها الكنيسة وحاخامات اليهود لكان أفضل بكثير من تعقّب العثرات وصناعتها. وليعلموا بأن الله تعالى هو الذي يدفع عن كتابه كيد الكافرين لضمانةٍ سارية المفعول مدى الدهر ضمّن كتابه

(١) مريم: ١٩.

المجيد بها وهي: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١].

الشبهة التاسعة والسبعون:

«هنا تناقضات عددية. مثل جنة وجنات، وتقسيم الناس الى ثلاث مجموعات حسب سورة الواقعة، ومجموعتين حسب سورة البلد». إشارة الى قوله ﴿وَكُنتُمْ اَزْوَاجاً ثَلاَثَةً﴾[٢] و﴿أُوْلَئِكَ اَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ اَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[٣].

ردها:

الزوج لغة: قال في اللسان: الزوج: اثنان ... والزوج الفرد عندهم ويقال للرجل والمرأة: الزوجان... وزوج المرأة: بعلها. وزوج الرجل امرأته. وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَاَزْوَاجَهُمْ...﴾[٤] معناه: ونُظراءهم وضُرباءهم. تقول: عندي من هذا أزواج أي أمثال. وقال الراغب: وقوله: ﴿وَكُنتُمْ اَزْوَاجاً ثَلاَثَةً﴾ أي قرناء ثلاثة. وهم الذين فسّرهم بما بعد.

الميمنة لغة: قال في اللسان: والميمنة: اليُمن. وقوله عزوجل ـ ﴿أُوْلَئِكَ اَصحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي أصحاب اليمن على أنفسهم، كانوا ميامين على أنفسهم غير مشائيم. وجمع الميمنة: مَيامِن. وقال الراغب: وقوله جلّ ذكره:

(١) الحجر: ٩.

(٢) الواقعة: ٧.

(٣) البلد: ١٨ ـ ١٩.

(٤) الصافات: ٢٢.

﴿وَاَصحَابُ الْيَمِينِ...﴾[(١)] أي أصحاب السعادات والميامن.

المشأمة لغة: قال في اللسان: والمشأمة خلاف الميمنة.. ويقال تشاءم الرجل إذا أخذ نحو شماله.

إن ما استنكروه من ذكر الجنة أو الجنات فهو راجع الى عدم فهمهم لمعنى الجنة وهي: الحديقة أو البستان، إلا أن الذي فيها فوق التصور والإدراك، جنة خالية من أي نقص وعيب خاصة بالمتيقن، لا ينقطع ماؤها عن الجريان، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلتذ به الأعين. وقد ورد في القرآن الكريم اسم الجنة مفرداً كقوله ﴿...وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالاَرْضِ...﴾[(٢)]. ومثنىً كقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَانِ﴾[(٣)]. قيل: هما منزله ومحل زيارة أصحابه له، والأخرى منزل أزواجه وخدمه. وجمعاً كقوله: ﴿...اَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجرى من تَحْتِهَا الاَنْهَارُ...﴾[(٤)] أي جنة لكل فرد، ويؤيده قوله تعالى: ﴿...للذينَ اتَّقَوْا عندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ...﴾[(٥)]. وليس في هذا تناقض. أما ماجاء في سورة الواقعة فهو نازل للحديث عن محور المعاد. وهذا تراه في بدايتها. ثم عقّبت ببيان حال الناس في ذلك اليوم العظيم حيث قسمتهم الى أصناف ثلاثة متقارنة مع بعضها، ولما كانت

---

(١) الواقعة: ٢٧.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) البقرة: ٢٥.

(٥) آل عمران: ١٥.

مقارنة أطلق عليها لفظ أزواج. ومن الطبيعي ألا يكون المراد هنا الرجال وزوجاتهم. والأزواج الثلاثة هي:

أ ـ أصحاب الميمنة. وقد عرفنا معناها. وهم السعداء المسرورون يوم القيامة.

ب ـ أصحاب المشأمة. وهي مصدر كالشؤم مقابل اليُمن. والميمنة والمشأمة معناهما: السعادة والشقاء. وهؤلاء وضعتهم السورة في مجموعة الشؤم لسوء عاقبتهم وعظيم جرمهم وجنايتهم على أنفسهم بالسقوط في وحل الضلال.

جـ ـ السابقون. وهم المقربون لسبقهم غيرَهم بالإيمان والتضحية والإخلاص. وليست هذه الأمور تحديداً لمفهوم الآية، بل بياناً لمصاديقها. ولايخفى عليك ـ أخي القارئ ـ أن كلمة (السابقون) وردت فيها روايات إسلامية تعني أشخاصاً أربعة هم: «هابيل» ومؤمن آل فرعون «حزقيل»و «حبيب النجّار» و «علي بن أبي طالب» عليه السلام. وهابيل مضى شهيداً وسبق أهله الى الجنة، وحزقيل وحبيب وعلي عليه السلام كل منهم سبق قومه الى الإيمان. هذه خلاصة ما في سورة الواقعة. وأما ماجاء في سورة البلد بعد الحث على تجاوز عقبة العذاب بالإطعام والتكافل والعتق والتواصي بالحق والصبر في ساحات الجهاد، حتى يكون الإنسان من أصحاب الميمنة، وإلا فهو من أصحاب المشأمة الذين كفروا بآيات الله وشريعته. فالحديث هنا فقط عن مجموعتين: أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة، ولم تتعرض السورة الى غيرهما. فأين التناقضات العددية ذات العنوان العريض الذي أعلنتم عنه؟

الشبهة الثمانون:

«من يأخذ الروح عند الموت ملاك الموت حسب سورة السجدة: ﴿قُلْ يَتَوَفاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذى وُكِّلَ بكُمْ...﴾[1] أم الملائكة حسب سورة محمد: ﴿فَكَيفَ إذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلائكَةُ...﴾[2] أمْ الله حسب سورة الزمر: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِها...﴾[3]».

ردها:

حسبوا هذا الاختلاف في العدد تناقضاً من دون مراجعة المعنى. إن من المعلوم أن الله تعالى إذا أراد تحقيق شيء فسوف يتحقق ذلك بمجرد تعلق إرادته به، ومعلوم أن لله من الملائكة من يقومون بإنجاز مايريد حال صدور الأمر منه. وقد وكّل بتوفي الأنفس ملكاً معروفاً ومعيّناً أسمه (عزرائيل) والناس جميعا محل تنفيذ الأمر ولاخلاف في ذلك. وقد أشارت سورة السجدة الى هذه الحقيقة. وفيها خطاب للنبي صلى الله عليه وآله أن يجيب منكري المعاد الذين ﴿قَالُوا اَئذا ضَلَلْنَا فى الأَرْضِ ائنَّا لَفى خَلْقٍ جَديد...﴾[4] أن يقول لهم: ﴿قُلْ يَتوَفاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الذى وُكلَ بِكُمْ ثُمَّ إلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ وفي الجواب إشارة الى عزرائيل ومسؤوليته

(١) السجدة: ١١.

(٢) محمد: ٢٧.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) السجدة: ١٠.

المكلف بها، وإشارة الى المعاد الجسماني الذي هو خارج بحثنا.

أما الآية ٢٧ / محمد فقد جاءت بعد آيات كشفت عن صفات المنافقين ومراوغاتهم، وبيّنت أن الله تعالى عالم بأسرارهم مطّلع على بواطنهم وتواطئهم مع اليهود. وبالتالي كانت هذه الآيات تهديداً لهم، ثم أوضحت ذلك الآية مدار البحث فقالت: ﴿فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَاَدْبَارَهُمْ﴾ علماً أن الضرب إنما يكون على الوجوه لإقبالهم على أعداء الله، والضرب على الأدبار، لإدبارهم عن الله. وكل ذلك يحصل لهم وهم على عتبة الموت، والذي يقوم به هم الملائكة أعوان عزرائيل.

أما الآية ٤٢/ الزمر فقد دلّت على أن أمر الموت يصدر من الله لا غير. فهو المتوفّي. وما عزرائيل ومن معه إلا منفذون لذلك الأمر. قال تعالى: ﴿...حَتَّىَ إِذَا جَاء اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا...﴾[1] تتوفّاه بأمر الله فهو المتوفّي حقيقة، والميت متوفّى. فهل في هذه الآيات المباركة ما يسمى تناقضاً؟

(١) الأنعام: ٦١.

الشبهة الواحدة والثمانون:

«ذكرت سورة الأنبياء: ﴿...السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾[1] أي كتلة واحدة ثم تم فصلُهما. بينما ذكرت سورة فصّلت: ﴿...خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ...﴾[2] ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ...﴾[3] أي بخلاف الأرض. أي كانتا شيئين منفصلين فعلاً».

ردها:

الرتق لغة: قال ابن منظور: الرَتْق: ضدّ الفَتْق، قال ابن سيده: إلحام الفتق وإصلاحه، وقال بعض المفسرين لقوله عزوجل: ﴿...اَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً...﴾: كانت السماوات رتقاً لاينزل منها رجع، وكانت الأرض رتقاً ليس فيها صدع ففتقهما الله.. قال الفرّاء: فُتقت السماءُ بالقطر والأرضُ بالنبت.

تناولت الآيات التي سبقت الآية مدار البحث تنزيه الملائكة عن المعصية، وأن الله ـ عزوجل ـ عالم بما يعملون وهم عباد مكرمون. رداً على مشركي مكة والعرب عموماً الذين كانوا يعتقدون بأن الملائكة بنات الله. وقد مرّ بنا ذلك. فأبطلت الآيات هذه العقيدة، وبينت صفات الملائكة

---

(١) الأنبياء: ٣٠.

(٢) فصلت: ٩.

(٣) فصلت: ١١.

ونزهتهم عن أن يدّعي واحد منهم أنه إله من دون الله ولو على سبيل التنزّل، ولو صدر منهم ذلك فجزاؤه جهنم؛ لأن ادعاء الألوهية في الواقع مصداق لظلم النفس والمجتمع وظلم الله ايضاً.

ويندرج في القانون العام: ﴿...وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾[1].

ثم وردت آية البحث التي ذكروها في الشبهة، لتبين علامة أخرى لله في عالم الوجود تعقيباً على البحوث السابقة حول عقائد المشركين الخرافية، والأدلة التي ذكرت على التوحيد. فإن في هذه الآية سلسلة من براهين الله في عالم الوجود على حسن تدبيره وجودة تنظيمه لهذا العالم فقالت: ﴿اَوَلَمْ يَرَ الذينَ كَفَرُوا اَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ اَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ ومن كلمة (الرتق) نفهم أن العالم كله كان كتلة واحدة ثم تجزّأ بقدرة الله تعالى، فصارت الكواكب والنجوم والأرض وصارت الغيوم والمطر وسطعت الشمس فقالت الآية ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾ إشارة إلى أن الانسان مخلوق من الطين الذي هو تراب وماء، وكذلك كل حيوان محسوس لنا. ومحصل الآية: أنه تعالى فصل الأرض عن السماء بعد أن كانتا كتلة واحدة متحدة.

أما الآيات ٩ ـ ١١/فصلت فأشارت إلى أن الله ـ عزوجل ـ بعد أن فصل الأرض وأكملها في يومين، عمد الى السماء وكانت كتلة واحدة فجعلها سبع طبقات. وقد مرّ ذلك. وخلافاً لما جاء في الشبهة: أن الأرض لم

---

(١) الأعراف: ٤١.

تكن شيئاً مختلفا عن السماء حتى تكون هناك عملية فتق. ونقول لهؤلاء: إن العالم كله كان بخاراً محترقاً ثم تجزّأ بقدرة الله فصارت المجرّات والكواكب والأرض تدريجياً بعد حدوث الانفجارات والحركة الدائبة. والكون الى الآن في عملية توسع مستمر.

وإذا كانوا يدّعون امتلاك وسائل العلم الحديث فلا يليق بهم مثل هذا الادعاء الكاشف عن ضحالة المعرفة لديهم.

الشبهة الثانية والثمانون:

«إن السيئة حسب سورة النساء من عند الله ﴿...وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ...﴾[1] وقال في نفس السورة ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ...﴾[2] أليس هذا تناقضاً؟».

ردها:

الحسنة لغة: قال في اللسان: والحسنة: ضد السيئة وقوله ﴿...وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ...﴾ أي يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سيّء غيرهم. وقال الراغب: والحسنة يعبّر بها عن كل ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله. وقوله ﴿...وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ...﴾ أي

---

(١) النساء: ٧٨.

(٢) النساء: ٧٩.

خصب وسعة وظفر.

السيئة لغة: قال الراغب: السيئة: الفعلة القبيحة وهي ضد الحسنة... فقوله ﴿...وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ...﴾ أي جَدب وضيق وخيبة.

قالوا كيف تكون السيئة حسب الآية ٧٨/ من الله وحسب الآية/ ٧٩ من الإنسان؟ وهذا يعني أن الله يفعل السيئات. قلنا:

إن الآيتين وماقبلهما اختصت ببيان حال المنافقين وأوهامهم. إذ كانوا إذا انتصروا وغنموا شيئاً قالوا: إن الله أنعم علينا بذلك، ونحن أهل للنعمة ﴿...وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ...﴾ أما حين يُمنى هؤلاء بهزيمة أو يلحقهم أذىً في ميدان القتال، ألقوا اللوم على رسول الله صلى الله عليه وآله متهمين خططه العسكرية بالضعف. وهو ما حدث فعلاً في معركة أحد.

والقرآن الكريم يردّ على هؤلاء مؤكداً أن المسلم الموحّد يعتقد بأن كل الوقائع والأحداث والانتصارات والهزائم هي بيد الله الحكيم. فهو الذي يهب الإنسان ما يستحقه، ويعطيه بحسب قيمته الوجودية. لذا قالت الآية: ﴿...قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ...﴾ ولكن الآية الثانية بينت الحقيقة بشكل أوضح فقالت: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ...﴾ أي إن ما يصيب الإنسان من حسنات وفوائد وسرور وانتصار هو من عند الله، وأن ما يحصل له من سوء وضرر وهزيمة فذلك بسبب الإنسان نفسه. ومن هنا انبثق سؤال وربما كان هو منطلق الشبهة: لماذا نُسبت الحسنة والسيئة في الآية الأولى لله؟ ولماذا حصرت الآيةُ الثانية الحسنةَ بالله ونسبت

السيئة الى الانسان؟ وجوابه: عندما ندقق النظر في الآيتين نجد أن كل فعل يصدر من الانسان هو ـ في الواقع ـ متكون من شيئين: (القدرة والإرادة) فلو قتل أحد إنساناً بريئاً باختياره، كان قد استخدم قدرته وإرادته في فعل الشرّ. ولو قتل مجرماً إرهابياً فاسداً كان قد استخدام قدرته وإرادته في فعل الخير. إذن: القدرة مصدرها الله لأنه هو واهبها، والإرادة مصدرها الانسان. حيث يستخدم القدرة الممنوحة له بإرادته في مجال الشر تارة، وفي مجال الخير تارة أخرى. ولما نسبت الآية الأولى الحسنة والسيئة لله لأنه سبحانه في كلا الحالتين هو واهب القدرة. وعليه تكون الحسنة والسيئة من فعل الانسان وباختياره. ولكن بقدرة الله الموهوبة له. ونسبة أفعالنا لله بالشكل الذي أوضحنا لاينفي عنا المسؤولية عنها، ولايؤدي بنا الى الاعتقاد بالجبر، بل إن ذلك أمر بين الأمرين. ولاننسى أن للأنسان دوراً في إفاضة النعم وإسباغ الحسنات، وله دور أيضاً في نفيها وإبعادها عنه. فالنصر من عند الله لأسباب مرتبطة بالمنتصِر، والهزيمة عند الله لأسباب مرتبطة بالمنهزِم، لارتباط كل شيء بسببه.

الشبهة الثالثة والثمانون:

«حسب سورة الأنعام أن الله كتب على نفسه الرحمة ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ...﴾[1] ولكن نراه يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء كما جاء في سورة إبراهيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ والإضلال خلاف الرحمة».

ردها:

الرحمة لغة: قال ابن منظور: الرحمة: الرقة والتعطّف، والمرحمة مثله... والرحمة: المغفرة وقال الراغب: والرحمة: رقّة تقتضي الإحسان الى المرحوم. وقد تستعمل تارة في الرقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرد من الرقة.

أرادوا هنا إثبات تناقض في الخطاب القرآني بين آية سورة الأنعام ﴿...كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾ وبين آية سورة إبراهيم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ...﴾ وقالوا ﴿...يُضِلُّ مَن يَشَاءُ...﴾ منافٍ للرحمة التي كتبها الله على نفسه. وحيث كنا نحن المسلمين لانعتقد بوجود تناقض في كتاب الله، إلا أننا لانكتفي بذلك فلابد من بيان الحقيقة:

---

(١) الأنعام: ١٢.

إن اللسان الوارد في الآية يعني: اللغة، والضمير في (قومه) عائد على رسول الله صلى الله عليه وآله، والضمير في (لهم) عائدعلى قومه. والمحصلة: أن الرسول لما كانت مهمته البيان، فلابد أن يخاطب قومه بلسانهم، ولم يخرج عن هذه القاعدة إلا الأنبياء أولو العزم، لأنهم أُرسلوا الى أكثر من أمة. والنبي محمد صلى الله عليه وآله منهم. فإذا أتمَّ عملية تبليغ الرسالة وأكمل بيان الشريعة فقد أدّى صلى الله عليه وآله ما عليه ﴿...وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ وأما ماوراء ذلك من الهداية والضلال فراجع الى الله سبحانه لا يشاركه فيه أحد. ولكن إشاءة الله لاتتعلق بالهداية والضلال جُزافاً ومن دون سبب، بل لها ضوابط ثابتة. فمن اتبع الحق ولم يعانده هداه الله، ومن حجد الحق وعانده واتبع هواه أضله الله. فهو إضلال من ضل من الناس، وهُدى من اهتدى منهم فبمشيئة الله تعالى وإذنه. وضلالُ من ضل منهم دليلٌ على عزة الله فهو الذي لايُقهر. وهُدى من اهتدى منهم لاينفع الله شيئاً، لأنه حكيم لايشاء ماشاء جزافاً ولاعبثاً.

إذن: الخطوة الأولى تبدأ من قبل العباد وبكامل اختيارهم وحريتهم في السير الى الله، ثم يشع نور الهداية في قلوبهم. وقد أشارت سورة غافر: ﴿...كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[1] وسورة البقرة: ﴿...وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[2] وسورة إبراهيم: ﴿...وَيُضِلُّ اللّهُ

(١) غافر: ٣٤.

(٢) البقرة: ٢٦.

الظَّالمينَ...﴾[١] الى حقيقة أن الإسراف والشك والفسق والظلم كانت هي الأسباب المؤدية الى الضلال. وهي من أفعال العباد بلا ريب.

وإذا اتضح ذلك فلا منافاة بينه وبين الآية ١٢/ الأنعام فإن الله هو الذي أوجب على نفسه الرحمة بعباده، فكان عليه أن يسير بهم الى التكامل. مثلما رعى النطفة الصغيرة الى أن صارت إنساناً مدركاً، ومثلما رعى البذرة الى أن صارت شجرة مثمرة. ونتيجة التكامل المنشود فوز في الآخرة، وسعادة أبدية. وهو المطلوب.

ولكن بعض العباد يخرج من إطار رحمة الله ويدخل في حيّز نقمته باختياره وإرادته، وبإصراره وعناده. فأين التناقض الذي أثار حفيظتهم؟

الشبهة الرابعة والثمانون:

«جاء في سورة الروم: ﴿وَلَهُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[٢] أي مطيعون. فكيف لم يطع إبليس حسب سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[٣]؟».

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) الروم: ٢٦.

(٣) الاعراف: ١١.

ردها:

قَنَتَ لغة: قال ابن منظور: القنوت: الإمساك عن الكلام، وقيل: الدعاء في الصلاة. والقنوت: الخشوع والإقرار بالعبودية، والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية. وقيل: القيام.

وقال الراغب: القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع. وقوله تعالى: ﴿...كُلٌّ لهُ قَانِتُونَ﴾. قيل: خاضعون، وقيل: طائعون وقيل: ساكتون.

صَوَّرَ لغة: قال ابن منظور: في أسماء الله تعالى: المصوّر وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها. وقال الراغب: الصورة: ضربان: أحدهما محسوس تدركه الخاصة والعامة. والثاني: معقول تدركه الخاصة دون العامة. والى الصورتين أشار بقوله تعالى: ﴿...ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ...﴾ و ﴿...وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ...﴾.

لقد فسروا القنوت في الآية الأولى بالطاعة، ولم يعلموا أن الطاعة ضربان سنتطرق إليهما. ثم بنوا على هذا الوهم أن إبليس تمرّد على الله ولم يسجد لآدم كما في الآية الثانية. فكيف قال: ﴿...كُلٌّ لهُ قَانِتُونَ﴾ ثم قال ﴿...إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾؟ إذن: ليس كلهم قانتاً.

ولبيان ماخفي عليهم نقول:

إن آية سورة الروم جاءت بعد آيات أثبتت ألوهية الله وربوبيته. ولما انتهت تلك الآيات من هذا الموضوع عقّب سبحانه بالآية موضع البحث، فأشار إلى البعث وإمكانه فقال: ﴿...لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ لبيان

إحاطته ـ عزوجل ـ بملكه الحقيقي لجميع من في السموات والأرض، وأن الكل محشور يوم المعاد ومفتقر إليه، بل إن وجودهم قائم به تعالى فلا استقلال لهم ولا استغناء عنه. وتصرف الله في خلقه كيف يشاء دليل على مالكيته لهم، وقدرته على نقلهم من النشأة الأولى الى النشأة الآخرة. وقد أكد ذلك بقوله ﴿...كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ والقنوت هنا: لزوم الطاعة كما عرفت من معانيه. وهو عين الطاعة التكوينية التي لا يتخلف عنها خَلقُه، دون الطاعة التشريعية التي قد يتخلف عنها أكثر خلقه، ومنهم إبليس الذي رفض السجود لآدم. إذن: تخلف إبليس عن أمر ربه كان عدمَ طاعةٍ وخضوع لأمر تشريعي. وأما الطاعة التكوينية فلا يستطيع إبليس أو غيره التخلف عنها. فلا يهرب من في السماوات ولا من في الأرض من العلل والأسباب التكوينية كالخلق والقضاء الحتمي وانتهاء الأجل وكل ما كتبه الله وقدره على خلقه. ومن الحشر يوم القيامة فإنه ليس بإرادة المخلوقين. فالآيت اان مترابطتان ومسبوكتان بقالب رباني لامجال للخدش بهما، وإن كان اليهود والنصارى بعضهم لبعض ظهيراً.

الشبهة الخامسة والثمانون:

«لم يشارك هارون في عبادة العجل الذهبي حسب سورة طه[١]، ولكنه شارك حسب سورة الأعراف[٢] وسمح ووافق بعبادة العجل حسب سورة طه[٣]».

ردها:

الموعد لغة: قال في اللسان: والموعد: موضع التواعد، وهو الميعاد، ويكون الموعد مصدر وعدته، ويكون الموعد وقتاً للعدَة. والموعد أيضاً اسمٌ للعدة. وقال مجاهد: في قوله تعالى ﴿...مَا اَخْلَفْنَا مَوْعدَكَ بمَلْكنَا...﴾ قال الموعد: العهد. وكذلك في قوله تعالى ﴿...فَاَخْلَفْتُم مَّوْعدي﴾ قال: عهدي.

الخُوار لغة: قال في اللسان: الخوار عن الليث: صوت الثور وما اشتد من صوت البقرة. وقد خار يخور خُواراً: صاح.

جاؤوا بفريتين هنا على هارون عليه السلام. فمرة قالوا شارك في عبادة العجل، ومرة سمح ووافق. واستدلوا على عدم المشاركة بقوله تعالى في سورة طه ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إلَى قَوْمه غَضْبَانَ اَسفاً قَالَ يَا قَوْم اَلَمْ يَعدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعداً حَسَناً اَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهدُ اَمْ اَرَدتُّمْ اَن يَحلَّ عَلَيْكُمْ

---

(١) طه: ٨٦ _ ٩٠.

(٢) الأعراف: ١٥١.

(٣) طه: ٩٢.

غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ ﴿قَالُوا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[1] وعلى المشاركة استدلوا بسورة الأعراف ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2] واستدلوا على الموافقة بقوله ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾.

ولنبدأ بسورة طه لأنها نزلت قبل سورة الأعراف فنقول:

إن قصة ارتداد بني إسرائيل عن عبادة الله تعالى الى عبادة العجل أمر خطير، وحدث مؤسف ذكره الله في أربع سور قرآنية: البقرة والنساء والأعراف وطه. وهذه القصة حدثت خلال غياب موسى لما ذهب الى ميقات ربه ليكتب ما ينزل من التوراة. وكان الميقات ثلاثين يوماً فزاده الله لحكمةٍ عشرة أيام. وفي هذه العشرة حصلت الردة، لأنهم أشاعوا أن موسى قد مات. وموته خلاف وعده لهم بالعودة. فأضلّهم السامري. وهو أحد المنافقين منهم فجمع حليَّ النساء من الذهب وغيره وألقاها في النار يوم ٣٦و ٣٧و ٣٨ من الميقات، ثم أخرج لهم عجلاً جسداً. أي لا روح فيه له

---

(١) طه: ٨٦-٩٠.

(٢) الأعراف: ١٥١.

خوار يوم ٣٩ فأخبر الله موسى بذلك: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[1] فرجع موسى من الميقات في اليوم الأربعين، ولكنه رجع غضبان أسفاً لهذا الخبر المثير للدهشة. وما أن وقعت عيناه على بني اسرائيل حتى بان الغضب على وجهه أكثر، واشتد عليهم جميعاً وأخذ يعاتبهم عتاباً مرّاً؛ لأنهم بئس ما أخلفوا موعده.

ثم توجه الى هارون ـ وهو يعلم بعدم تقصيره في هذه الفتنة، وعاتبه أيضا لإضهار استيائه من الارتداد، واستعظامه لسوء فعلتهم، مع أن هارون حذرهم الفتنة وذكّرهم الله إلا أنهم تمسكوا بهذا العجل عناداً وكادوا يقتلون هارون؛ لأنهم اعتبروه عدواً لهم.

فهو عليه السلام ليس فقط لم يشاركهم في عبادة العجل، وإنما قاومهم بما يمكنه فمال إليه منهم أثنا عشر آلفاً ولكن الذين عبدوا العجل كانوا ستمائة ألف. فلم يستطع تحقيق ما أراد أمام هذا العدد الكبير، فاكتفى بالاستنكار والموعظة والتحذير. ولكن مثيري الشبهة فهموا من عتاب موسى لأخيه هارون أن الأخير قد قصّر في سياسة قومه بما جعلهم يعبدون عجلاً صنعوه بأيديهم، كما أثار انتباهَهم وساعد على ذلك الفهم طريقةُ تعامل موسى مع أخيه، فبنوا على أن هارون لابد أن يكون قد رضي بما فعل بنو إسرائيل، ولم يبرّئوا ساحته. وهذا عين الباطل؛ لأنه سوء ظن بنبي معصوم. وأما الآية ١٥١/ الأعراف التي تناولت دعاء موسى لنفسه ولأخيه هارون بعد أن هدأ الغضب فيه بعض الشيء. فإنها كشفت عن نفور موسى وهارون من

(١) طه: ٨٥.

الشرك بالله، ومن ارتداد قومهما الى عبادة الشريك بعدما شاهدوا معجزات موسى عليه السلام وتأييد الله له، كما أضهرت الآية أن موسى أعطى درساً عملياً لقومه. إذ يرونه وأخاه لم يرتكبا ذنباً ولم يقصّرا في شيء ومع ذلك هما يطلبان من الله العفو والمغفرة. فالأجدر بهم أن ينتبهوا ويحاسبوا أنفسهم ويتوجهوا الى الله ويسألوه العفو والصفح عنهم هم أيضاً. وقد فعل بنو إسرائيل ذلك. ولكن التوراة الحالية في الفصل (٣٢) من سفر الخروج نسبت صنع العجل الى هارون وادعت أنه عليه السلام دعا الى عبادته رغم أنها تعترف بنبوة هارون في الإصحاح الثامن من سفر الخروج أيضاً. ونسبة العجل الى هارون من الأخطاء التأريخية التي ملئت بها التوراة. وربما انطلقت هذه الشبهة منها.

الشبهة السادسة والثمانون:

«جاء في سورة الصافات: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[1] ولكنه لم يُنبذ في سورة القلم: ﴿لَوْلاَ اَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّه لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[2]».

ردها:

العَراء لغة: قال في اللسان: وأما العراء ممدوداً فهو ما اتسع من فضاء

---

(١) الصافات: ١٤٥.

(٢) القلم: ٤٩.

الأرض. وقال أبو عبيدة إنما قيل له عراء لأنه لاشجر فيه ولاشيء يغطيه. وقيل إن العراء: وجه الأرض الخالي.

لم يلتفتوا هنا الى الفرق بين الآيتين الواردتين في الشبهة. ففي آية الصافات ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أي أن النبذ من بطن الحوت الى العراء حصل في حال كون يونس عليه السلام سقيماً. وفي آية القلم وهي ﴿لَوْلاَ اَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّه لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هنا النبذ الى العراء أيضا حصل، ولكن تداركته نعمة من ربه فلم ينبذ وهو مذموم. بدليل أن الله أرسله الى أهل نينوى ليواصل مسيرة الدعوة هناك ولو كان مذموماً لما أرسله ربه؛ لأن إرسال المذموم يُذمُّ عليه المرسِل. وكل حركة إصلاحية تحتاج الى وجه مقبول ليؤثر في غيره. والنعمة التي تداركته هي: قبول توبته. واعتذاره من الله، ومداومته على التسبيح له. ومن المعلوم أن الحرف (لولا) حرف امتناع لوجود هكذا يسميه النحاة. ومعناه أن نبذ يونس عليه السلام بالعراء حصل، ولكن وهو مذموم لم يحصل. وهؤلاء تصوروا أن النبذ في سورة القلم لم يحصل وقد حصل في سورة الصافات وهذا وهم كبير.

الشبهة السابعة والثمانون:

«في سورة الأعراف تحدث الله الى موسى عليه السلام عن ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ...﴾[1] نقول ربما كانت هناك توراة في ذلك الوقت ولكن الإنجيل الذي أعطاه الله الى عيسى لم يكن موجوداً بعد. ويمكن رفض تعليل المسلمين أن الآية ١٥٧ هي تكملة الحديث. ويمكن أن تكون الآية ١٥٨ هي بداية موضوع آخر لعدم تتابع النص».

ردها:

الأميّ لغة: قال ابن منظور: الأميّ: الذي لايكتب. قال الزجاج: الأميّ الذي على خلقة الأمّة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلّته. قال أبو إسحاق: معنى الأميّ المنسوب الى ما عليه جبلته وأمّه أي لا يكتب.

ادعوا أن الله كان يتحدث الى موسى عليه السلام في الآية ١٥٧/ الأعراف وفي عهد لم يكن الإنجيل قد أوحي من الله بعد، لعدم وجود عيسى عليه السلام في ذلك الوقت. وجوابنا:

إن الله تبارك وتعالى بدأ الحديث عن قوم موسى واتخاذهم العجل ورجوعهم الى الميقات للاعتذار منه تعالى، وعمّا صادفوه من الرجفة والصاعقة والموت ثم الحياة بعد ذلك. وبدأ الحوار من الآية ١٤٨ الى ١٥٦

---

(١) الأعراف: ١٥٧.

وانتهى الحديث بدعاء موسى عليه السلام له ولقومه المؤمنين به، وجواب الله له: ﴿...قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ومعلوم أن هذه الصفات ليست مقتصرة على قوم موسى أو غيرهم، بل هي قانون عام وسُنة إلهية يطلبها الله ويرقبها في عباده حتى يكتب رحمته عليهم. ومن جملة الكلمات المشار إليها في آخر الآية ١٥٦ كلمة (آياتنا) لأنها تعني كل المقدسات. ومنها: البشائر التي ورد ذكرها في التوراة والإنجيل الخاصة بمجيء نبي اسمه أحمد والتي اطّلع عليها أهل الكتاب من أحبار ورهبان، ولكن بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله أخفوها عن اليهود وعن النصارى. ولذا افتتحت الآية ١٥٧ بتأكيد وجود صفات خاصة برسول الله صلى الله عليه وآله لاتنطبق إلا عليه في التوراة والإنجيل قبل قيامه بالرسالة وتكليفة بالنبوة. إذن: لم يكن الحديث مع موسى عليه السلام أصلاً حتى ترد الشبهة، بل مع رسول الله. والفاصل الزمني بين موسى عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله قرون عدة. فكيف يغفل القرآن الحكيم عن هذه الحقيقة التأريخية التي لايغفل عنها أقل الباحثين مثلي؟

ثم زادت الآية ١٥٧ بيان صفات النبي صلى الله عليه وآله فعدّدت سبع صفات له:

أ ـ رسول

ب ـ نبي

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

جـ ـ أمي

د ـ موجود عندهم في التوراة والإنجيل.

هـ ـ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

و ـ يُحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث.

ز ـ يضع عنهم ما يقيد عقولهم وأفكارهم.

وهذه الصفات السبع من حيث المجموع دليل قاطع على صدق دعواه صلى الله عليه وآله.

والى هنا ما بقي مجال لأهل الكتاب حتى يُنكروا نبوة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يبق متسع لمثيري الشبهات حتى يبدأوا بمغالطة أن الحديث في الآية ١٥٧ هو استمرار للحديث مع موسى عليه السلام، بل هو لفتة سريعة لتحويل الخطاب الى النبي صلى الله عليه وآله. وهذا من أساليب القرآن التي اعتاد عليها الباحثون.

الشبهة الثامنة والثمانون:

«الله يغفر لمن يرمي المحصنة حسب سورة النور: ﴿**إلاَّ الذينَ تَابُوا من بَعد ذٰلكَ وَاَصلَحُوا فَإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[١] ولايغفر لهم حسب آية أخرى أيضاً ﴿**إنَّ الذينَ يَرْمُونَ الْمُحصَنَات الْغَافلاَت الْمُؤْمنَات لُعنُوا فِى الدُّنْيَا وَالآخرَة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٢]».

(١) النور: ٥.

(٢) النور: ٢٣.

ردها:

رمى لغة: قال ابن منظور: ورمى فلان فلاناً بأمر قبيح أي قذفه. ومنه قوله عزوجل: ﴿...الذينَ يَرْمُونَ الْمُحصَنَات...﴾ قال أبو منصور: هو مثل قوله: ﴿...رَجْماً بِالْغَيْبِ...﴾ وقال الراغب: الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر نحو ﴿...وَمَا رَمَيتَ إذْ رَمَيتَ...﴾ ويقال في المقال كناية عن الشتم كالقذف نحو: ﴿وَالَّذينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ...﴾.

المحصَنة لغة: جاء في اللسان: والمحصَنة: التي أحصنها زوجها... والمحصَنات: العفائف من النساء. وأصل الإحصان: المنع.

قالوا هنا: إن القرآن أشار الى أن الله يغفر لمن يرمي المحصنة بالزنا حسب الآية ٥/النور. ولكن هذه الآية متعلقة بالآية الرابعة ﴿وَالذينَ يَرْمُونَ الْمُحصَنَات ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِارْبَعَة شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثمَانينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً ابَداً وَأُوْلَئكَ هُمُ الْفَاسقُونَ﴾[1] ﴿إلاَّ الذينَ تَابُوا...﴾ فالآية/ ٤ خصصت ثلاث عقوبات لمن يرمي المحصنة بالزنا إذا لم يأت بأربعة شهود عدول.

الأولى: بدنية وهي الجلد، والثانية والثالثة نفسيتان وهما: عدم قبول شهادة الرامي على أي شيء، واعتباره فاسقاً. وهل يُحمَل حكمُ الرامي على الرامية للمحصن بالزنا؟ هذا ما يحتاج الى دليل خارجي، ثم استثنت الآية الخامسة الذين يتوبون وتحسن سيرتهم وسلوكهم فإن الله تواب رحيم. أي

---

(١) النور: ٤.

أن التوبة تؤمِّن لهم ردّ الاعتبار، فترتفع صفة الفسق، وإذا ارتفع الفسق قُبلت الشهادة لعدم المانع، وللرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» هذا مافي الآية الخامسة التي استثنت التائبين.

أما الآية ٢٣ من السورة نفسها التي قال عنها مثيرو الشبهة: إن الله لا يغفر لمن يرمي المحصنة بالزنا وهي ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ...﴾ ففيها بيان لمن يقذف المحصنة الغافلة عما رُميت به ولم يأت بأربعة شهداء، ولم يتب وبقي مختفياً بين المسلمين فإن له ثلاث عقوبات هي:

أ ـ لعن في الدنيا.

ب ـ ولعن في الآخرة.

جـ ـ وعذاب عظيم.

إذن الغفران مشروط بالتوبة كما في الآية / ٥ وفي حال عدم التوبة فلا غفران، بل اللعن المؤبد والعذاب المقيم حسب الآية / ٢٣.

والفرق بين الآيتين هو: تحقق التوبة في الآية / ٥ وعدم تحققها في الآية / ٢٣ لذلك ازدادت العقوبة ولم تُخفّف.

الشبهة التاسعة والثمانون:

«كتاب الأعمال السيئة يؤتى من وراء الظهر حسب سورة الانشقاق: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِه﴾[1] وبالشمال حسب سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِه فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[2] وتحايلُ المسلمين على هذه النقطة هو نوع من جمع الأشياء. حيث وضعوا ذراعهم الشمال وراء الظهر. ويبدو أنهم يسيرون كذلك».

ردها:

أظهروا استغرابهم هنا: كيف يُعطى العاصي كتاب أعماله يوم القيامة من وراء ظهره حسب الآية ٢٥/ الحاقة؟ وعدّوا ذلك تناقضاً.

ولكن قيل في التوفيق بين هاتين الآيتين: إن يد العاصي تغلّ الى عنقه فيعطى كتاب أعماله باليد اليسرى من وراء ظهره إيغالاً في إذلاله.

وقيل: إن كلتا يديه تربطان من خلفه ـ كما يفعل بالأيسر ـ ويعطى كتابه باليد اليسرى من وراء ظهره. وهناك رأي ثالث:

أن المجرم يدار وجهه الى الخلف بدلالة الآية ٤٧/ النساء ﴿...قَبلِ اَن نَّطْمسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى اَدْبَارِهَا...﴾ فيعطى كتابه من وراء ظهره وبيده اليسرى. والرأي الأخير تؤيده الآية هذه وعليه أكثر المفسرين.

---

(١) الانشقاق: ١٠.

(٢) الحاقة: ٢٥.

ولامنافاة بين هذه الآية وآية سورة الحاقة ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ...﴾[1] إذ يمكن الجمع بين الصورتين كما عرفت. فلا تناقض ولا اختلاف. وليعلم هؤلاء أن وضع اليدين خلف الظهر أثناء السير من المكروهات الشرعية عند المسلمين.

الشبهة التسعون:

«قال في سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾[2] ولم تكن هذه الزبر باللغة العربية، وإلا لكان لوجودها أثر في الأدب الجاهلي. فهل في اللغة العبرية أو اليونانية أو الآرامية لفظ (القرآن)؟».

ردها:

الزُبُر لغة: قال في اللسان: قال ابن برّي: من قرأ زُبُراً فهو جمع زَبور. إشارة الى قوله ﴿فَتَقَطَّعُوا امرَهُم بَينَهُمْ زُبُراً...﴾ أي جعلوا دينهم كتباً مختلفة. وقال الراغب: وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له: زَبور وخُصّ الزبور بالكتاب المنزل على داوود.

خلطوا هنا بين خبر القرآن، وبين نص القرآن نفسه. فقالوا ﴿وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾ إن الضمير يعود على القرآن. وهو عربي، وزبر الأولين لم تكن عربية فكيف يكون القرآن فيها؟ قلنا: المعنى أن خبر نزول القرآن

---

(١) الحاقة: ٢٥.

(٢) الشعراء: ١٩٦.

على النبي الذي سوف يبعث في آخر الأمم موجود عندهم في كتبهم مهما كانت لغاتها. وليس المهم اللغة التي نزلت بها كتب الماضين، بل المهم وجود الخبر فيها. ولقد كان علماء بني إسرائيل يعلمون بخبر القرآن ونزوله على سبيل البشارة. وذلك دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله ولهذا أسلم بعض اليهود في عهده صلى الله عليه وآله واعترفوا بأنه مبشّرٌ به في كتبهم.

إذن: أخبار القرآن ثابتة في كتب الأولين بشكل واضح، وبخاصة في توراة موسى عليه السلام، وعلماؤهم يعرفون كل ذلك، حتى قيل: إن إيمان قبيلتي الأوس والخزرج بالنبي صلى الله عليه وآله كان على أثر ماكان يتوقعه علماء اليهود عن ظهور النبي محمد صلى الله عليه وآله، وخبر القرآن أيضاً. ولذا قالت الآية ١٩٧ التي وردت مباشرة بعد الآية مدار البحث ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فليس من الممكن في ذلك المحيط المليء بالعلماء اليهود أن يتحدث القرآن عن نفسه جُزافاً؛ لأن الردّ عليه سيأتيه من كل جانب. فلابد أن تكون دعواه صادقة والشبهة كاذبة.

الشبهة الواحدة والتسعون:

«جاء في سورة الأنفال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] وجاء في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِى السِّلْمِ كَآفَةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2] وهنا يأمر القرآن المسلمين للجنح الى السلام والدخول فيه كافة، لكنه ينقض ذلك في سورة محمد: ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ...﴾[3]».

ردها:

السلم لغة: قال في اللسان: والسِلم والسَلم: الصلح، بفتح وبكسر ويذكّر ويؤنّث. وقال الراغب: والسلام والسِلم والسَلم: الصلح.

جنح لغة: قال في اللسان: جنح إليه يجنَح ويجنُح جنوحاً، واجتنح: مال. وقال الراغب: قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا...﴾ أي مالوا، من قولهم: جنحت السفينة، أي مالت الى أحد جانبيها.

كعادتهم في تسجيل التناقضات المضحكة التي ادعوها في القرآن الكريم. قالوا: إن القرآن ليس لديه موقف ثابت. فمرة يدعو الى السلم كما

---

(١) الأنفال: ٦١.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

(٣) محمد: ٣٥.

في الآية ٦١/ الانفال التي خاطبت النبي صلى الله عليه وآله، وكذلك عند ما خاطب الله المؤمنين في الآية/ ٢٠٨/ البقرة. ومرة ينهى القرآن الدعوة الى السلم كما في الآية ٣٥/محمد. فإن لم يكن هذا تناقضاً فما هو شكل التناقض؟

ولنبدأ بالجواب ببيان أن أهداف الجهاد ليس قتل الناس، أو الاعتداء على حقوق الآخرين، بل الهدف إظهار القوة والعزة والمنعة أمام الأعداء لكيلا يعتدوا على المسلمين وكرامتهم، وليحذروهم؛ لأنهم دائماً كتلة واحدة متماسكة ومتمسكة بطاعة قيادتها لقطع سبيل الشر وكفّ الأذى. وفي هذا ردّ على من يقول إن الاسلام دين السيف. وعلى من يقيسون رسول الله صلى الله عليه وآله بسائر محتلي البلدان في التاريخ.

ولما بينت الآيات السابقة على آية الأنفال المذكورة آنفاً، جاءت الآية مورد البحث وذكرت أن بعض الناس يترددون غالباً عند ما يراد التوقيع على معاهدة صلح. فأمرت النبي صلى الله عليه وآله بعدم التردد في ذلك إذا كان الصلح من موقع القوة والاقتدار، وكانت الشروط عادلة وحقانية. لله فيها رضاً وللمسلمين فيها عزة وصلاح. وقالت: ﴿...وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وفيها تحذير للنبي صلى الله عليه وآله وللمسلمين من احتمال أن تكون الدعوة الى الصلح نابعة من محاولة للغدر بالمسلمين، أو للتهيؤ لإنزال ضربة قاصمة مفاجئة لهم. كما فيها تطمين له صلى الله عليه وآله ألا يخشى هذا الأمر؛ لأن الله ـ عزوجل ـ سيكفيه أمر عدوه، وسينصره في جميع الأحوال. والإسناد الإلهي له صلى عليه وآله في

مواجهة المكائد والمؤامرات السابقة يشهد بأن الله لم يتركه وحده، بل هو سميع عليم لايخفى عليه شيء من كيد عدوه.

أما الآية الثانية ٦٩/ البقرة فبعد الإشارة الى الطائفتين: المؤمنين والمنافقين في الآيات السابقة عليها، دعت جميع المؤمنين الى الدخول في السلم. وقد عرفت أن أصله: التسليم ويطلق على الصلح والسلام. والمراد هنا الإسلام. والدعوة موجهة الى عامة المسلمين. وعليه يكون السلم طاعةَ الله والانقياد له في جميع أحكامه، والدخول فيما فيه السلامة دنياً وآخرة. وطريق السلام معروف لدى الكل وهو ترك الحروب والتخاصم والكيد، والركون الى الوئام والمحبة والطاعة. ولذا قالت الآية ﴿...وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ حيث إن خطوات الشيطان هي الطرف الآخر المضاد للسلم. ولاخيار للانسان غير الدخول في السلم، أو اتباع الشيطان. أما الآية الثالثة. فقد نهت ضعفاء المسلمين أن يدعوا الى الصلح حالة كونهم في موقع القوة والغلبة والعلوّ على أعدائهم، فإن الصلح لايطلب في مثل هذه الحال. وإن كان مطلب الصلح في نفسه حسناً وجيداً، ولكن ليس في كل الأحوال، بل هو حسن عندما يحفظ ماء وجه المسلمين وحيثيتهم وهيبتهم ويحقق أهدافهم. أما الصلح الذي فيه ذلّهم وانكسارهم فيكون طلبه قبيحاً؛ لأنه في الواقع استسلام وخضوع نابع من الضعف والانهيار. إذن: السلم الذي دعت إليه الآيتان السابقتان غير السلم الذي نهت عنه الآية الأخيرة. وهو الذي يدعو إليه طلاب العافية ساعة ظهور علامات النصر والغلبة. ولذا عمدت الآية الى رفع معنويات المجاهدين بالقول

﴿...وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فإن من كان مع الله لا يُحسّ بالوحشة وأن جميع أعماله محسوبة له ولا ينقص منها شيء. فأين التناقض؟

الشبهة الثانية والتسعون:

«جاء في سورة مريم: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾[1] أي أن إبراهيم اعتزل عبدة الأوثان، ولكن في سورة الأنبياء: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[2] فنراه حطّم أغلب الأوثان ولم يعتزلهم».

ردها:

أعتزل لغة: قال الراغب: الاعتزال: تجنّب الشيء عمالةً كانت أو براءة، أو غيرهما بالبدن كان ذلك أو بالقلب يقال: عزلته، وتعزّلته فاعتزل قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ...﴾.

الجذّ لغة: قال ابن منظور: الجَذّ: كسر الشيء الصلب. جذذت الشيء: كسرته وقطعته والجُذاذ والجِذاذ: ما كسر منه. وضمّه أفصح من كسره. ومنه: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً...﴾ أي خطاماً.

إن الآيات التي سبقت الآية مورد البحث ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ

---

(١) مريم: ٤٩.

(٢) الأنبياء: ٥٨.

من دُونِ الله وَادْعُو رَبِّى عَسَى الاَّ اَكُونَ بِدُعَاء رَبِّى شَقِيّاً﴾(١) وما قبلها كانت تتحدث عن محاورة إبراهيم مع (آزر) ومحاولته هداية هذا الرجل وإبعاده عن عبادة الأصنام، وتهديده بطرد إبراهيم (واهجرني مليّا) قال له إبراهيم عليه السلام الموحّد الوحيد في قومه: ﴿...سَاَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيّاً﴾ فقابل خشونة آزر وتهديده بالاستغفار وسعة الصدر، ثم جاءت الآية: (واعتزلكم) أي لاأدعو بما تدعون إليه من دون الله تعالى. فإن عقيدتكم هذه ستجرّ عليكم الويلات ولا تُفضي الى نتيجة محمودة. ومع ذلك سأدعو لك ربي فإنه سيجيب دعائي.

أما أنتم فستبقون تدعون من هو أكثر منكم مسكنة، ولايستجيب دعاءكم ولايسمع كلامكم. فثبت إبراهيم عليه السلام على عقيدة التوحيد مستنكراً عقيدة قومه. مع أنه وقف الكل في وجهه، وثاروا عليه. فالاعتزال كان فكرياً برفض عقيدة الشرك، ومكانياً بالهجرة من أرض بابل الى فلسطين، ولكن بعد أن وفى بما وعد به. وهو الذي تحدثت عنه سورة الأنبياء: ﴿وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ اَصنَامَكُم بَعدَ اَن تُوَلُوا مُدْبِرِينَ﴾(٢) هنا برهن إبراهيم عليه السلام على جدية موقفه الرافض للشرك وأبدى استعداده لتحمل مسؤولية ماسيقوم به مهما كان الأمر ثقيلاً عليه. وكلمة (لأكيدن) فيها لام القسم ونون التوكيد الثقيلة فالفعل مؤكد الوقوع من طرفيه. ومعناه: التخطيط السري والتفكير الخفي، وسأنتهز الفرصة المواتية لأحطّم هذه

(١) مريم: ٤٨.

(٢) الأنبياء: ٥٧.

الأصنام، ولكن لما كانت الأصنام مقدسة جداً في نظرهم جعلتهم لا يهتمون بتهديد إبراهيم، حتى أنهم لم يُظهروا أي ردّ فعلٍ تجاهه، واعتبروا كلامه من قبيل تصريحات سياسيّ اليوم للتسويق الإعلامي لا أكثر.

ففي يوم عيد رأس السنة عند قومه حيث كانوا يُحضرون فيه مختلف الأطعمة ويضعونها عند أصنامهم، ويخرجون جميعاً من البلد إلا إبراهيم لم يخرج، ثم يعودون آخر النهار ليأكلوا الطعام الذي شملته البركة حسب عقيدتهم. هنا دخل إبراهيم المعبد وحطّم الأصنام إلا كبيراً لهم. فأين التناقض في عمل إبراهيم عليه السلام الذي ملخصه: اعتزال ورفض لعقيدتهم، ثم تحطيم لرموز تلك العقيدة، ثم الهجرة بعدما تعرض الى محاولة الإحراق، وفشل تلك المحاوولة. ولكن قد تأتيهم هذه التناقضات في عالم الرؤيا. ولاندري هل هم في صحوة أم في سكر؟

الشبهة الثالثة والتسعون:

«آمن فرعون وقال: وأنا من المسلمين وقبلت توبته حسب سورة يونس: وهي ﴿...حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[1] بينما لا تقبل التوبة عند

(١) يونس: ٩٠ ـ ٩٢.

حضور الموت حسب سورة النساء: ﴿وَلَيسَتِ التَّوْبَةُ للذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إذَا حَضَرَ أحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إنِّى تُبتُ الآنَ وَلاَ الَّذينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئكَ أعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً ألِيماً﴾[1]».

ردها:

الفساد لغة: قال الراغب: الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال .. ويُضادّه الصلاح.

التوبة لغة: قال ابن منظور: التوبة: الرجوع من الذنب. وفي الحديث: «الندم توبة» والتَوبُ مثله. وقال الأخفش: التوب جمع توبة مثل عَزْمة وعَزْم. وتاب الى الله يتوب توباً وتوبة ومتاباً: أناب ورجع عن المعصية الى الطاعة.

كذّبوا هنا على القرآن الكريم كذبة كانت هي أساس الشبهة ورأسَ المغالطة. فقالوا: إن فرعون تبع موسى ودخل في خليج السويس بقصد ملاحقته والقضاء عليه، فلما أدركه الغرق آمن فرعون وقُبلت توبته وإيمانه حسب آيات سورة يونس: ﴿وَجَاوَزْنَا ببَنى إسرَائيلَ الْبَحرَ فَأتْبَعَهُمْ فرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إذَا أدْرَكَهُ الْغَرَقُ...﴾ ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبلُ وَكُنتَ منَ الْمُفْسدينَ﴾ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ببَدَنكَ لتَكُونَ لمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإنَّ كَثيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتنَا لَغَافلُونَ﴾ هذه الآيات التي اعتمدوا عليها في بناء الشبهة. هل يفهم منها قبول توبة فرعون وإيمانه؟ أم أن الذي فيها استفهام استنكاري، الغرض منه اللوم والتقريع لقوله:

---

(١) النساء: ١٨.

﴿...آمَنتُ أنَّهُ لا إلـهَ إلاَّ الذى آمَنَتْ به بَنُو إسرَائيلَ...﴾ والاستفهام هو (أألآن) أي في هذا الوقت تقول (آمنت) لمّا أحسست بالموت يطوق عنقك؟ أين كنت عن هذا التحول المفاجئ العجيب، والانقلاب الغريب أيام كنت مزهواً بكبريائك ممتلئاً بعنفوانك، تتمتع بسطوة طويلة عريضة؟

لماذا نازعت الله رداءه بالاستكبار، وعَبّدْتَ الناس لك بالإجبار. إن إيمانك في هذا الوقت الضائع لاينفعك. فلم يُقبل إيمانه خلافاً لما ورد في الشبهة؛ لأن الإيمان الذي ينبثق من الشعور بحتمية نزول البلاء، ويحدث ساعة نشوب أظفار المنية إيمانٌ طوارئ ليست له قيمة، ولايدل على صدق النية وسلامة القلب.

زد على ذلك: إن أغلب الناس هم على هذا المنهج. إذا تعرّض الى محنة وشدة التجأ الى الله ـ عزوجل ـ ولكن إذا تجاوزها ونجا نسي الذي أنجاه وأنقذه. فهذا اللجوء ليس لجوء إيمان وعقيدة، بل هو لجوء اضطراري يصير إليه كل مجرم وعاصٍ. وفرعون كان من هذا القبيل. إذن: ليس في الآيات التي ذُكرت آنفاً إشارة الى قبول إيمان فرعون لينشأ التناقض بينها وبين آية سورة النساء: ﴿وَلَيسَتِ التَّوْبَةُ للذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ...﴾ وهي واضحة الدلالة ـ كما ترى ـ وعلّة عدم قبول هذا النوع من التوبة والإيمان الاضطراري ساعة حضور الموت، هو انكشاف الحقائق وزوال الغطاء عن العين، ولكن بعد فوات الأوان وضياع الفرصة.

الشبهة الرابعة والتسعون:

«الله يهدي الى الحق حسب سورة يونس: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1] ولكن نجد الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء حسب سورة إبراهيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]».

ردها:

الحق لغة: قال في اللسان: الحق: نقيض الباطل. وجمعه حقوق وحقاق.. وحقَّ الأمرُ يحقُّ ويحُقُّ حقّاً وحقوقاً: صار حقاً وثبت. قال الأزهري: معناه وجب يجب وجوباً. والحق من أسماء الله تعالى وقيل من صفاته. قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقةً المتحقق وجوده وإلهيته. وقال الراغب: أصل الحق: المطابقة والموافقة.

الشريك لغة: قال في اللسان: والشريك المشارك. قال الأزهري: يقال شريك وأشراك كما يقال يتيم وأيتام.. وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه.. والشرك: الكفر.

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) إبراهيم: ٤.

وفي حديث تلبية الجاهلية: «لبيك لاشريك لك إلا شريكٌ هو لك تملكه وماملك» يعنون بالشريك: الصنم.

إن آية سورة يونس ﴿قُلْ هَلْ من شُرَكَآئكُم...﴾ جاءت بعد آيات لقّن الله نبيَّه بها ليحتج على المشركين بحجج حسية من واقع الحياة. وهي بنفسها دلائل على وجود الله سبحانه وأهليته للعبادة. فالخطاب في هذه الآية وماسبقها من آيات أُخذ بهذا المعنى. فوجهت إليهم أسئلة من الواقع، منها: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ ﴿...امَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبصَارَ وَمَن يُخرِجُ الْحَيَّ منَ الْمَيِّت وَيُخرِجُ الْمَيَّتَ منَ الْحَيِّ وَمَن يُدبِّرُ الأمرَ...﴾ ﴿قُلْ هَلْ من شُرَكَآئكُم مَّن يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ...﴾ ثم جاءت الآية مورد البحث ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئكُم مَّن يَهْدى إِلَى الْحَقِّ...﴾ والسؤال الأخير نابع من حقيقة هي: أن المعبود يجب أن يكون هادياً ومرشداً لعباده نحو الحق. والحال أن معبوداتهم سواء أكانت أحجاراً أم ملائكة أم طواغيت غير قادرة على أن تهدي أحداً الى الحق من دون الهداية الإلهية. وإن كانت الهداية لاتتعلق بالأصنام، لعدم امتلاكها عقلاً يقبلها. ومن الثابت عقلاً أن الهادي يحتاج الى العصمة والصيانة من الخطأ والاشتباه. وهذا لايمكن من دون هداية الله تعالى وتسديده. إذن: اتضح أن الله وحده هو الذي يهدي الى الحق بطرق ثلاثة:

أ ـ منحه العقل للإنسان.

ب ـ تمكينه الإنسانَ للاستدلال من طريق الفطرة.

جـ ـ إرسال الرسل والأنبياء ومعهم الكتب السماوية.

ولما أوجب الله على الإنسان عبادته، أوجب على نفسه أيضاً هدايته بإراءته الطريق الموصل الى المقصد المطلوب. وهذا التعهد لم يتراجع عنه سبحانه أبداً. هذا مايتعلق بالآية الأولى في الشبهة.

أما ما يتعلق بالآية الثانية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ...﴾ فقد تطرقت الى مهمة الأنبياء الأساسية وهي: البيان. أي توضيح مقاصد الوحي. إذ ليس للناس على الأنبياء إلا البيان. وأما ماوراء ذلك من الهداية والإضلال فهو راجع الى الله ـ عزوجل ـ وقد بحثنا موضوع الهداية مفصلاً في رد الشبهة (٥٨).

الشبهة الخامسة والتسعون:

«الزانية والزاني يُجلدان مائة جلدة حسب سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ...﴾[١] كما يمكن للزانية أن تتزوج بزانٍ أو مشرك، بينما تُمسَك المرأة التي تأتي الفاحشة في البيت حتى الموت حسب سورة النساء: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[٢] فإن ردّ المسلمون بالجمع بين العقابين يتضح التفريق بين الرجل والمرأة ولا تفريق في الآية».

---

(١) النور: ٢.

(٢) النساء: ١٥.

ردها:

قلنات في الشبهة (٧١) إن الآية ﴿وَاللاَّتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ...﴾ مشعرٌ متنُها بأن هذا الحكم سوف يُنسخ مستقبلاً وعبارة ﴿...أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ دالة على ذلك. وقد نسخ فعلاً بحديث الرجم، أما الأذى الذي ورد في سورة النساء: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾[1] فقد وُضّح بآية الجلد. هذا ماحققناه في محله. كما بينا أن الجلد لغير المتزوجين من الجنسين، والرجم للمتزوجين من الجنسين كذلك. فلا داعي الى تكرار المقايسة بين آية النور وآية النساء بعد أن اتضح أن آية السجن المؤبد نسخت بالسنة أي بتشريع الرجم للمحصنات.

ولايعمل المسلمون إطلاقاً بالجمع بين حكم الناسخ والمنسوخ لانتفاء الغاية من النسخ حينئذٍ، ثم إنهم يلتزمون بدلالات النصوص المقدسة. فإذا جاء النص بخصوص المرأة فقط قصروا الحكم عليها، ولايُعدّونه الى الرجل إلا بدليل. وهكذا لو اختص النص بالرجل. وإذا تناول النصُ الرجلَ والمرأة معاً شملهما الحكم حسب دلالته. فليست المسألة - كما يتصور هؤلاء - مسألة تفريق وتمييز بين الرجل والمرأة. وإلا لصارت القضية مزاجية لا حكماً شرعياً يجب تطبيقه والالتزام به.

(١) النساء: ١٦.

الشبهة السادسة والتسعون:

«جاء في سورة الأنعام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إسحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُـلاً هَـدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا من قَبلُ وَمن ذُرِّيَّته دَاوُودَ وَسُـلَيْمَانَ وَأَيُّـوبَ وَيُوسُـفَ وَمُوسَى وَهَـارُونَ وَكَـذَلكَ نَجـزى الْمُحـسنينَ﴾ ﴿وَزَكَرِيَّـا وَيَحْيَـى وَعيسَى وَإلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالحينَ﴾ ﴿وَإِسـمَاعيلَ وَالْيَـسَعَ وَيُـونُسَ وَلُوطاً وَكُلاً فضَّلْنَا عَلـى الْعَالَمينَ﴾[1] ونسأل: كيف صُفّت هذه الأسماء بلا نظام ولا ترتيب، بما فيها من تقديم وتأخير يدعو للتشويش والخلط. فما الداعي لذكر داوود وسليمان قبل أيوب ويوسف وموسى وهارون، وما الداعي لذكر زكريا ويحيى وعيسى قبل إلياس، وما الداعي لذكر اليسع ويونس قبل لوط؟ مع أن الترتيب التأريخي معروف قبل القرآن بمئات السنين وهؤلاء موجودون في كتاب اليهود. وبعضهم ذكره الإنجيل مثل زكريا ويحيى وعيسى. ومن هنا نجد أن القرآن فيه ريب، لا كما يقول عن نفسه: ﴿ذَلكَ الْكتَابُ لاَ رَيْبَ فيه...﴾».

ردها:

طغى الشك في قلوب هؤلاء وبلغ حداً أعماهم عن الحقائق وجعلهم ينقضون مافي كتاب الله المجيد ومنه قوله: ﴿ذَلكَ الْكتَابُ لاَ رَيـبَ فيـه

---

(١) الأنعام: ٨٤ ـ ٨٦

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١] وقالوا إن الريب يتحقق بمجرد مطالعة الآيات ٨٤ ـ ٨٦/ الأنعام وهي التي ذكرت أسماء الأنبياء وهم أربعة عشر نبياً من ذرية إبراهيم ليس على نحو الترتيب الزمني، بل ذكرتهم بصورة عشوائية حسب رأي هؤلاء المشككين! وجوابهم:

إن الذي أحكم تصميم وهندسة الذرة، وشيد الكون اللامتناهي حسب نظام مدهش عجيب، ودبّر أمور هذا العالم الواسع هل يكون عاجزاً عن ترتيب أسماء أربعة عشر شخصاً ولدوا وعاشوا في أزمان مختلفة؟ إنه من الأمر المضحك المبكي نسبة مثل هذا القول الى الله ذي القدرة المطلقة والحكمة البالغة والعالِم المحيط. فلابد أن يكون لذكرهم بالطريقة التي عرضها القرآن الكريم غاية وهدف غاب عن مثيري الشبهة. ولو دققنا النظر في هذه المجموعة من الأسماء لوجدنا أن الله قسمها ثلاث مجموعات كل مجموعة اشتركت بمزايا معينة، وجمع بينها جامع مشترك.

فالأولى: فيها: داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون. وهؤلاء آتاهم الله الحكم والقيادة الى جانب النبوة والرسالة. وقدم ذكر (داوود وسليمان) إذ كانا نبيين غنيين منعّمين، وذكر بعدهما (أيوب ويوسف) وكان أيوب أميراً غنياً محسناً، وكان يوسف وزيراً عظيماً وحاكماً متصرفاً. وقد ابتليا بالضراء فصبرا، وبالسراء فشكرا! وبعد ذلك ذكر (موسى وهارون) وكانا حاكمين في قومهما.

أما المجموعة الثانية: فذكر فيها أربعة أنبياء وهم: (زكريا ويحى

---

(١) البقرة: ٢.

وعيسى وإلياس) وإنما جمعهم الله هنا لأنهم امتازوا بشدة الزهد في الدنيا والإعراض عن لذائذها. ولذلك خصهم بوصف الصالحين.

وفي المجموعة الثالثة ذكر (إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً) وهؤلاء أولو خصائص مختلفة ومحن إلهية عظيمة مثل: تعرض إسماعيل للذبح. ولوط أرسل الى أبشع خلق الله وهم أهل سدوم، مهد الفحشاء التي لم يسبقهم إليها أحد. إذن: لم تذكر أسماء الأنبياء بلا نظام ولاترتيب كما جاء في الشبهة، وإنما ذُكرت بشكل دقيق لجامع جمع بينها. فإلى الله المشتكى من عقول صماء لاتعرف غير التعامي عن الحق.

الشبهة السابعة والتسعون:

«ما يعلم تأويل القرآن إلا الله والراسخون في العلم حسب سورة آل عمران: ﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ...﴾[1] فليشرح أي من هؤلاء معنى المقطعات. أي الحروف المنفردة الواردة في مقدمة بعض السور. مثل: (طسم) في سورة القصص. وقد يقول المسلمون ليس هناك راسخون في العلم. إذن: من هم الفقهاء؟».

ردها:

التأويل لغة: قال الراغب: التأويل: من الأوْل، أي: الرجوع الى الأصل. ومنه المَوْئِل: للموضع الذي يُرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء الى الغاية

---

(١) آل عمران: ٧.

المرادة منه. وقال ابن منظور عن الليث: التأوّل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانية ولايصح إلا ببيان غير لفظه.

لقد ذكرنا جانباً من الحديث عن هذا الموضوع في الشبهة الثانية والخمسين. وقلنا إن الحروف المقطعة وردت في مطالع بعض السور، لتحدي أرباب البيان وكشف عجزهم عن الإتيان بسورة واحدة مماثلة لسور القرآن الكريم، مع أن هذه الحروف المقطعة هي في متناولهم ومتناول أطفالهم. ولاتحمل أكثر من هذا المعنى. وليست هي رموزاً ولا إشارات وطلاسم وإنما هي للتحدي. إذ ليس من المعقول أن يُنزل الله كتاباً غيرَ مفهوم، أو يكون مجموعة أحاجي وألغاز، ثم يطلب منهم أن يتدبروه ويصلوا الى مضامينه. وإذا لم يتمكنوا من ذلك قرّعهم بالقول: ﴿...اَمْ عَلٰى قُلُوب اَقْفَالُهَا﴾ فلو أصدر الملك مرسوماً ملكياً الى الأمة وكان ذلك المرسوم متضمناً عبارات مُبهمة مشوّشة بعيدة عن الاستعمال العرفي ولا يفهما إلا الملك نفسه. فليس من حقه مطالبة الأمة بتطبيق المرسوم، ولا المحاسبة على عدم الالتزام به، لأنه في الواقع كتبه لنفسه لا للأمة. والنتيجة يوصف الملك بعدم الحكمة. ولكن الله تعالى لايوصف كما يوصف الملك، لأنه لا يفعل كما يفعل الملك. ثم إن الآية التي ذكروها في الشبهة ﴿هُوَ الذيَ اَنزَلَ عَلَيكَ الْكتَابَ منهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكتَاب وَاُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَاَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منهُ ابْتغَاء الْفتْنَة وَابْتغَاء تَأْويله وَمَا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إلاَّ اللّهُ وَالرَّاسخُونَ فى الْعلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عند رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُواْ الألْبَاب﴾

جاءت بعد ذكر الآيات التي تحدثت عن نزول القرآن باعتباره أحد الدلائل الواضحة، والمعجزات البينة لنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله، فذكرت إحدى خصائص القرآن وهي أن فيه آيات محكمات لا يلتبس أمرها على أحد. صريحة وواضحة، وفيه آيات أخرى غامضة، أو لها أكثر من مفهوم بسبب علوّ معناها وعمق معارفها، أو لاختيار العلماء الحقيقيين وتمييزهم عن الأشخاص المعاندين الذين يطلبون الفتنة بتأويلهم الآيات وفقاً لأهوائهم ليُضلوا الناس، ويحدثوا فتنة عمياء فيهم.

مع أن التأويل من اختصاص الله والراسخين في العلم وهم: النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة من أهل بيته. وهؤلاء هم صِمام الأمان بوجه من يريد الفتنة. ولاينفي واحد من المسلمين وجود الراسخين في العلم.

زد على ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وأوصياءه عليهم السلام لم يدّخروا جهداً في بيان كل ما يتعلق بالمحكم والمتشابه. وليست الحروف المقطة شيئاً تعجيزياً يتحدى به هؤلاء أئمة المسلمين وعلماءهم.

الشبهة الثامنة والتسعون:

«تُفرَق الأقدار ليلة القدر حسب سورة الدخان[١] بينما كل إنسان ملزم بقدره في عنقه حسب سورة الإسراء[٢] هذا وتكتب المصائب مسبقا قبل خلق النفس في سورة الحديد وهذا مناقض لما جاء في سورة البقرة: ﴿...وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٣]».

ردها:

إن هؤلاء صاروا يكررون الشبهات والإشكالات كلما أعوزهم الدليل العلمي الذي يثبت تناقضاً حقيقياً في كتاب الله، فصاروا يعيدون الشبهة بثوب جديد. فإن ماطرحوه في الشبهة (٢٢) أعادوه هنا بتغيير وتقديم وتأخير. والمعنى واحد وهو: كيف يقول القرآن: في ليلة القدر يفرق كل أمر حكيم في حين أن في سورة الإسراء يقول: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِى عُنُقِه...﴾؟ أي أن الانسان ملزم بقدره المكتوب عليه. فخلطوا بين مضامين الآيات ولم يميزوا بين الأقدار المكتوبة، والأعمال المكتوبة، مع أن الفرق بينهما واضح، ثم ذكروا أمراً لا علاقة له بالآيتين السابقتين. وهو أن السيئة من عمل الانسان نفسه وقد بحثنا ذلك في رد الشبهة (٨٢) مفصلاً.

---

(١) الدخان: ٤.

(٢) الاسراء: ١٣.

(٣) النساء: ٧٩.

أما قوله تعالى: ﴿مَا اَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الاَرْضِ وَلاَ فِى اَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِّن قَبلِ اَن نَّبْرَاَهَا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ﴾[1] فتعني أن كل الحوادث التي تحدث في العالم مسجلة في لوح محفوظ أي في علم الله عزوجل اللامحدود، أو في صحيفة عالم الخلقة ونظام العلة والمعلول. وهذه المصاوب ـ جمع مصيبة ـ في الواقع هي إنذارات للغافلين وسوط يقرع أرواح المغترين بهذه الدنيا الفانية. وكل هذه المصاوب مخلوقة قبل أن تقع. فالمسألة مسألة وقت لا أكثر. ووقوعها حتمى وهي من جملة الأمور التي تفرق في ليلة القدر من هذا العام الى العام القابل. وعليه يكون نزول الملائكة الى الأرض بأمور مكتوبة في اللوح المحفوظ لهذه السنة فقط.

وليس في الآيات المباركة مايسمى تناقضاً، إلا أن مصانع هؤلاء تعمل ليلاً ونهاراً لتنتج أكبر عدد من التناقضات وكأنهم في سباق مع إبليس.

---

(١) الحديد: ٢٢.

الشبهة التاسعة والتسعون:

«إن الله لا يغفر الشرك حسب سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ...﴾[١] وحسب سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾ ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[٢] هذا ولقد أشرك إبراهيم حسب سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّى هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِيءٌ مِّمَا تُشْرِكُونَ﴾[٣] ومع ذلك بقي نبياً حسب قول الإسلام وإنه في الآخرة لمن الصالحين حسب سورة العنكبوت: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجرَهُ فِى

---

(١) النساء: ١١٦.

(٢) الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠.

(٣) الأنعام: ٧٦ ـ ٧٨.

الدُّنْيَا وَإِنهُ فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالحِينَ﴾[1]».

ردها:

الأثام لغة: قال في اللسان عن الفراء: أثَمَه اللهُ يأثمُه إثماً وأثاماً، إذا جازاه جزاء الإثم، فالعبد مأثوم أي مجزي جزاءَ إثمه. وقال الراغب: الإثم والأثام: اسم للأفعال المبطّئة عن الثواب وجمعه: آثام.

وهب لغة: الهِبة: العطية الخالية من الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سمّي صاحبها: وهّاباً، وهو من أبنية المبالغة.. ويعدّى باللام لاغير. (رب هب لي) (ووهبنا له).

لقد ذكروا في هذه الشبهة ماذكروه في الشبهة الثلاثين. فإما أن تكون الذاكرة قد خانتهم، أو كما قلنا أعوزتهم الشبهات. وفي معرض الرد نقول:

أ ـ إن الله لا يغفر للمشرك إذا لم يتب الى ربه توبة نصوحاً، لاعودة معها الى ذنب الشرك. ودليله: إن الله غفر لكل المسلمين الذين كانوا مشركين قبل الإسلام، ومدحهم في كتابه الكريم وأثنى عليهم ووعدهم الجنة، وجعل إسلامهم توبة عن شركهم. وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «الإسلام يَجُبُّ ماقبله».

ب ـ لايليق برحمته الواسعة ردُّ توبة من أناب إليه، سواء أكانت التوبة عن شرك أم غيره.

جـ ـ إن عدم قبول توبة المشرك منافٍ للملاك الذي شُرِّعت من أجله التوبة. على ما يظهر من آيات التوبة في القرآن. والملاك هو إيمان التائب

---

(١) العنكبوت: ٢٧.

في التخلص من عبء الذنب، وثقل المعصية وشدة العقاب عليها. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الذينَ اَسرَفُوا عَلىٰ اَنفُسِهمْ لاَ تَقْنَطُوا من رَّحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1].

د ـ إذا علم الله تعالى خلوصَ نية التائب، ورأى منه أعمالاً صالحة نابعة عن إيمان صادق. فليس فقط يقبل توبته، وإنما يبدّل سيئاته حسنات، ويمحو عنه ذنوبه التي ارتكبها. قال تعالى: ﴿إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالحاً فَأُوْلَئكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[2]. ولكن يبقى اتقاء المعاصي أفضل من اقترافها، ثم محوها بالتوبة.

هـ ـ إن رمي إبراهيم عليه السلام بالشرك وهو رائد حركة التوحيد وربّانها لظلمٌ عظيم. وهو منتهى الجهل بحال هذا الرجل المجاهد الذي أسس هذه الحركة التوحيدية، حتى صارت له أيادٍ بيضاء على كل موحّد. وإننا في غاية الدهشة والعجب من جرأة هؤلاء الذين يريدون تشويه صورة شخص يعتبر من أهم الرموز في تأريخ الانسانية، ويتهمونه بالشرك، مع أنه كان الموحد الوحيد في بداية دعوته. وماذاك إلا لأنه نزّل نفسه منزلة الخصم في الاعتقاد بربوبية بعض الكواكب، واتخاذها رباً ليثبت لقومه حاجة هذه الكواكب والأصنام الى المدبّر والصانع. وأنها لاتضرو ولا تنفع. فكان ذلك في مقام الاستدلال على سذاجة عقولهم وسخف أفكارهم.

---

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) الفرقان: ٧٠.

بدليل أنه قام بتحطيم تلك المعبودات الحجرية، وعرّض نفسه جرّاء ذلك للموت والإحراق من أجل عقيدته أولاً، وهداية قومه ثانياً.

الشبهة المائة:

«يَرِدُ المسلمون جميعاً على جهنم أولاً، ثم ينجّي اللهُ الذين اتقوا حسب سورة مريم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[1] بينما يدخل مباشرة الى الجنة من مات في الجهاد».

ردها:

جَثَمَ لغة: قال في اللسان: جثم الإنسان والطائر والنعامة.. يَجثم ويَجثُم جَثْماً وجُثوماً فهو جاثم: لزم مكانه فلم يبرح. وقال الراغب: ﴿...فَأَصبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ استعارة للمقيمين، من قولهم: جثم الطائر إذا قعد ولطِئ بالأرض.

إن هذا من المكررات التي صارّوا يجترّونها مرة بعد أخرى ففي الشبهة (٥٣) قالوا مثلما قالوه هنا. وزيادة على الرد هناك نقول:

أ ـ إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، ولم يكن البابَ الوحيد الذي لايتم الدخول الى الجنة إلا منه. ومعلوم أن الجنة لها ثمانية أبواب. والجهاد طريق يؤدي إليها. ولا يخفى أن للشهيد المتشحط

---

(١) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

بدمه في سبيل الله أحكاماً خاصة، ومنزلة خاصة، وأنه حي عند ربه يرزقه ما يشاء. وهذا العطاء ليس منّةً من أحد، بل هو من واهب النعم التي لاتعد ولاتحصى. فما الذي يغيظكم إذا دخل الجنة من دون حساب مجاهدٌ دفعكم عن حياض دينه؟

ب ـ إن معنى الآية ﴿وَإِن منكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا...﴾ أوضحناه في محله. وقلنا: الورود لايعني الدخول في النار؛ لأنه يعني الحضور والمشاهدة عِياناً. والحكمة من الاطلاع على النار وضراوتها هو الشعور بنعيم الجنة وقيمة الخلود فيها.

جـ ـ أين التناقض الوارد في منطوق الشبهة إذا كان الكل يرد جهنم ليرى هولها حتى الأنبياء والرسل والأوصياء والشهداء؟ ولايُستثنى أحد من هذا القرار الإلهي. ولذلك قال: ﴿...كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾ إذن: ليس الشهيد مستثنى كما يظنون، لينشأ تناقض مزعوم. وليس الاستثناء من مناشئ التناقض. نعم الشهيد يدخل الجنة من دون حساب. وهذا شيء آخر غير الورود.

د ـ يبدو أن هؤلاء أحسّوا بالحسرة لأنهم سيردون النار ولاينجو منهم أحد. لسوء أفعالهم ولعدائهم كتابهم الله المجيد الذي هو الحق الصُراح.

الشبهة الواحدة بعد المائة:

«خلق الله الجن والإنس ليعبدوه حسب سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١] فكيف ذرأ الخلق وبعضهم لهم قلوب لايفقهون بها حسب سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٢]».

ردها:

عَبَد لغة: قال في اللسان: ولايقال عبد يعبُد عبادةً إلاّ لمن يعبد الله.. قال: وأما عبدٌ خدم مولاه فلا يقال عَبَدَه. قال الليث: ويقال للمشركين هم عبدة الطاغوت، ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله. وقال الراغب: العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولايستحقها إلا من له غاية الإفضال.

اعترضوا على الله تعالى وقالوا إذا كان قول القرآن صحيحا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ فلماذا خلق بعض الناس ولهم قلوب لايفقهون بها؟

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

إن الاية الأولى واضحة الدلالة. وهم يعرفون أن الله ـ عزوجل ـ غير محتاج الى عبادة خلقه له، وإنما المنفعة من عبادة الله راجعة الى العباد أنفسهم، لأن الله يريد من الناس أن يتكاملوا. والعبادة سُلَّم التكامل الإنساني. وعلى العبد أن يلبّي رغبة ربه ويتسلق هذا السلّم الى النهاية، وأما الذي يصعد مرقاةً وينزل مَرقاة فسوف لن يصل الى نتيجة، ويكون مشاكساً لرغبة ربه ـ عزوجل ـ وصعود هذا السلّم اختياري لا إجباري. أي يكون بمحض أرادة الجن والإنس.

زد على ذلك أن العبادة الخالصة مشتملة على مزيد من معرفة الله تبارك وتعالى، ومزيد من العشق الإلهي. فالآية الكريمة وإن قَصَرت الهدف من الخلق على العبادة، ولكن العبادة لها مفهوم واسع من جملته: التكامل الإنساني. فالإنسان الكامل هو العبد المخلص لله. ولا ننسى أن الله يسّر كلاً لما خُلِقَ له. أي: هيأ له وسائله التكوينية والتشريعية وجعلها في اختياره وذلك من قبيل قول القائل: «إني بنيت مكتبة للمطالة» فمفهوم قوله أنه هيأ فيها الكتب والمناضد والكراسي والإنارة وغير ذلك، ثم جعلها في خدمة روادها. فإن اختاروا الاستفادة من هذه المكتة اختلفوا إليها، وإلا فهم كما قالت الآية ١٧٩/ الأعراف. أي: أن الله خلق العباد ليتكاملوا ويدخلهم الجنة، ولكنهم يبتعدون عن سلّم الكمال وينحدرون في دركات الشذوذ والانحراف. وهؤلاء مع وجود قلوبهم التي لا تختلف عن قلوب الصالحين، إلا أنهم لا يستفيدون منها لعدم استعدادهم أن يكونوا في مجرى رحمة الله، ولهم أعين تشبه أعين العباد الأخيار، ولكن لا يبصرون بها طريق السلامة، ولهم آذان كآذان المهتدين، ولكن لا يسمعون بها موعظة أهل الحق.

فوصفتهم الآية: ﴿...أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ...﴾ لأن الأنعام لها قلوب وعيون وآذان، ولكن لا تشعر ولا تهتدي إلا الى إشباع غرائزها، فلا تفكر في أسباب الرقي ولا تطمح في التكامل.

والمحصلة النهائية: ليس كما ورد في الشبهة أن الله خلق بعض الناس بقلوب لاتفقه وعيون لا تبصر وآذان لاتسمع. ومع ذلك جعل العبادة غاية لخلقهم، بل إنهم يمتلكون قلوباً وأعيناً وآذاناً ولو شاؤوا الاستفادة منها لنفعتهم، ولكنهم أهملوها غاية الإهمال وانغمسوا في لذائذ الدنيا، وجعلوا الآخرة وراء ظهورهم فأشبهوا الأنعام من هذه الناحية فهم في غفلة عن هدف خَلقهم.

الشبهة الثانية بعد المائة:

«قال في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ﴾[1] وقال في السورة نفسها ﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[2] وفي الزمر: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3] كيف يكون ذلك؟ وفي سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ

(١) الأنعام: ١٤.

(٢) الأنعام: ١٦٣.

(٣) الزمر: ١٢.

حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1] كيف قالوا له ذلك؟».

ردها:

فاطر لغة: قال ابن منظور: فَطَرَ الشيءَ يَفطرُه فَطْراً فانفطر وفطّره: شقه وقال: فطر ناب البعير فَطراً: شقّ وطلع فهو بعير فاطر. وقال الراغب: أصل الفَطْر: الشق طولاً. وفطر الله الخلق، وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشّحة لفعل من الأفعال.

أسلَم لغة: قال ابن منظور: أسلم إليه الشيء: دفعه... وفي حديث ابن مسعود: أنا أول من أسلم، يعني من قومه أي قوم ابن مسعود، كقوله تعالى عن موسى: ﴿... وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني مؤمني زمانه. والإسلام: إضهار الخضوع والقبول بما أتى به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

في هذه الشبهة اعترضوا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿...أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ...﴾. وقوله في سورة الزمر. ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ في حين أن الأنبياء السابقين كانوا مسلمين أيضاً. وقد سبقوا محمداً صلى الله عليه وآله بالإسلام فكيف يقول أنا أول المسلمين؟ وهذا نوح عليه السلام قال مثل قوله، وإبراهيم كذلك ويعقوب وصّى أبناءه ﴿...فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. وفي الجواب نقول:

---

(١) البقرة: ١٣٣.

إن هذه الآية ﴿...أُمِرْتُ اَنْ...﴾ جاءت ضمن خمس آيات مسوقة للتوحيد وإقامة البرهان عليه. إذ أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله بأن يسألهم أسئلة تكون الإجابة عنها أدلة على المعاد والتوحيد. ومن جملة ما أمره به قوله: ﴿قُلْ اَغَيرَ الله اَتَّخذُ وَلياً فَاطِر السَّمَاوَات وَالاَرْض وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إنِّيَ أُمِرْتُ اَنْ اَكُونَ اَوَّلَ مَنْ اَسلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ﴾ أي قل لهم بصورة الاستفهام: إن الله وحده هو الولي للنعمة التي يرتع فيها الإنسان وغيره، وهو الرازق الذي لا يحتاج الى أن يرزقه غيرُه. وهو الذي يُطعم ولايُطعَم، وهو الذي فطر السماوات والأرض وأخرجهما من ظلمة العدم الى نور الوجود، ثم بعد إتمام الحجة على المشركين قال لهم: إن الله أمر بطريق الوحي أن أختار التوحيد حسب إرشاد العقل، ونهاني أن ألحق بالمشركين فقال: ﴿...قُلْ إنِّيَ أُمِرْتُ اَنْ اَكُونَ اَوَّلَ مَنْ اَسْلَمَ...﴾ وهو محتمل لأمرين هما:

(أول من أسلم) من بينهم، وأول من أسلم من حيث الرتبة دون الزمان. فإنه بلاشك أعلى درجة من غيره من الأنبياء جميعاً من حيث إسلامه ويقينه. وعلى هذا المبنى فلا تناقض بين كونه أول من أسلم، وبين إسلام من سبقه من الأنبياء.

الشبهة الثالثة بعد المائة:

«لقد ورد النهي عن الهوى في سورة النازعات: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[1] فكيف أحلّ لكم ماورد في سورة النساء: ﴿وَالْمُحصنَاتُ منَ النِّسَاء إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كتَابَ الله عَلَيْكُمْ وَأُحلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بأَمْوَالكُم مُّحصنينَ غَيرَ مُسَافحينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم به منْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيمَا تَرَاضَيْتُم به من بَعد الْفَرِيضَة إنَّ اللّهَ كَانَ عَليماً حَكيماً﴾[2] وقد يقول المسلمون: هذا زواج المتعة ، فما الفارق بين الهوى والمتعة؟ أهي كلمة يقولها الرجل مثلاً؟ وأيحق زواج المتعة للنساء أيضاً؟ بالطبع لا فالحديث للرجال فقط، وعلاوة على ذلك تكتظ الجنة بالأبكار حسب سورة الواقعة: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾[3] فهناك تناقض: تحريم على الأرض وسماح جنسي في الجنة».

ردها:

السفاح لغة: قال ابن منظور: التسافُح والسِّفاح والمسافحة: الزنا والفجور. وفي التنزيل: ﴿...مُّحْصنينَ غَيْرَ مُسَافحينَ...﴾ وأصل ذلك من

(١) النازعات: ٤٠.

(٢) النساء: ٢٤.

(٣) الواقعة: ٣٦.

الصَبّ، تقول: سافحته مسافحة وسفاحاً، وهو أن تقيم امرأة مع رجل على فجور من غير تزويج صحيح.

جُناح لغة: قال الراغب: وسمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جُناحاً، ثم سمي كل إثم جُناحاً نحو قوله تعالى: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾. وقال في اللسان: والجُناح بالضم: المَيل الى الاثم، وقيل هو الإثم عامة. وقيل في قوله: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾ أي لا إثم ولاتضييق.

هنا مارسوا التخبط والخلط بأغرب صورهما. فجاؤوا بصفات أهل الجنة ومزجوها بنكاح المتعة، ثم استنكروا أن تكون الحور العين أبكاراً. الى غير ذلك من الوسواس الخناس الذي أصابهم. ولتوضيح ما لبّسوا به على البسطاء نقول:

أ ـ إن الله تعالى إذا أحلّ شيئاً، فما معنى السؤال عن سبب الحلّية؟ فالآية ٢٤/ النساء جاءت بعد آية تعداد محرمات النكاح، وما أُحِل من نكاح النساء. وبالجملة وردت هذه الآيات لبيان كل محرّم نكاحي من غير تخصيص، ولما أتمت البيان قالت ﴿...وأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَٰلِكُمْ...﴾ والمراد بالمحصنات: المتزوجات وهو معطوف على الأمهات فانتقلت بالعطف حرمة نكاح الأمهات الى نكاح المحصنات، ثم ورد استثناء رفع حكم الحرمة عمّا ملكت يد الانسان من الإماء المتزوجات. إذ يجوز للمالك أن يحول بين أمته وزوجها، ثم ينال منها على استبراء، ثم يردّها الى زوجها، وقوله: ﴿...فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ...﴾ المراد بالاستمتاع المذكور نكاح المتعة بلا شك. فالسورة مدنية وكان هذا الزواج معمولاً به بمرأىً ومسمع من النبي

صلى الله عليه وآله، وهو المنقول عن القدماء من مفسري الصحابة. وهو مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهذه الآية غير منسوخة في كل الأحوال، لا بالكتاب ولا بالسنة.

ب ـ وسألوا هنا عن الفرق بين الهوى والمتعة. وجوابه: الهوى ما تهواه النفس. فإن كانت مؤمنة هوت ماهو محلّل، وإن كانت فاسقة فلا فرق عندها بين الحلال والحرام، وأما المتعة فهي زواج بأجر معلوم الى أجل محدود، وبعقد شرعي. ولاتجب فيه النفقة للزوجة على زوجها ولايحتاج الى طلاق، بل يتم التفريق بينهما عند انتهاء المدة المتفق عليها. فإن كانت غير يائس اعتدّت عدة الطلاق، وإلا فلا عدة عليها. ويكون الولد تابعاً للزوج، ولا توارث بين الزوج والمتمتَّع بها، وكما يجوز للرجل أن يطلب الزواج المنقطع من المرأة، كذلك يجوز للمرأة أن تزوّج نفسها من الرجل زواجاً منقطعاً أو دائماً. وذلك خير لها من الوقوع في الحرام. ومشكلة الغرب اليوم هي أن أجيالاً من الناس لاتعرف آباءها ولا أمهاتها. والمبتلى بهم حكومات تلك الدول. وتأتي فنلندا في مقدقة الدول بالأبناء غير الشرعيين.

جـ ـ يبدو أنهم منزعجون من كون الحور العين في الجنة أبكاراً لاثيبات، كما جاء في سورة الواقعة. وقد ورد في الروايات أن الرجل في الجنة كلما جاء أهله من الحور وجدها باكراً. وهذا من نعم الله اللامحدودة فما الذي يضيرهم من ذلك.

د ـ ادّعوا حصول تناقض بين تحريم النكاح المذكور في الآية ٢٣/ النساء والآية ٢٤ وبين السماح به في الجنة. ولا أدري كيف يجتمع نقيضان

أحدهما في الدنيا والآخر في الآخرة. وهل يريدون رفع المحذور الشرعي ويدعون الى الإباحية الجنسية حتى تمتلئ الحياة بالزناة والزانيات والأبناء غير الشرعيين؟ هل يريدون نكاحاً من دون ضوابط، هل يدعون الى زواج الصداقة المنتشر عندهم، أو الى الشيوعية الجنسية فاستنكروا جعل القيود والشروط على أخطر قضية اجتماعية، ويقولون إن ذلك شائع في الجنة. من قال لهم ذلك؟ إن الجنة سكانها الأولياء والصالحون والأنبياء والأوصياء والشهداء والمتقون. وهؤلاء لايعتدي أحدهم على أحد، ولايُزعج بعضهم بعضاً. وإذا كانت الجنة خِلواً من اللغو، فهل يُتصور أن فيها تطاولاً على أعراض الغير وحقوقهم؟ إن مجتمع الجنة مجتمع تسوده المحبة والوئام والتصافي والانسجام. فأين الذي تنسبونه الى أصحاب الجنة مثل السماح الجنسي وكأن الجنة في تصوركم نادٍ من نوادي باريس.

هـ ـ وأما آية الهوى الواردة في الشبهة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ فهي والآية التي سبقتها جاءتا لبيان حال الناس يوم القيامة إذ هم ينقسمون قسمين: أهل الجحيم، وأهل الجنة. أهل الجحيم آثروا هواهم وخلدوا الى الأرض واتبعوا أوامر أنفسهم. وأهل الجنة كان لديهم خوف من ربهم فأطاعوه، وعصوا هوى أنفهسم. فتبين أن أهل الجحيم هم أهل الكفر والفسوق، وأهل الجنة هم أهل الايمان والتقوى. ولا علاقة لهذه الآية الشريفة بمحرمات النكاح ومحللاته. فما هذا الخلط والى متى؟

الشبهة الرابعة بعد المائة:

«إذا أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مايشاء حسب سورة الزمر/٤ ﴿**لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لأَصْطَفَى مما يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[1] بينما حسب سورة الأنعام أنى يكون له ولد ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2]».

ردها:

اصطفى لغة: الاصطفاء كما قال ابن منظور يعني: الاختيار وهو افتعال من الصفوة ومنه: النبي صلى الله عليه وآله صفوة الله من خلقه ومصطفاه... والصفي الخالص من كل شيء. وقال الراغب: أصل الصفاء: خلوص الشيء من الشَوْب. والاصطفاء: تناول صفو الشيء، كما أن الاختيار تناول خيره.

البديع لغة: قال ابن منظور: بَدَعَ الشيءَ يَبْدَعُه بَدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه. والبِدع: الشيء الذي يكون أولاً. ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ...**﴾ أي ماكنت أول من أرسل. وقال الراغب: الابتداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء. وإذا استُعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولازمان ولامكان وليس ذلك إلا الله.

---

(١) الزمر: ٤.

(٢) الأنعام: ١٠١.

ادعوا وجود تناقض بين نصين شريفين بينهما تطابق من حيث المعنى. وهذا أمر ليس بمستغرب في هؤلاء. فقالوا: إن قوله تعالى: ﴿لَوْ اَرَادَ اللهُ اَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً...﴾ فيه (لو أراد) ولكنه قال ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ اَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ...﴾ أي نفى أن يكون له ولد. قلنا: إن الآية الأولى تحتج على مشركي مكة لأنهم قالوا: ان الله اتخذ ولداً، وقال بعضهم: الملائكة بنات الله. وجعلوا بينه وبين الجِنّة نسباً، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزيرُ ابن الله. والآية الكريمة تنفي أن يكون له ولد لا حقيقي صلبي ولا بالتبني، لأن جميع الخلق هم عيال الله. ولو أراد الله ـ على سبيل التنزّل ـ أن يتخذ ولداً ﴿...لاَّصطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ...﴾ أي لاختار مايليق بشأنه مما يخلق هو. ولكن هيهات (سبحانه) كلمة تنزيهٌ له تعالى عن اتخاذ الولد. وقالت ﴿...هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ بيان لاستحالة تحقق اتخاذ الولد واصطفائه مما يخلق، لأنه الواحد المتعالي الذي لايشاركه في ذاته شيء. والبنوّة ـ حقيقيةً كانت أو بالتبني ـ تعتبر مشاركةً للوالد، لانفصال الولد عن أبيه إذا كانت حقيقية، ومشاركته في الملك والسؤدد والشرف والتقدم إذا كانت بالتبني. وكلاهما ممتنع عليه سبحانه. أما الآية الثانية فهي إيضاحات لغرض تأكيد التوحيد للذات المقدسة، ونفي الشريك وما ألصق بالله من قبل المشركين. فقالت: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ...﴾ إشارة الى أنه سبحانه خلق هذه السماوات وهذه الأرض الواسعة، ولم يحتج الى شريك أو ابن يساعده أو زوجة تعينه، بل هو مستغنٍ عن الحاجات الجسمية، لأنه ليس بجسم. فالذي يحتاج الولد يحتاج الزوجة أيضاً. ولما لم يتخذ زوجة لم

يكن له ولد أيضاً. لعدم حاجته إليهما معاً. ففي الآية الأولى نفي واضح، وفي الآية الثانية نفي صريح فأين التناقض؟

الشبهة الخامسة بعد المائة:

«إذا كان إبراهيم مسلماً كانت سلالته بالوراثة والنسب من المسلمين وما كان هناك من يُسمَون باليهود الوارد ذكرهم عديداً في القرآن. وهذا يخالف سورة الزمر: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] كما يخالف ما في سورة القصص: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[2]».

ردها:

الوراثة لغة: قال الراغب: الوراثة والإرث: انتقال قُنيةٍ إليك عن غيرك من غير عقد. وقوله: ﴿...وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ...﴾ فإنه يعني وراثة النبوة والعلم والفضيلة دون المال انتهى. وفيه نظر. وقال أبو زيد عن اللسان: ورِثَ فلان أباه يَرِثه وراثةً وميراثاً ومَيراثاً.

في هذه الشبهة كرّروا بعض ماجاء في الشبهة (١٠٢) وقالوا: إذا كان إبراهيم مسلماً كانت ذريته مسلمين أيضاً بالتبعية، وماكان هناك يهود بل

---

(١) الزمر: ١٢.

(٢) القصص: ٥٢ ـ ٥٣.

الكل مسلمون. فكيف ورد اسم اليهود في القرآن مراراً؟ وقالوا شيئا آخر سنتطرق إليه.

قلنا فيما سبق: إن اليهودية والمسيحية مرحلتان من مراحل التكامل الإسلامي. والإسلام هو الخط العام الذي سار عليه الأنبياء والرسل حتى تكامل في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. قال تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾[1] فاليهودية والمسيحية ـ قبل التحريف ـ ليستا ديانتين مستقلتين عن الإسلام، ولاهما غصنان ناشزان عن شجرة الإسلام الكبرى، ولذا لو سألنا أي إنسان موحّد منصف: هل كان موسى مسلماً، هل كان عيسى مسلماً؟ فماذا سيكون الجواب؟ إذا كان بالنفي. فقد دلّ على كفر نبيين من الأنبياء أولي العزم. وهذا محال. وإن كان الجواب بالإثبات فهو المطلوب. إذن: كل الأنبياء مسلمون، ودعَوا أممهم الى توحيد الله ـ جل شأنه ـ والتوحيد هو العمود الفقْري للإسلام. ولم يشذّ عن هذا المسار نبي من الأنبياء على مرّ التاريخ. أما مصطلح «اليهودية» فقد جاء ـ كما قال الراغب ـ من قولهم: (هُدنا إليك) في قوله تعالى ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيكَ...﴾[2]. ومعنى هدنا: رجعنا إليك واستغفرنا عما فعل السفهاء منا. وكان اسمَ مدح، ثم صار بعد نسخ شريعتهم ملازماً لهم. وإن لم يكن فيه معنى المدح. وقال بعض المفسرين: إن علة تسمية هؤلاء القوم بـ«اليهود» لا يرتبط مطلقاً بكلمة (هدنا) بل لفظة يهود

(١) المائدة: ٣.

(٢) الأعراف: ١٥٦.

متخذة أصلاً من مادة «يهوذا» وهو اسم أحد أبناء يعقوب، ثم أبدلت الذال الى دال وصارت يهودا. فأطلق على المنسوب إليه: يهودي. وعلى أي حال لم يدل اسم اليهود على دين غير الإسلام، بل هم ينتمون الى الخط العام وهو الاسلام.

أما قولهم وهذا مخالف لقوله ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقد أوضحناه في رد الشبهة (١٠٢). أما سورة القصص: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ...﴾ فإن الضمائر في (يتلى) وفي (به) و(إنه) كلها تعود على القرآن الكريم والألف واللام في (الحق) عهدية. والمعنى: وإذا يُقرأ القرآن عليهم قالوا: آمنا به إنه الحق الذي نعهده من ربنا. وإنا قد عرفناه من قبل. وقوله ﴿...إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[1] أي إنا كنا من قبل نزول القرآن مسلمين ومؤمنين بالدين الذي يدعو إليه. وهذا تأكيد لقولنا: إن الإسلام جادة الأنبياء عموماً. وهذه ثلة من مؤمني اليهود يقولون: إنا كنا مسلمين ونؤمن بهذا القرآن لما ورد في التوراة من الإشارة إليه، والى النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقد أثنى الله عليهم لصراحتهم وعدم انحرافهم.

---

(١) القصص: ٥٣.

الشبهة السادسة بعد المائة:

«قال في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عظَاماً فَكَسَوْنَا الْعظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الْخَالقينَ﴾[1] وهذا مناقض لقوله في سورة الزمر: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[2] فهنا خالق واحد».

ردها:

العَلَقَة لغة: قال في اللسان: والعلق: الدم، ماكان، وقيل: هو الدم الجامد الغليظ، وقيل: الجامد قبل أن ييبس، وقيل: هو ما اشتدت حمرته، والقطعة منه علقة. وقال الراغب: والعلق: الدم الجامد ومنه: العَلَقَة التي يكون منها الولد.

المُضْغَة لغة: قال في اللسان: والمضغة: القطعة من اللحم لمكان المضغ أيضاً ... وقال خالد بن جنبة: المضغة من اللحم بقدر ما يُلقي الإنسان في فيه.

قالوا هنا: إن قوله ﴿...فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الْخَالقينَ﴾ يوحي بأن هناك أكثر من خالق. في حين أنه قال: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ ولم يدَعْ شيئاً يخلقه غيرُه. فماذا بقي للخالقين الآخرين الذين أشار إليهم سابقاً؟ وجوابه:

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) الزمر: ٦٢.

إن وصف الله نفسه بـ(أحسن الخالقين) يدل على عدم اختصاص الخلق به؛ لأن الخلق هو التقدير والصنع وقياس الشيء من الشيء ولا يختص به تعالى. وقد نسب هو ـ عزوجل ـ الخلق الى غيره فقال: ﴿...وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...﴾[1]. ولكنه تعالى أصل الخلق ومنه يتعلم الانسان خلقَ بعض الأشياء، ويستعمل المواد التي خلقها الله. وبإذن الله يصنع مايصنعه، وبقدرة الله تعالى يعمل ما يعمله. فليس الخالقون الآخرون مستقلين في الخلق من دون الله. فالذي يصنع سيفاً إنما يستعمل الحديد الذي خلقه الله وأنزله، والذي يصنع ثوباً إنما يستعمل الصوف أو القطن مثلاً اللذين خلقهما الله تعالى. وصانع السيف يعتبر خالقاً لهذا السيف، ولكن من أين صنعه؟ وهكذا الخياط والفلاح وكل صانع وخالق.

ويبقى الله أحسن الخالقين، لأنهم يجدون نقصاً فيما يخلقونه، وعليهم سدُّ هذا النقص وتداركه. ومايصنعه الله نجده كاملاً لانقص فيه.

وبالنتيجة يكون الله مصدر الخلق وأحسن الخالقين، ويبقى قوله نافذاً وهو ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ لأنه الأصل والمصدر. فأين التناقض؟

---

(١) المائدة: ١١٠.

الشبهة السابعة بعد المائة:

«قال في سورة العنكبوت: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1] بينما تنص سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2]».

ردها:

أثار عجبَهم واستنكارهم نصُّ الآية الأولى من الشبهة وقد تناولت أربع نعم مَنّ الله بها على إبراهيم عليه السلام.

أ ـ الأبناء الصالحون مثل إسحاق ويعقوب وهما نبيان كبيران أوقدا شعلة التوحيد مثل إبراهيم.

ب ـ استمرار النبوة في ذريته حتى نبوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

جـ ـ آتى اللهُ إبراهيمَ أجره في الدنيا وهو مجموعة أمور منها: الذكر الطيب، ولسان الصدق، والثناء بين جميع الأمم.

(١) العنكبوت: ٢٧.

(٢) النحل: ٣٦.

د ـ ﴿...وَإِنَّهُ فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهذه المواهب الأربع مجموعة كاملة من المفاخر. إذن: ماأشارت إليه الآية هو: أن النبوة مستمرة في النسل الصالح لإبراهيم عليه السلام، ولا أعتقد أن فيها شيئا يدعو الى الدهشة والاستغراب.

أما الآية الثانية: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً اَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطاغُوتَ...﴾ فقد جاءت بعد آيات ذكرت وظيفة الأنبياء وهي (البلاغ المبين) فأشارت باختصار جامع الى دعوة الأنبياء السابقين بقولها: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً...﴾ والأمة من الأم بمعنى الوالدة. ويُطلق على كل جماعة تربطها روابطُ معينة. أن يقولوا للناس ﴿...اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ...﴾ فأساس دعوة الأنبياء دعوة الى التوحيد ومحاربة الطاغوت. وذلك لأن التوحيد لايستقيم له عود مع وجود الطواغيت بين المجتمعات البشرية، ولايمكن إجراء أي مشروع إصلاحي حينئذ. ويُطلق الطاغوت على كل مايكون سبباً لتجاوز الحد. لهذا يطلق على الشيطان والحاكم المستبد وغيرهما. وملخص ما اقتطعناه من الآية الشريفة هو: أن السنة الإلهية اقتضت إرسال نبي أو رسول الى كل تجمع بشري لغرض هدايته وإخراجه من بحر الظلمات الى فضاء النور ليرقى مدارج الكمال.

الشبهة الثامنة بعد المائة:

«موضوع تبنّي الأولاد جاء في سورة الأحزاب: ﴿...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1] بينما تنص آية أخرى ﴿...لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾[2] يقول المسلمون إن هذا كان سائداً في ذلك الزمان. ويمكن الرد عليهم بأن القرآن كتب فقط لؤلئك في تلك الحقبة ولايصلح لكل زمان».

ردها:

الدعيّ لغة: قال ابن منظور: الدعيّ: المنسوب الى غير أبيه. وقال بن الأعرابي: المُدّعى: المتّهم في نسبه.

الحرج لغة: قال ابن منظور: الحرج في اللغة: الضيق ومعناه أنه ضيّق جداً. وقال الراغب: أصل الحرج والحَراج: مجتمع الشيئين، وتُصُوِّرَ منه ضيقُ مابينهما، فقيل للضيق وللإثم: حرج.

---

(١) الأحزاب: ٤ ـ ٥.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

في هذه الشبهة جاؤوا بخدعة جديدة وهي: إن القرآن كُتب لأهل زمال نزوله، ولايصلح لكل زمان ومكان. ولكن قدموا لها بقضية التبنّي. فنقول:

التبنّي هو: إلحاق المولود بشخصٍ هو من غيره. فيكون كالابن الصُلبي من حيث النسب والتوارث والحقوق. كان هذا في الجاهلية. ولما جاء الاسلام حرّم التبنّي بهذا الشكل الذي كان عليه. فقال: ﴿...**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ**...﴾ أي إن مجرد قول المتبنيّ: هذا ابني. لايغير من الحقيقة شيئاً. واللازم نسبته الى أبيه الذي ولده. فإن لم يُعلم من هو كان أخاً في الدين، أو مولىً يُنعِم عليه المتبنّي. وقد أبطل الرسول الأعظم ذلك بالزواج من زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة بعد أن طلقها. وزيد كان ابناً للنبي بالتبنّي، وأنهى موضوع التبنّي وآثاره التي كانت سائدة في زمن الجاهلية. وقد بينّا ذلك سابقاً. ولهذا الغرض أمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله بالزواج من زينب ﴿...**لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً**...﴾ أي إذا طلق الدعيّ زوجته جاز للمتبنّي الزواج منها من دون حرج.

ثم قالوا: لما كان التبنّي سائداً في الجاهلية. كانت هذه الأحكام التي جاء بها القرآن خاصة بذلك الزمن، أما الآن فلا تصلح لزماننا هذا. وهذه دعوى باطلة تجعل القرآن الكريم لا أثر له في هذا الزمان؛ لأنه ـ كما قالوا ـ (كُتب) وهي عبارة توحي الى تهمة تأليف القرآن الى أهل زمان نزوله. فلا قابلية له على مسايرة الأزمنة اللاحقة. وهذه خدعة لايجوز أن تنطلي على

عقول شبابنا المسلم. فالقرآن لم يؤلفه أحد، وإنما هو وحي الله نزل به جبرئيل عليه السلام على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين: مرة دُفعةً واحدة وهي في ليلة القدر، ومرة نزل آيات أو سورة كاملة حسب سبب النزول والمناسبة على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة، ثم إن دعوى أن القرآن لايصلح لكل زمان مرفوضة رفضاً قاطعاً. كيف يقولون ذلك والقرآن خاتم الكتب السماوية وأكملها وأتمها. ونقيض دعواهم يفهم من الضمان الإلهي ببقاء القرآن الى يوم القيامة **﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[(١)] ولايفهم من لفظ (حافظون) حقبة معينة من الزمن، بل هو لفظ مطلق. وهذا الضمان لم يَحظَ به أيٌّ كتاب سماوي آخر، لعلم الله أن دور الكتب السابقة محدود وينتهي العمل به عند ما ينزل كتاب غيره. أما القرآن الكريم فلا كتاب بعده. وقد اشتمل على كل ما تحتاج إليه البشرية من الأحكام والارشاد والهداية والوعظ.

الشبهة التاسعة بعد المائة:

«قالوا: لمن أُرسل شعيب؟ فحسب سورة هود: **﴿وَإِلَى مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ اَرَاكُم بِخَيرٍ وَإِنِّيَ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾**[(٢)] والى أصحاب الآيكة حسب سورة الشعراء: **﴿كَذَّبَ اَصحَابُ**

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) هود: ٨٤.

الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾[1] ولا يعلم أحد من هو شعيب أصلاً، وما هي مدين وما الأيكة؟ ويقول المسلمون: إنها شيء واحد. ومن الغريب وجود اسمين لشيء مجهول وغير محدد تأريخياً. لذا لايمكن القبول بذلك».

ردها:

مَدين لغة: قال في اللسان: ومَدْيَن: اسم أعجمي، وإن اشتققْتَه من العربية فالياء زائدة.

وقد يكون مَفْعَلاً وهو أظهر. ومَدْيَن: اسم قرية شعيب عليه السلام والنسب إليها مَدْيَني.

الأيكة لغة: قال في اللسان: الأيكة: الشجر الكثيف الملتفّ. وقيل: الغيضة تُنْبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر، وخص بعضُهم به منبت الأثل ومجتمعه.

لقد أنكروا هنا وجود نبي اسمه (شعيب) كما أنكروا قومه الذين بُعث إليهم، ومحَوا اسم مدينته من بين البلدان، وقالو: لا يعقل وجود اسمين لشيء واحد مجهول في التاريخ. ولبيان ما نفوه نقول: النبي شعيب عليه السلام هو ثالث الأنبياء من العرب الذين ذُكرت أسماؤهم في القرآن الكريم وهم: هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرت جوانب من قصته في سور كالأعراف، وهود، والشعراء، والقصص، والعنكبوت. وكان شعيب عليه السلام من أهل مَدين ـ مدينة في طريق

---

(١) الشعراء: ١٧٦ ـ ١٧٧.

الشام من الجزيرة ـ وكان معاصراً لنبي الله موسى عليه السلام وقد تزوج موسى إحدى ابنتيه على أن يعمل عنده ثماني حجج أي سنوات، فخدمه عشر سنين، ثم ودّعه راجعاً الى أهله في مصر. وكان قوم شعيب يعبدون الأصنام. وبعد الرخاء والرفاه شاع بينهم الفساد والتطفيف بنقص الميزان والمكيال، فأرسل الله شعيباً لينهاهم عن الشرك بالله. عن طريق التبشير والإنذار، وذكّرهم بما أصاب قوم نوح وقوم هود وصالح وقوم لوط. وبالغ في وعظهم، فلم يزدهم إلا طغياناً وكفراً، ولم يؤمن به إلا القليل. وأخذوا بالسخرية منه، وإيذائه، وهددوه بالرجم إن لم يكفَّ عن دعوته.

ومن استهزائهم به قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1] هنا دعا اللهَ بالفتح فأخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. ونجّاه الله ومن معه. واسم شعيب في التوراة: «رعوئيل كاهن مديان»الإصحاح الثاني من سفر الخروج. وقد ذكر أغلبُ المفسرين أن عذابهم كان هكذا: حرٌّ شديد محرق حلَّ في أرضهم سبعة أيام، ثم تحرك نسيم عليل فخرجوا من بيوتهم واستظلوا تحت السحاب من شدة الحرّ. وفجأة برقت من بين السحاب صاعقة بصوت مذهل أحرقتهم جميعاً إلا المؤمنين.

ثم قالوا: كيف يكون اسمان لشيء واحد مجهول؟ نقول وهل بعد الذي بيناه شيء مجهول؟ إلا أن الذي لم يطلع على حياة الشعوب وحركة الأنبياء يبقى كل شيء عنده مجهولاً.

---

(١) الشعراء: ١٨٧.

الشبهة العاشرة بعد المائة:

«تكرر القول في القرآن بأن الله عليم، ولكن يبدو أنه لم يكن يعرف نهاية حياة محمد. ربما لكثرة مغازيه. فقد ذكرت سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1]».

ردها:

الانقلاب لغة: قال في اللسان: الانقلاب الى الله عزوجل: المصير إليه، والتحوّل. وقال: الانقلاب: الرجوع مطلقاً. وقال الراغب: الانقلاب: الانصراف. ﴿...انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ...﴾.

العَقِبُ لغة: قال في اللسان: عَقِبُ كل شيء: آخرُه. وجمع العَقِب والعَقْب: أعقاب، لايكسّر على غير ذلك. أي لا يجمع جمع تكسير. وقال الراغب: العقب: مؤخّر الرجل.

وقيل: عَقْب وجمعه: أعقاب... وانقلب على عقبيه، نحو رجع على حافرته.

قالوا تكرر في القرآن: أن الله حكيم عليم وماشابه ذلك. ولكن الله رغم ذلك الوصف له لايعرف كيفية نهاية حياة نبيه محمد صلى الله عليه

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

وآله ولذا قال: ﴿...اَفَإِن مَّاتَ اَوْ قُتِلَ...﴾ وهذا لم يحدد بالضبط أنه يموت أو يقتل. وللإجابة نقول باختصار:

إن بعض الصحابة وإن كان يُظهر الايمان ويعمل حسب عقيدة الإسلام إلا أنه يُبطن شيئا مخالفاً لهذه العقيدة. وذلك الشيء هو أن الرسول لايُقتل وإنما يموت موتاً طبيعياً. ولما كانت معركة أحد، وأشاع العدو أن محمداً قد قتل، شكّوا في نبوته وتمنّوا الأمان من أبي سفيان أو عبد الله بن أبي سلول، بل أسرع أكثرهم في الخروج من ميدان القتال في الوقت الذي كانت أقلية من خيرة الصحابة تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله كعلي عليه السلام وأبي دُجانة الأنصاري وآخرين. وفي هذه الحال نزلت الآية الشريفة مورد البحث. للأهداف التالية.

أ ـ لتوبيخ هؤلاء الذين تأثروا بالشائعة، وغيروا موقفهم، واعتقدوا بشيء لم يطرحه الفكرُ الاسلامي أبداً وهو: أن النبي يموت ولا يقتل.

ب ـ حاربت الآية فكرة عبادة الأشخاص. ولو فرضنا جدلاً أن النبي قُتل في تلك المعركة ونال الشهادة، فهل يعني ذلك أن ينتهي كل شيء ويسقط وجوب الجهاد عن كاهل المسلمين؟ أم ان هذه الفريضة يستمر تكليفهم بها وعليهم أن يواصلوا القتال؟

جـ ـ دلت الآية على أن المبادئ لاتموت بموت الأشخاص. وأن الاسلام لاينتهي بموت النبي أو استشهاده، بل يبقى هذا الدين حتى يظهر على كل الأديان. فهو الدين الخالد.

د ـ حذرت الآية من الانقلاب على الأعقاب وذلك كناية عن الردة

عن المبادئ الحقة التي تربّوا عليها، ومثّلت للانقلاب بالصورة الأصعب وهي الانقلاب على العقب أي الى جهة الخلف وهو أخطر وأشد من الأنقلاب الى جهة الأمام. إشارة الى أن ذلك تراجع وارتداد نهايته الخسران المبين.

هـ ـ ثم إن هذا الانقلاب مضر بكم أنتم دون الله سبحانه؛ لأنه يعني العودة الى الكفر والوثنية والتوقف عن صعود سلّم الكمال، كما يعني فقدان الرضا الإلهي عنكم الذي حققتموه في معركة بدر الكبرى، والتفافكم حول رسول الله صلى الله عليه وآله وإيمانكم به. كل هذه الجهود ستضيع بانقلاب لامسوّغ له.

و ـ نفهم مما تقدم: أن الله ـ عزوجل ـ ليس لايعرف مصير ونهاية نبيه صلى الله عليه وآله ولذلك بقي متردداً بين الموت والقتل، بل الآية فيها دلالة واضحة على سببين رئيسين لخروج الروح وهما: الموت أو القتل، وسواء أمات النبي موتاً طبيعياً، أم قتل فاستشهد لاينبغي للمسلم هدمُ عقيدته ومحو إيمانه، وإنما تبقى المسيرة ماضية بلا توقف. ولهذا استخلف صلى الله عليه وآله خلفاءه من بعده، لكي لاتخلو الأرض من حجة لله على عباده. وقولهم: «الله لايعرف». كفر صُراح.

الشبهة الحادية عشرة بعد المائة:

«قال في سورة الحجر: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[(١)] ولكنه قال في سورة ق: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[(٢)]».

ردها:

مدَدَ لغة: قال في اللسان: ومَدّه مداداً وأمَدَّه: أعطاه... مَدَدْتُ الشيء مدّاً ومداداً وهو ما يكثر به ويزاد. وقال الراغب: أصل المدّ: الجرّ، ومنه: المُدة للوقت الممتد.

رواسي لغة: قال في اللسان: رسا الشيء يرسو رسوّاً وأرسى: ثبت. ورسا الجبل يرسو إذا ثبت أصله في الأرض. وجبال راسيات. والرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ. وقال الراغب: يقال: رسا الشيء يرسو: ثبت. وأرساه غيره قال تعالى: (رواسي شامخات) أي جبالاً ثابتات.

إن هؤلاء ـ كما يبدوا ـ لايحسنون مطالعة الجرائد والمجلات، فكيف يفهمون كلام الله تعالى ويسجلون عليه سلسلة من التناقضات المكذوبة الوهمية التي لها أول وليس لها آخر؟ ونحن نطلب من القارئ الكريم البقاء معنا للاطلاع على هذا التناقض العجيب الذي اكتشفوه. فقد أوردوا قوله

---

(١) الحجر: ١٩.

(٢) ق: ٧.

تعالى ﴿...مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ وقالوا: إنه يناقض قوله في سورة ق/٧ ﴿...مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ فلنتابع النصين الشريفين:

مدّ الأرض: بسطها ووسعها لتصلح للزراعة والسكن إذ لو كانت مسنّنة. لما أمكن العيش عليها. وألقينا فيها جبالاً رواسي. أي ثابتة بوجه العواصف. ومن فائدتها تثبيت الأرض عن المَيْد. كما تعمل على تنظيم حركة الرياح. وهي المكان المناسب لتخزين المياه على صورة ثلوج أو عيون. كذلك هي منابع غنية بالمعادن والفلزات وغيرها. ثم ذكرت الآيتان عاملاً حيوياً في حياة الانسان وهو النبات: ﴿...وَأَنبَتْنَا فِيهَا...﴾ مئات الآلاف من النباتات تتوزع على سطح الأرض. وكل صنف منها له خواصه التي تميزه عن غيره، وتنطق بحكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ اللامحدودة. ﴿...مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ والموزون من مادة (وزن) وهي معرفة قدر الشيء. وفيه إشارة الى الحساب الدقيق والنظام العجيب والتناسق في التقدير في خلق هذه النباتات المختلفة. والدقة بادية فيها من البذرة الى الثمرة وكل شيء فيها محسوب ومعلوم. هذا إذا أخذنا كلمة (أنبتنا) بمعناها الخاص بالنباتات المنتشرة على القشرة الأرضية. أما إذا أخذناها بمعناها الأعم من ذلك لشملت إيجاد المعادن المختلفة؛ لأن كلمة (إنبات) تستعمل في اللغة العربية للمعادن أيضاً. قال الإمام الباقر عليه السلام في جواب سؤال عن معنى هذه الآية: «فإن الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال الذهب والفضة والجواهر والصفر والنحاس والرصاص والكحل والزرنيخ. وأشباه هذه

لايباع إلا وزناً»[1]. والذي يجب التنبه له قوله: ﴿...مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ ولم يقل من كل نبات موزون لأن (الشيء) أعم من النبات فيشمل المعادن أيضاً وغيرها.

أما الآية الثانية فقالت: ﴿...مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ وفيه إشارة الى مسألة الزوجية في عالم النباتات التي لم تكن معروفة حين نزول الآية محل البحث. وبعد قرون من الزمن استطاع العلم أن يميط اللثام عنها. فبالإضافة الى كون النباتات والمعادن خلقت بصورة موزونة ومحسوبة فإنها أيضاً بهيجة مثيرة للدهشة والغرابة، وكاشفة عن دقة الصنع والإبداع. فإن الروابي الخضرة والجبال والمزارع والحدائق والزهور بأنواعها تبهج الإنسان من أول نظرة، فيطيل النظر إليها بإعجاب وتأمل. ثم إن الدقة تجتمع مع الجمال، كما تجتمع البهجة مع الوزن. فأين التناقض؟

الشبهة الثانية عشرة بعد المائة:

«قال في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[2] والاشارة هنا الى القحط الذي أصاب مصر سبع سنين متوالية أيام يوسف فبشرهم بالخصب بعد الجدب، ويقول إنه في عام الخصب يمطرون. فكأن خصب مصر ناتج عن المطر. وهذا خلاف الواقع.

(١) تفسير نور الثقلين: ٣.

(٢) يوسف: ٤٩.

فالمطر قلما ينزل في مصر. ولادخل له في خصبها الناتج عن فيضان النيل. فكيف ينسب خصب مصر للمطر؟».

ردها:

الغوث لغة: قال ابن منظور: وحكى ابن الأعرابي: أجاب الله غياثَه. والغُواث بالضم: الإغاثة وغوّث الرجل، واستغاث: صاح واغوثاه. والاسم الغوث. وقال الراغب: والغوث يقال في النصرة، والغيث في المطر.

اعتصر لغة: قال في اللسان: وقال أبو عبيد: المعتصر الذي يصيب من الشيء يأخذ منه ويحبسه. قال ومنه قوله تعالى: ﴿...**فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ وقال الراغب: العصر: مصدر عصرت، والمعصور: الشيء العصير. والعُصارة: نُفاية مايعصَر. قال تعالى (وفيه يعصرون). وقرئ: (يُعصَرون) أي يُمطَرون.

هذه شبهة أثارها المستشرقون قبل قرن من الزمن. وهي (فيه يَعصِرون) وقالوا مافيها مناقض لواقع الحال في مصر إذ أن الزراعة فيها لاتعتمد على الأمطار وإنما على فيضان النيل كل عام. وجوابها:

إن هذه الآية الكريمة جاءت ضمن آيات فسرت رؤيا ملك مصر. والمفسّر سجين قابع في السجن اسمه (يوسف) حيث علّمه الله تأويل الرؤيا وتعبيرها. وكان ذلك معجزة من معجزاته. إذ شاع في ذلك العصر علم تعبير الرؤيا. ومع ذلك لم يفسر رؤيا فرعون مصر إلا ذلك السجين. وكانت إنباءاً بالغيب وكشفاً عما سيصيب مصر من القحط وقلة الثمرات ونقص الغذاء ﴿**ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ**...﴾ أي بعد المرور بالأزمة

الاقتصادية يُغيث الله أهلَ مصر بالغيث وهو المطر. والمطر على مر التاريخ عامل أساس في رفع المستوى الاقتصادي أو انخفاضه. ففي زمن نوح عليه السلام أصاب أمته جدبٌ وقلة قوت وقلة مال. فطلب من قومه أن يستغفروا ربهم ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غفاراً﴾ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾[1] فأهم عامل للانتعاش الاقتصادي في الآية ﴿يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ لأن تلك المجتمعات بدائية تعتمد على الزراعة، والزراعة قوامها الماء. ويوافق هذا المعنى ـ نزول المطر ـ قوله تعالى: (وفيه يعصرون) أي في هذا العام الذي ينزل المطر فيه بقدرة الله تخضرّ الأرضُ ويتوافر الغذاء ويشبع الحيوان والإنسان. سواء أكان ذلك بحلب الأنعام أم بعصر الثمار.

أما التناقض القديم الجديد. وهو أن بلاد مصر لاتعتمد على المطر، بل على فيضان النيل فهو مردود؛ لأن فيضان النيل نفسه لايحصل من دون سقوط الأمطار الغزيرة على بحيرات منابعه في أوغندا وروواندا وأثيوبيا. وإلا من أين يستمد النيل مياهه. وكيف يفيض كل عام. أليس بعد سقوط الأمطار بكثافة على تلك المناطق؟ ثم يفيض بفروعه وجداوله ليسقي أرض مصر. فكانت هذه بشارة لأهل مصر من يوسف عليه السلام تلقاها بالوحي من الله عالم الغيب والشهادة.

---

(١) نوح: ١٠ ـ ١١.

الشبهة الثالثة عشرة بعد المائة:

«قال في سورة طه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ من بَعدكَ وَاَضَلَّهُمُ السَّامريُّ﴾ ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إلَي قَوْمه غَضْبَانَ اَسفاً قَالَ يَا قَوْمِ اَلَمْ يَعدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعداً حَسَناً اَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهدُ اَمْ اَردتُّمْ اَن يَحلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَاَخْلَفْتُم مَّوْعدي﴾ ﴿قَالُوا مَا اَخْلَفْنَا مَوْعدَكَ بمَلْكنَا وَلَكنَّا حُمِّلْنَا اَوْزَاراً مِّن زينَة الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلكَ اَلْقَي السَّامريُّ﴾ ﴿فَاَخْرَجَ لَهُمْ عجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إلَهُكُمْ وَإلَهُ مُوسَى فَنَسيَ﴾[1] ونحن نسأل: السامرة مدينة في فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر وسافروا في سيناء فعمل لهم هارونُ العجلَ الذهبي حسب طلبهم. فكيف نتخيل سامرياً يصنع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود؟».

ردها:

فَتَنَ لغة: قال في اللسان: قال الأزهري وغيره: جماعُ معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار. وأصلها مأخوذ من قولك فتنتُ الفضة والذهبَ إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد. وقال الراغب: وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الانسان من شدة ورخاء. وهما في الشدة أظهر معنىً وأكثر استعمالاً.

---

(١) طه: ٨٥ ـ ٨٨

السامرة لغة: قال ابن منظور: والسامرة: قبيلة من قبائل بني اسرائيل. قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم. إليهم يُنسب السامري الذي عبد العجل الذي سُمِعَ له خُوار. قال الزجّاج وهم الى هذه الغاية بالشام يعرفون بالسامريين.

كما ابتلي موسى عليه السلام ببني إسرائيل، ابتلي المسلمون والعرب منهم خاصة بإسرائيل. إنها مشكلة العالم العربي والإسلامي. فساعد الله قلوب أنبياء بني إسرائيل وأخصّ منهم بالذكر موسى عليه السلام. ولم يسلم منهم حتى رسول الله صلى الله عليه وآله ومازالوا مصدر قلق للمسلمين عموماً. ولم يسلم منهم نبيٌّ مرسل أو كتاب منزل. وفي هذه الشبهة قالوا:

أ ـ إن القرآن نسَب السامري الى مدينة لم يكن لها وجود في ذلك الزمان.

ب ـ إن هارون هو الذي صنع العجل، لا السامري.

جـ ـ لم يكن للسامريين وجود في زمن صنع العجل.

لقد كذبوا على القرآن إذ قالوا إنه نسب السامري الى مدينة لم يكن لها وجود في حين أن السامري منسوب الى قبيلة من قبائل بني إسرائيل - كما عرفت من التعريف ـ فياء النسبة لم تكن الى مدينة مثل بصري، بل الى قبيلة مثل: خزرجي وتميمي. وأما رمي هارون عليه السلام بصناعة العجل فتلك دعوى تحتاج الى دليل، ولما كانت (تناقضاتهم) أكاذيب ودجلاً فإن هذه الدعوى أكذوبة مثلها. وكان على هؤلاء إذا كانوا طلاب حقيقة أن لايُلقوا القول على عواهنه، وإلا لهان التراشق بالتناقضات والاتهامات بين الناس.

وقد مرّ بنا أن السامري كان من المنافقين في قوم موسى عليه السلام والمنافق ينتهز الفرصة ليفعل فعلته وقد فعلها رغم نهي هارون له، ولمن آمن به.

وفي الشبهة كذبة أخرى وهي: أن بني إسرائيل طلبوا من هارون أن يصنع لهم العجل. فإذا كان الكذب منهجاً لهؤلاء فإن حبل الكذب قصير وسوف يُفتضح الكاذب. ومن جهلهم بالتاريخ نفيُهم وجود سامريين في زمن موسى عليه السلام. إنهم كانوا قبيلة كبيرة من بني اسرائيل. وربما لتجمّعهم فيما بعد في مكان واحد سميت المنطقة باسمهم. وإسرائيل اليوم تقسّم المنطقة المحتلة الى قسمين: يهوذا والسامرة.

الشبهة الرابعة عشرة بعد المائة:

«جاء في سورة نوح: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً﴾[1] فكيف يدعو نوح ربه أن يزيد اللهُ الناسَ ضلالاً؟».

ردها:

إن مهمة الأنبياء جميعاً هي هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات الى النور؛ ليدرجوا مدارج الكمال الذي فيه سعادة الدارين. وهذا من الثوابت في حركة الأنبياء التي لامحيص عنها. وقد قاموا كلهم بهذه المهمة من دون تقصير، وبذل بعضهم حياته، وبعضهم تعرض الى التهجير والهجرة القاسية

(١) نوح: ٢٤.

وعانى معاناة شديدة من المعاندين وذوي المكاسب الدنيوية حرصاً منهم عليها، لأنهم جمعوها من الحرام والظلم واستضعاف البسطاء من الناس.

ودعوة الأنبياء ضد هذا المنهج المنحرف واضحة. ونبي الله نوح عليه السلام كان في طليعة الأنبياء الذين قارعوا الطغيان وتجاهُلَ القيم وانعدامَ التقوى والركونَ الى الباطل، إلا أن قومه كانوا منغمسين في ملذات الدنيا بعيدين عن الله غاية البعد. وبرغم الأمثلة التي ساقها نوح عليه السلام الى قومه، لإلفات نظرهم الى ما يحيط بهم من النعم الكثيرة، كانوا يواجهونه بالصدود والسخرية، وبخاصة منهم رؤساء قومه المتنفذين في مجتمعه. وعندما رأى هذا النبي المجاهد الصابر المتعب والمحاط بالمشكلات عنادَ قومه رغم العمل التبليغي الذي استمر مئات السنين، أن عمله لم يؤثر فيهم ولم يزدهم إلا فساداً وانحرافاً، وأن جهوده المضنية لم تثمر إلا النزر اليسير، توجّه الى الله يشكو قومه بعد تفصيل محاولات هدايتهم التي لم تنفع، وتفاصيل دعوته التي لم تكسب كل مجتمعه:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلاَّ فِرَاراً﴾ ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ...﴾[1]. أنظر أخي القاريء الكريم معاناة شيخ الأنبياء مع قومه، وعدم استجابتهم له ويأسه من هدايتهم بعد عدة إنذارات بحلول العذاب وقربه منهم، ولم ينفع ذلك أو يؤثر فيهم. هنا دعا ربه على الظالمين بمزيد من الضلال. والمراد الضلال مجازاةً على كفرهم، وليس الضلال الابتدائي أي: دعا عليهم ليجازيهم ربُهم بكفرهم

---

(١) نوح: ٥ ـ ٧.

وفسقهم فجاء الطوفان. وهنا زاد نوح دعاءه ﴿...رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الاَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ إذن: لامعنى لسؤالهم: كيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالاً؟ وقد اتضح أيُّ ناسٍ هم. إنهم مجموعة من الظالمين الطغاة المتسلطين على النعم وعلى الضعفاء. بحيث أجبروهم على ملازمة عبادة الأصنام، والصدود عن دعوة نوح عليه السلام وكانوا متكبرين حتى ساقهم تكبرُهم الى الاستخفاف بنوح. ولما كانوا كذلك يئس من هدايتهم فدعا عليهم. فما وجه الغرابة حينئذٍ؟

الشبهة الخامسة عشرة بعد المائة:

«جاء في سورة يونس: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1] وجاء في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً اَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِى الاَرْضِ فَانظُرُواْ كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ اَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً

---

(١) يونس: ٤٧.

(٢) النحل: ٣٦.

لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١] تقول هذه الآيات: إن الله أرسل في كل أمة نبياً منها وإليها. ويقول الكتاب المقدس: إن الأنبياء والرسل هم من بني إسرائيل إليهم والى كل العالم. فإذا صدقت أقوال القرآن، فكيف لم يخرج للأمم في أفريقيا وأوربا وأمريكا وأستراليا أنبياء منهم وإليهم؟ فلو كانت لهذه الأمم أنبياء منها واليها لجاز أن يكون للعرب رسول منهم».

ردها:

القضاء لغة: قال ابن منظور: القضاء: الحكم.. وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق... والقضاء: الحتم والأمر. وقَضَى أي حكم. وقال الراغب: القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً.

القسط لغة: قال ابن منظور: يقال: أقسطَ يُقسط فهو مُقسط إذا عدل. وقَسَطَ يَقسِطُ فهو قاسِط إذا جارَ.. القِسْط: الميزان. سمي به من القِسْط العدل. وقال الراغب: القِسْط: هو النصيب بالعدل كالنَصَف والنَصَفَة.

ذكرنا فيما سبق أن القرآن الكريم ليس كتاب تأريخ. ولو كان كذلك لتتبع حركة الشعوب وذكر أدوار شخصياتها، والتغيرات التي طالتها عبر مسيرة حياتها. ولكان عليه أن يذكر الصراعات البشرية منذ مطلع التأريخ الى فترة نزوله. وحينئذٍ لرأينا قرآناً مكوّناً من مائة مجلد أو أكثر. ولما لم يأخذ القرآنُ الكريم على عاتقه بيانَ ذلك كله، أشار الى أهم الحوادث التي كانت منعطفاً في التأريخ ولها علاقة بحركة الأنبياء عليهم

---

(١) النحل: ٨٩

السلام بأسلوب ممتع لايُملّ. لأن الذي أنزل القرآن عالم بأهمية الجانب التأريخي والرجوع الى الماضي للاستفادة من تجارب الشعوب وكيفية تعاطيها مع الأنبياء والرسل من حيث التصديق أو التكذيب، ثم بيان مانالها من الأجر والثواب لما صدقت، وما نالها من حساب وعقاب لما كذبت. وهذه مسألة مهمة جداً بالنسبة الى هذه الأمة باعتبارها آخر الأمم، ورسولها خاتم الرسل، وكتابها آخر الكتب. فلابد لنا من الاطلاع على حال الأمم السابقة لأخذ العبرة والموعظة وتجنّب العثرة التى عثرت بها الشعوب. وبعد هذه المقدمة نقول:

لقد صرّح القرآن الكريم أن الأنبياء الذين بُعثوا كثيرون، ولكن لم يَقصُصْ الجميعَ فيه، بل لم يُشر الى أكثرهم. قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾**[1]. والذين قصّهم الله تعالى في كتابه بالاسم بضعة وعشرون نبياً. هم: آدم ونوح وإدريس وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وهود وصالح واليسع وذو الكفل وإلياس ويونس وشعيب وموسى وهارون وداوود وسليمان وأيوب وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين. وهناك عدد من الأنبياء لم يَذكر أسماءهم، بل بالتوصيف والكناية ويدل عليه قوله تعالى: **﴿اَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ من بَنى إِسْرَائيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً...﴾**[2]. وقوله: **﴿اَوْ كَالَّذى**

---

(١) المؤمن: ٧٨.

(٢) البقرة: ٢٤٦.

مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا...﴾[١].

وهناك من المصرّح به ولم يتضح كونُه نبياً مثل ذي القرنين وعمران والد مريم وعزير. ولم يذكر القرآن للأنبياء عدداً يقفون عنده، ولكن أشهر المرويات بهذا الصدد رواية أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله: أن الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي. والمرسلين منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر. والمتداول بين الشيعة والسنة أن سادات الأنبياء هم أولو العزم وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾[٢]. وهم أصحاب شرايع وكتب.

من هذا نفهم أن الله تبارك وتعالى لم يترك أمة من الأمم من دون أن يبعث إليهم حجة عليهم ليهتدوا، وإذا ضلوا حاسبهم وعذبهم. قال تعالى: ﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٣]. وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً...﴾[٤] وهذا من رحمته ـ عزوجل ـ حيث لم يترك تجمعاً إلا وألقى عليه حجة ظاهرة وهي النبي الذي يبعثه إليهم. وتلك هي سنة الله في خلقه. أما نحن فقد ذكر لنا القرآنُ الكريم ما ينفعنا من قصص بعض الأنبياء. وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يذكرها في كتابه المجيد. ولو تعلقت

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) الاحقاف: ٣٥.

(٣) الاسراء: ١٥.

(٤) النحل: ٣٦.

المنفعة والمصلحة في ذكر عدد أكبر لذكره تعالى. وليس لدى أحد دليل على أن الله لم يرسل لأهل أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو أوربا أو استراليا نبياً يهديهم. وعدم الدليل على نفي الأرسال دليل على عدم صحة الدعوى.

الشبهة السادسة عشرة بعد المائة:

«يقول القرآن في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ولكن الله سبحانه لايحتاج الى عبادة الانسان والجن لأنه كامل في ذاته، وليس محتاجاً الى ملاك أو جن أو إنس لكي يعوض نقصاً في ذاته أو صفاته. أي ليس فيه نقص أكمله بخلق الأنسان. وكان يمكنه أن لا يخلق شيئاً من جميع خلائقه، ومع ذلك يبقى الإلهَ الكامل. فآيات القرآن التي توضح كمال الله كثيرة ولكنه يكون محتاجاً حسب آية الذاريات».

ردها:

الحاجة لغة: قال ابن منظور في لسان العرب: الحاجة والحائجة: المَأرَبة. قال الأزهري الحاجّ جمعُ الحاجة، وكذلك الحوائج والحاجات. والمُحوِج: المُعدِم من قوم محاويج.

وقال الراغب: الحاجة الى الشيء: الفقر إليه مع محبته. وجمعها: حاجّ وحاجات وحوائج.

في هذه الشبهة ادعوا حصول تناقض بين كون الله ـ عزوجل ـ كاملاً

(١) الذاريات: ٥٦.

لا نقص فيه. وهو أمر تسالم عليه العقلاء كلهم، ولا يمكن أن نتصور ربّاً ناقصاً لم يبلغ درجة الكمال، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ وقد تصور هؤلاء أن منافع العبادة تعود الى الله تعالى. وهذا خلاف الواقع وخلاف الفهم الإسلامي لهذه الآية الشريفة. وهم من بعدما أقرّوا بأن الله كامل لانقص فيه، نسبوا إليه فائدة العبادة، لينشأ تناقض مزعوم. وسنبيّن ذلك الوهم الذي وقعوا فيه:

إن كل فعل لاينتهي إلى غرضٍ لفاعله هو لغوٌ وسَفَهي. وعليه يكون لابد من غرض وراء خلق الجن والإنس. فالعبادة غرضٌ لخلق الإنسان، وكمالٌ عائد إليه. هي ومايترتب عليها من أثر كالرحمة والمغفرة وغيرهما. إذن: العبادة غرضه تعالى ومراده، ومحال أن يتخلف مراده عن إرادته.

ومعلوم أن هذا المعنى لايتعارض بعصيان البعض لله، لأن الألف واللام في الجن والإنس ليست للاستغراق. فلو لم يعبده قوم لم يبطل الغرض، ويكون كمن هيأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه، فحضروا ولم يأكله بعضُهم. فإعداد الطعام هنا لايُنسب الى السفه ويصح الغرض. لأن الأكل موقوف على اختيار الغير. فوجود العبادة بالجملة يحقق الغرض الأقصى من الخلقة.

ومن النفي في الآية: (وما خلقت) والقصر فيها: (إلا ليعبدون) نفهم أن لاعناية لله بمن لايعبده. مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ...﴾ والدعاء هنا عبادة أيضاً.

وقدم تعالى ذِكرَ الجن على الإنس مع أن الإنس أفضل منهم لسبق

خلق الجن على الإنس.

زد على ذلك: أن الآية الكريمة أجابت عن سؤال حيّر عقول الماديين أحقاباً من الزمن وهو: لماذا خلق الله الإنسان؟ فبيّنت الآية على وجازتها الهدف من الخلقة لهذا الكائن المعزز بالمواهب والملكات وهو: لكي يعبد ربه حق عبادته حتى يثيبه اللهُ ويُسكنه الجنة؛ لأنه خلقه للخلود في دار السلام ولم يخلقه ليتعلق بالدنيا ولذاتها، وينشغل عن عبادة خالقه بعبادة شهواته. وقد أشارت آيات عديدة الى أن الدنيا دار غرور وشقاء ومتاع الى حين، وهي التي تشتمل على اللهو واللعب والموصوفة بالزوال والفناء. في حين ذكرت آيات أخرى أن الآخرة دار القرار وفيها النعيم المقيم وهي الحياة الأبدية الباقية ببقاء خالقها. فليس من المعقول أن يخلق الله الانسان المكرّم عنده للّهو واللعب، ولاشيء يناسب الكرامة الإنسانية ويوافق الحكمة الإلهية إلا الحياة الباقية التي أعدها الله للذين يعبدونه مخلصين له الدين.

ورب قائل يقول: إن العبادة التي صارت غرضاً لخلق الجن والإنس تحتاج الى توضيح. قلنا: هي كل عمل يُرضي الله تعالى ويقرّب منه مع الخضوع والتذلل. وليس من شك في أن مرضاة الله هي السبيل الوحيد للفوز بالحياة الأبدية الطيبة. وعليه يكون قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ مرادفاً لقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ...﴾[١]. ومعناها: ليعملوا عملاً صالحاً يكون سبباً لمرضاة الله ودخول الجنة الخالدة.

---

(١) الاسراء: ٢٣.

والمحصلة مما تقدم من كلام: إن الله أراد من الجن والإنس أن يعبدوه لينالوا هم بعبادتهم تلك، منازل الآخرة الرفيعة والحياة السعيدة الخالية من الهم والغمّ والمشكلات المزعجات والظلم والاستضعاف وغير ذلك من أمور هي من خصائص دار الدنيا. ولما كانت منافع العبادة عائدة الى الجن والإنس أنفسهم لا الى الله تعالى. ثبت أن لا تناقض بين الآية وبين كون الله كاملاً لانقص فيه.

الشبهة السابعة عشرة بعد المائة:

«قال في سورة الأعراف: ﴿وَلَما جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ اَرِنِى اَنظُرْ إِلَيكَ قَالَ لَن تَرَانِى وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَما تَجَلى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا اَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبتُ إِلَيكَ وَاَنَاْ اَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

وهنا نجد موسى يقول: أنا أول المؤمنين. وهذا خطأ، لأن أول المؤمنين آدم. كما نجد آيات ترينا أن محمداً أول المسلمين. أي أول المؤمنين. فقال في سورة الأنعام: ﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَاَنَاْ اَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[2] وحسب سورة الشعراء: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ اَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا اَن كُنَّا اَوَّلَ

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الأنعام: ١٦٣.

الْمُؤْمِنِينَ﴾[١] وجاء في سورة الزخرف: **﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾**[٢]».

ردها:

الميقات لغة: قال في اللسان: الميقات: الوقت المضروب للفعل والموضع: يقال: هذا ميقات أهل الشام، للموضع الذي يُحرِمون منه... والهلال ميقات الشهر. وقال الراغب: والميقات: الوقت المضروب للشيء، والوعد الذي جُعل له وقت.

الخطايا لغة: قال في اللسان: والخطيئة: الذنب على عمد. والخِطْءُ: الذنب. والخطيئة، على فعيلة: الذنب... والجمع: خطايا. وقال الراغب: الخطأ: العدول عن الجهة... والجمع الخطيئات والخطايا.

عباقرة الشبهات هنا خطّأوا القرآن الذي لم يخطّئه عباقرةُ اللغة، وأربابُ البيان، بل لم يستطيعوا مجاراته بكلام مماثل له، ولكن اليهود والنصارى اشتركوا في اكتشاف تناقضات القرآن. ومنها: إن الله أخطأ لما نسب الى موسى قوله: **﴿...وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** وادّعو أن آدم عليه السلام هو أول المؤمنين. قالوا ذلك من دون مراجعة للآية، ومعرفة سبب قول موسى ذلك. والسبب هو:

إنه عليه السلام طلب من الله تعالى أن يتجلّى له حتى يراه استجابة لرغبة قومه. ولما لم يستطع تحقيق ذلك لاستحالته، ولم يتمكن من النظر

(١) الشعراء: ٥١.

(٢) الزخرف: ٨١

الى الجبل الذي تحول الى تراب. هنا ﴿...وَخَرَّ موسَى صَعِقاً...﴾ لهول ما رأى. فلما أفاق قال: ﴿...سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَاَنَاْ اَوَّلُ الْمُؤْمنينَ﴾ أي لمّا تبيّن له أن سؤاله وقع في غير محله أخذته العناية الإلهية بإشهاده دكَّ الجبل، فبدأ عليه السلام بتنزيه ربه ثم عقّبه بالتوبة عمّا أقدم عليه. وليس بالضرورة أن تكون التوبة عن جرم ومعصية، بل المراد منها الرجوع الى الله سبحانه. شأنها شأن الاستغفار لاعن ذنب تحقق فعله. كقول علي بن طالب عليه السلام: «واغفر لي كل ذنبٍ أذنبتُه» ثم قال موسى عليه السلام ﴿...وَاَنَاْ اَوَّلُ الْمُؤْمنينَ﴾ أي أول المؤمنين من قومي بأنك لاتُرى، لافي يقظة ولافي نوم، لافي الدنيا ولا في الآخرة. والذي توهموه أن موسى أجرى مسابقة إيمانية، فظهر فيها أنه أول المؤمنين فسبق جميع الأنبياء من قبله حتى آدم. وهذا وهم كبير.

أما آية سورة الأنعام فقد بيّناها في رد الشبهة (١٠٢) وقلنا هناك: إنه صلى الله عليه وآله عنى بقوله: ﴿...وَاَنَاْ اَوَّلُ الْمُسلمينَ﴾ أي من قومي. إذ من الطبيعي ألا يتخلف عن قومه فيكون عاشرَ المسلمين مثلاً. كيف وهو الداعي الى الإسلام فلابد أن يكون سابقاً لهم فيما يدعو إليه.

أما آية سورة الشعراء. فقد جاءت بعد تهديد فرعون للسحرة الذين آمنوا بدعوة موسى وعبدوا الله وتركوا فرعون. فقال لهم فرعون: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبلَ اَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الذى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ اَيدِيَكُمْ وَاَرْجُلَكُم مِّنْ خلاَف وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ اَجْمَعِينَ﴾ ﴿قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ اَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا

خَطَايَانَا اَن كُنَّا اَوَّلَ الْمُؤْمنينَ﴾[١] وكلمة (من خلاف) تعني قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو بالعكس. فكان جوابهم (لاضير) أي لاضرر في ذلك علينا يافرعون لأنك بهذا العمل ستوصلنا الى ربنا الحقيقي ومعشوقنا الواقعي. وأننا نطمع في أن الله سيغفر لنا خطايانا من قبل بتكذيب موسى، ومن ذنوبنا الماضية ونرجو أن تُمحى بفضل الله ولطفه، لأننا كنا أول المؤمنين بموسى بعد أن كنا من حُماة فرعون.

أما آية سورة الزخرف ففيها تلقين من قبل الله لرسوله صلى الله عليه وآله أن يقول لمشركي مكة والعرب عموماً: **﴿قُلْ إن كَانَ للرَّحْمَنِ وَلَـدٌ فَاَنَا اَوَّلُ الْعَابـدينَ﴾** ومعناه: أن المشركين كانوا يعتقدون بأن لله ولداً، وأنهم كانوا يظنون أن الملائكة بناتُ الله. فجاءت الآية لرد هذه العقائد الفاسدة، وأمرت النبي صلى الله عليه وآله أن يقول لهم: إن إيماني بالله أقوى من إيمانكم جميعاً، ومعرفتي به سبحانه أكبر. ولهذا يجب عليّ أن أعظّم ولده وأطيعَه قبلكم ـ إن كان له ولد ـ وهذا الأسلوب يجعل المقابل يبذل جهده ليقوي مدّعاه. وعندما يصطدم بصخرة الواقع يستيقظ من غفلته.

زد على ذلك: أن لفظ العبادة الوارد في الآية لم يرد بمعنى الطاعة والخضوع والتذلل الذي هو من حق الله فقط، بل جاء بمعنى التعظيم والاحترام لهذا الولد. وهو فرض محال، لأن الولد لازم لمن يحتاج العون والأنس في وقت العوز والوحشة. ووجود الولد دليل على الجسمانية، ثم إن ربَّ العرش والسماء والأرض منزّه عن كل هذه الأمور، فلا ولد له

---

(١) الشعراء: ٤٩ ـ ٥١.

ولا بنتاً ولاصاحبة.

الشبهة الثامنة عشرة بعد المائة:

«جاء في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمتُمُ الذين اعْتَدَواْ منكُمْ فى السَّبْت فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قرَدَةً خَاسئينَ﴾[1] وفي سورة الأعراف: ﴿فلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قرَدَةً خَاسئينَ﴾[2] وفي سورة المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بشَرٍّ من ذَلكَ مَثُوبَةً عندَ الله مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضبَ عَلَيه وَجَعَلَ منْهُمُ الْقرَدَةَ وَالْخَنَازيرَ وَعَبَدَ الطاغُوتَ أُوْلَـئكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبيل﴾[3] وهذا يُضادّ رحمة الله القائل في سورة النساء: ﴿فَأَمَّا الذينَ آمَنُواْ بالله وَاعْتَصَمُواْ به فَسَيُدْخلُهُمْ فى رَحْمَة مِّنهُ وَفَضْلٍ وَيَهديهمْ إلَيه صرَاطاً مُّسْتَقيماً﴾[4] ويناقض قوله في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عبَاديَ الذينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسهمْ لاَ تَقْنَطُوا من رَّحْمَة الله إنَّ اللهَ يَغْفرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ﴾[5] فكيف لما عصى بنو إسرائيل مسخهم قردة وخنازير، ولم يمسخ عبّاد الأصنام والنار وهم أشد كفراً، كيف يمسخ اللهُ الموحدين لمجرد عصيانهم

---

(١) البقرة: ٦٥.

(٢) الأعراف: ١٦٦.

(٣) المائدة: ٦٠.

(٤) النساء: ١٧٥.

(٥) الزمر: ٥٣.

وصية السبت؟».

ردها:

السبت لغة: قال في مجمع البحرين: و «يوم السبت» سمي به لأن الله تعالى خلق العالم في ستة أيام آخرها الجمعة، فسمي يومُ السابع يومَ السبت لانقطاع العمل والأيام عنده، وقال: ويُسبتون بضم أوله: يدخلون في السبت. ومنه أسبت اليهود.. يَسبتون بالفتح: يفعلون سبتهم، أي يقيمون على الراحة وترك العمل.

المثوبة لغة: قال الراغب: والثواب يقال في الخير والشر، لكن الأكثر المتعارف في الخير وكذلك المثوبة في قوله تعالى: ﴿...هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً...﴾ فإن ذلك استعارة في الشر كاستعارة البشارة فيه.

العُتوّ لغة: قال ابن منظور: عتا يعتو عُتوّاً: استكبر وتجاوز الحد... والعاتي: الجبّار وجمعه: عُتاة. والعاتي: الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لايقبل موعظة.

الإسراف لغة: قال في اللسان: السَرَف والإسراف: مجاوزة القصد.. والإسراف: كل ما أُنفق في غير طاعة الله. والإسراف في النفقة: التبذير. وقال الراغب: وقوله: ﴿...يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾ فتناول الإسراف في المال وغيره.

رفعوا عقيرتهم هنا وأخذتهم الحمية على أجدادهم الذين أفسدوا وعصوا فمسخم الله قردة وخنازير. وقالوا إن بعض المشركين عبد الأوثان والنار والطاغوت ولم يمسخهم الله. فكيف فعل ذلك ببني إسرائيل وهم

موحّدون لمجرد أنهم خالفوا وصية السبت؟ وردّنا هو:

لقد أوردوا الآية/ ٦٥ البقرة وفيها كشف الله عن احتيال اليهود على أوامره التي كان منها ألا يصطادوا السمك يوم السبت وألا يعملوا في ذلك اليوم. فكانت الأسماك تتجمع فيه آمنة مطمئنة. فاحتال جماعة من اليهود وتأوّلوا حيث حبسوا السمك يوم السبت، واصطادوه يوم الأحد. فمسخ الله الذين اعتدوا منهم قردة وخنازير حقيقة. أي: في الجسم والصورة.

وربّ قائل يقول: إن في هذا العقاب قسوةً وشدة لاتطاق. قلنا: إن الله تعالى فضّل بني إسرائيل على العالمين وحرّرهم من فرعون وقضى عليه لابالجهاد، بل بالغرق فلم يتحملوا كلفة قتله. وأطعمهم المنّ والسلوى، وسقاهم الماء لابحفر بئر، بل بضرب الحجر وأحيا قتيلهم ليتبيّن لهم من القاتل. الى غير ذلك من صور التفضيل. ومعناه: أن الله تعامل مع بني إسرائيل معاملة خاصة ووفّر لهم كل ما يحتاجون. فلابد أن تكون عقوبتهم خاصة ومن نوع غير مألوف فاختار المسخ. فلا تقاس أمة على أمة بني اسرائيل لما امتازت به من النعم والراحة والمداراة الإلهية لهم. ولذلك كانت عقوبة المعتدي والظالم منهم بمستوى الامتيازات التي تمتع بها، فلا يقال حينئذ: لماذا لم يُستعمل المسخ في غير بني اسرائيل؟

أما آية سورة النساء فهي مرتبطة بالآية التي قبلها وهي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[1] والبرهان هنا هو النبي محمد صلى الله عليه وآله، والنور هو القرآن الكريم. ففي الآية

---

(١) النساء: ١٧٤.

الثانية بيان لعاقبة من يتبع هذا البرهان وهذا النور. وأن الله تعالى سيدخله في رحمته الواسعة ويهديه الى الطريق المستقيم. وهذا عهد منه سبحانه بمجازاة المؤمنين خاصة. أما بنو اسرائيل فقد عوقب مخالفُهم وسلم مؤمنُهم. ولاتضاد بين ما تقدم وبين آية سورة الزمر التي تعطي الأمل لأوسع شريحة من المجتمع وهم المذنبون ألا يقنطوا ولا ييأسوا فإن الله رحيم وسعت رحمته كل شيء، ولكن شريطة التوبة والإنابة الى الله. فالله يغفر ولكن ليس مع العناد والإصرار على الذنب. والله يغفر ولكن ليس مع التمرد على أوامره والاحتيال على أحكامه كما فعل بنو إسرائيل.

الشبهة التاسعة عشرة بعد المائة:

«قال في سورة غافر: ﴿الذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بحَمدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ به وَيَسْتَغْفِرُونَ للَّذينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعلْماً فَاغْفرْ للَّذينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبيلَكَ وَقهمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[1] كيف يُحمل عرشُ الله، ويكون هناك ملائكة حول الله وهو غير محدود؟».

ردها:

العرش لغة: قال في اللسان: العرش: سرير الملك. والعرش: البيت وجمعه عروش. وعرش البيت سقفه. وقال في المجمع: ولم يخلق الله

---

(١) غافر: ٧.

العرش لحاجة إليه لأنه غني عن العرش وعن جميع ماخلق. وقال الراغب: وعرش الله: مالايعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم.

أنكروا هنا كون العرش محمولاً من قبل الملائكة، كما رفضوا كونَهم حافّين من حول العرش. ولكي نحل المشكل نقول:

أ ـ العرش في الاصطلاح: مجلس السلطان بلحاظ علّوه. قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ اَبَوَيهِ عَلَى الْعَرْشِ...﴾[1] ثم كُنّيَ به عن العزّ والسلطان والمملكة.

ب ـ ليس العرش كما تذهب إليه أوهام العامة. فإنهم يتصورون أن الله تعالى جالس على عرش، والعرش تحمله الملائكة. وهناك مجموعة أخرى تحيط به.

جـ ـ الصحيح إن التعبير بالعرش كناية عن مملكة الله وسلطانه، لا عن مقرّه ومكانه. فإن المكانية ممتنعة عليه سبحانه.

زد على ذلك: أن العرش يطلق أحياناً على عالم الوجود، لأن عرش الله يستوعب جميع هذا العالم. وإذا أطلق العرش تبادرت معانيه المادية مثل: السقف أو المسقّف أو كرسي السلطان حسب القرائن الموجودة. وأما إذا أضيف الى لفظ الجلالة تبادر معناه الشامل لكل الوجود الذي يعتبر في الحقيقة سرير حكومة الله تعالى. فيدل العرش على الإحاطة الكاملة لله عزوجل وسيطرته وتدبيره أمور هذا الكون سماءاً وأرضاً.

د ـ إن الآيات التي اشتملت على (العرش) هي من الآيات المتشابهات

(١) يوسف: ١٠٠.

التي يرجع علمها الى الله سبحانه والراسخين في العلم. وعليه فلا مصداق للعرش في الخارج، ولكن أفضل ماقاله العلماء: إن المتبادر من كلمة (العرش) هو المُلك والسلطنة والإحاطة بالكون والولاية عليه.

هـ ـ أما قوله: ﴿الذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ...﴾ أي الملائكة المقربون من الله تعالى قرباً معنوياً لتلقي أوامره الصادرة. ومن حول هؤلاء ملائكة آخرون ﴿...يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾ أي ينزهون الله سبحانه ويحمّدونه مؤمنين به وبوحدانيته.

و ـ في هذه الآية ردّ على المشركين حيث كانوا يعدون الملائكة المقربين شركاء لله في ربوبيته وألوهيته، ويتخذونهم أرباباً وآلهة يعبدونهم. فأوضحت الآية أن هؤلاء عباد لله مكرمون، يتشرفون بطاعته وعبادته، وليسوا شركاء كما ظن المشركون.

الشبهة العشرون بعد المائة:

«جاء في سورة الأعراف: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى الأَرْضِ بَعدَ إصلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] وهنا نجد أن رحمة الله المؤنثة يقول عنها قريب، وكان الأولى أن يقول: قريبة. إذن من يتدبر القرآن يجد فيه مايجد».

---

(١) الأعراف: ٥٦.

ردها:

الطمع لغة: قال ابن منظور: الطمع: ضدّ اليأس. والطمع: رزق الجُند. وقال الراغب: الطمع نزوع النفس الى الشيء شهوةً له.

الإصلاح لغة: قال في اللسان: والإصلاح نقيض الإفساد والاستصلاح: نقيض الإستفساد. وقال الراغب: الصلاح: ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالسيئة ﴿...**خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً**...﴾ وتارة بالصلاح ﴿**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**...﴾.

إن من يريد مواجهة القرآن الكريم وهو عالي المستوى جداً، عليه أن يكون من ذوي العلم والمعرفة. وإلا فلا يتهيأ لمن هبّ ودبّ الرد أوالمواجهة لكتاب أثبت بجدارة أنه فوق مستوى البشر مهما أوتوا من علم وذكاء. والمسألة التي أثارها هنا عشاقُ التناقضات، ليست من الأهمية بمكان حتى يُشنَّع بها على كتاب الله، ولاتستحق الذكر والتهويل أبداً. فعلام هذه الضجة المفتعلة وهم بين أيديهم توراة مزورة وأناجيل محرّفة. ورغم وهن الشبهة نقول:

إن قوله تعالى: ﴿...**إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحسِنِينَ**﴾ ولم يقل قريبة، لأن الكلمة إذا كانت على وزن (فعيل) بمعنى مفعول يستوي فيها المذكر والمؤنث. فلك أن تقول: «امرأة جريح وامرأة مجروحة» و «امرأة قتيل وامرأة مقتولة»لأن المعنى واحد. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿...**وَمَا**

﴿يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[١]. هذه هي لغة العرب وهي أشرف اللغات؛ لأنها لغة القرآن والحديث الشريف ولغة أهل الجنة.

ويستعمل القرب في المكان كقوله: ﴿...وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾[٢]. وفي الزمان كقوله ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ...﴾[٣]. وفي النسبة كقوله: ﴿...وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى...﴾[٤]. أي جار لك وقريب منك نسباً. وفي الحظوة كقول الله في عيسى عليه السلام ﴿...وَجِيهاً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٥]. وفي الرعاية مثل الآية مورد البحث. وفي القدرة كقوله: ﴿...وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٦] أي إن حياة الانسان مستمرة طالما بقي حبل الوريد هذا ينقل الدم من القلب وإليه، فإذا توقف القلب لحظة مات الانسان. فحياتنا بيد الله أكثر مما هي متوقفة على عمل الوريد؛ لأن عمله بيد الله أيضاً.

---

(١) الشورى: ١٧.

(٢) البقرة: ٣٥.

(٣) الأنبياء: ١.

(٤) النساء: ٣٦.

(٥) آل عمران: ٤٥.

(٦) ق: ١٦.

الشبهة الواحدة والعشرون بعد المائة:

«قال القرآن ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ...﴾[1] وقال أيضاً ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾[2] وكلنا يعلم أن مدة الحمل تسعة أشهر كاملة. والفطام هنا بأمر القرآن يكون بعد الرضاعة عامين كاملين أي (٢٤) شهراً، فتكون مدة الحمل حتى الفطام (٣٣) شهراً ولكن القرآن ناقض نفسه وأخطأ في الحساب فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً...﴾[3] فأي المدتين هي الصحيحة (٣٠) شهراً أم (٣٣) شهراً. وكيف يمكن أن يخطأ الله في هذه العملية الحسابية البسيطة؟».

ردها:

الوهن لغة: قال الراغب: الَوهْن: ضَعف من حيث الخَلْق أو الخُلُق. قال تعالى: ﴿...وَهْناً عَلَى وَهْنٍ...﴾ وقال ابن منظور: الوَهْن: الضعف في العمل والأمر، وكذلك في العظم ونحوه. وقيل: وهناً على وهن. أي جهداً على جهد.

الفصال لغة: قال الراغب: والفصال: التفريق بين الصبي والرضاع قال

---

(١) لقمان: ١٤.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

(٣) الأحقاف: ١٥.

تعالى ﴿...وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ...﴾. وقال ابن منظور: الفطام. قال الله تعالى: ﴿...وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً...﴾ المعنى: ومدى حمل المرأة الى منتهى الوقت الذي يفصل فيه الولد عن رضاعها ثلاثون شهراً.

ذكرت آية سورة لقمان أن أقصى مدة لفطام الطفل هي عامان قمريان. والفطام هو ترك الرضاعة، وذكرت آية سورة البقرة أن مدة الإرضاع حولان كاملان. قال الراغب: الحول: السنة اعتباراً بانقلابها، ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها. وقال: العام كالسنة لكن كثيراً ماتستعمل السنة في الحول الذي تكون فيه الشدة أو الجَدب. ولهذا يعبَّر عن الجدب بالسنة، والعام بما فيه الرخاء والخصب. فقالت الآية: ﴿...لِمَنْ اَرَادَ اَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾ إشارة الى أن الرجل إذا طلق زوجته وهي في حال الرضاعة فللزوجة أن تُتِمّ الحولين، ولها أن تفطم ولدها قبل الحولين. وليس للزوج أن يأخذ الولد من أمه وهي في حال الرضاعة، إلا إذا تراضيا على ذلك. أما قولهم: «وكلنا يعلم أن مدة الحمل هي تسعة أشهر كاملة» فليس بصحيح لأن بعض الأمهات تضع قبل التسعة أشهر. وقولهم: القرآن أخطأ في الحساب كما في آية سورة الأحقاف: ﴿...وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً...﴾ غير صحيح لأن القرآن لم يُخطئ ولن يخطئ. بل أخذ بأقل مدة الحمل وهي ستة أشهر. فإذا جمعت مع الحولين يصير المجموع ثلاثين شهراً. فالمدار على الأخذ بالأقل والأكثر. وكلاهما صحيح. فظهر أن الله سبحانه دقيق في حساباته؛ لأنه هو الذي علم الانسان الحساب، ثم إن هذا القرآن قانون ينظم حياة الإنسان فلابد أن يكون خِلواً من الخطأ.

الشبهة الثانية والعشرون بعد المائة:

«قال في سورة آل عمران: ﴿...قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1] ولكنه قال في سورة مريم كلاماً مخالفاً وفي نفس الموقف: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾[2]».

ردها:

هيّنٌ لغة: قال ابن منظور: وشيء هَيِّنٌ وهَيْنٌ أي سهل. وقال ابن شَميل: إنه ليهون عليّ هوناً وهوانا.

الأمر لغة: قال في االلسان: الأمر: معروف، نقيض النهي وقال: والأمر: واحد الأمور. والأمر: الحادثة. والجمع: أمور. وقال الراغب: الأمر الشأن، ويقال للإبداع: أمر نحو ﴿...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ ويختص ذلك بالله تعالى.

في هذه الشبهة حاولو إيجاد شرخ بين قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وبين قوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً...﴾ محاولة منهم لصنع تناقض بين

---

(١) آل عمران: ٤٧.

(٢) مريم: ٢١.

النصين الشريفين. وفي الآية الأولى سؤال من السيدة مريم عليها السلام موجّه الى ربها بعد أن بشرتها الملائكة: ﴿...يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ ثم بينت الملائكةُ صفاته ووجاهته عند الله وماذا سيكون ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ...﴾.

هنا التفتت مريم الى الأسباب الطبيعية لحصول الولد مستغربةً حصوله من دون تلك الأسباب. والآية الشريفة تبشر بإيجاده على غير المألوف والمتعارف. ومنشأ تعجب مريم هو هذا. فردت عليها الآية: ﴿...كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ...﴾ أي أن الذي بُشّرتِ به أمرٌ مقضي لامردّ له. وهكذا هو الله تعالى: إذا تعلقت إرادته بشيء وجد ذلك الشيء. فولادتك عيسى عليه السلام أمر مفروغ منه. فلا داعي للعجب حينئذ. لأن العجب إنما يكون لو كان الأمر مما لايَقدر عليه الله سبحانه. ولكن لما كانت قدرته غير محدودة، ويفعل مايشاء فلا عجب. ولا تتصوري يامريم أن الله يتوصل الى مايريد بالتوسل بالأسباب أبداً. فخلق عيسى عليه السلام من دون أب أمر يسير عليه. والله لايُعجزه شيء. وهذه الآية جاءت بعد تبشيرها بأنها ستلد غلاماً. وهو عيسى عليه السلام فأوردت قولها ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ...﴾؟ فجاءها الجواب مباشرة: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ...﴾ ليرتفع به العجب، فلا يتخلف عن إرادته مراد، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فخلق غلام من أمرأة من دون زوج هيّن وسهل عليه سبحانه. ثم إن قوله ﴿...هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ...﴾ يشابه قوله ﴿...اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ...﴾ فكلاهما دال على أن خلق غلام من دون أب ممكن.

وكذلك الخلق من العدم. لافرق بينهما مع أن الثاني أعجب.

الشبهة الثالثة والعشرون بعد المائة:

«قال في سورة البقرة: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى...﴾ ﴿الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1] وهنا نرى أن اليهود والنصارى يتلون كتابهم حق تلاوته، ولكن في موضع آخر من سورة المائدة يقول ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] وهنا يحرفون الكلم عن مواضعه».

ردها:

الملّة لغة: قال ابن منظور: الملّة: الشريعة والدين.. الملّة: الدين كملّة الإسلام والنصرانية واليهودية وقيل: هي معظم، وجملة مايجيء به الرسل. وقال الراغب: الملّة: كالدين. وهو اسم لما شرّع الله لعباده على لسان الأنبياء. والفرق بينها وبين الدين: أن الملّة لاتضاف إلا الى النبي عليه السلام نحو: ﴿...فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ...﴾.

---

(١) البقرة: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) المائدة: ١٣.

الولي لغة: قال في المجمع: والولي: الوالي، وكل من وليَ أمر أحدٍ فهو وليُّه. وقال ابن منظور: الولي هو الناصر، وقيل: المتولّي لأمور العالم والخلائق القائم بها.. وعن يونس قال: المولى له مواضع في كلام العرب منها: المولى في الدين وهو الولي وذلك قوله تعالى: ﴿...وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾ أي لا وليّ لهم. ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» أي من كنت وليّه.

تصور هؤلاء أن الله تعالى غيّر موقفه من اليهود. فبعد أن قال في آية سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ...﴾ قال في آية سورة المائدة: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ...﴾ وهذا يعدّ تحولاً من المدح والثناء الى الذم واللعن. فما عدا مما بدى؟ قلنا: إن المراد بـ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ...﴾ قوم من اليهود والنصارى ليسوا متبعين للهوى. وهم من أهل الحق منهم. والكتاب يعني التوراة والإنجيل. فهؤلاء قد تلوا كتابهم السماوي حقاً، وكان ذلك سبب هدايتهم. إذ هم قرأوا فيه الصفات المنطبقة على نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله فآمنوا به. والله مدحهم وأشاد بهم. إلى هنا اتضح سببُ المدح ولمن كان ذلك الثناءُ العاطر في الآية.

أما آية سورة المائدة ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ...﴾ فهي تشير الى الذين نقضوا ميثاقهم. أي من اليهود من تدبّروا مضامين كتابهم وآمنوا، فكانوا في محل تأييد الله لهم. ومنهم من نقضوا الميثاق. ونقض الميثاق هنا هو الكفر. والباء سببية، أي بسبب نقضهم الميثاق (لعناهم) واللعن هو الإبعاد عن رحمة الله، ثم قالت: ﴿...وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً...﴾ وقسوة القلب

مأخوذة من قسوة الحجارة وهي صلابتها. والقَسِيُّ من القلوب: مالا يخشع للحق ولايتأثر بالرحمة، وليت الأمر أنتهى عند نقض الميثاق، بل تعدى الى قوله ﴿...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه...﴾ ربما إشارة الى ماحرّفه اليهود من علامات نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، أو مانسبوه عند كتابتهم للتوراة من جديد بعد أن فُقدت التوراة الأصلية، ثم تطرقت الى ظاهرة خبيثة طالما تلبس بها اليهود عامة إلا ماندر منهم. وهي الخيانة، فقالت. والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله: ﴿...وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ...﴾ وفي الختام طلبت الآية من النبي صلى الله عليه وآله أن يعفو عن هؤلاء ويصفح عنهم. وقد تقدم مراراً أن استثناء القليل منهم لاينافي ثبوت اللعن والعذاب للجماعة التي هي الشعب والأمة. كما لايشمل الصفحُ عن اليهود الذين أجرموا بحق الأهداف والمبادئ الاسلامية. حيث لامعنى للعفو في هذا المجال. ومن إجرامهم: إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وتآمرهم عليه مع أعدائه.

ورب قائل يقول أبعد أن وصفهم الله بأقبح الأوصاف، وقال إن الخير لايُرجى منهم بحال، أبعد هذا يأمر نبيه صلى الله عليه وآله بالصفح والعفو عنهم؟ وهل يعرف اليهود معنى للإحسان إليهم؟ وجوابه:

إن الضمير المجرور محلاً في (عنهم) يعود على القليل منهم الذين أسلموا وأخلصوا. فالمدح والثناء كان للمؤمنين من اليهود الصادقين في دخولهم الإسلام. والذم واللعن كان للذين نقضوا الميثاق وحرّفوا الكلم. فأين التناقض؟

الشبهة الرابعة والعشرون بعد المائة:

«قال في سورة التحريم: عن كيفية خلق المسيح ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(١) وفي سورة النساء: قال: ﴿...إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...﴾(٢) الآية الأولى تقول: إن الله نفخ في مريم، بينما الثانية تقول إن الله لم ينفخ، لكن الله ألقى كلمته الى مريم».

ردها:

كلمات الله لغة: قال ابن منظور: والكِلْمة: لغة تميمية، والكَلِمَة حجازية، وجمعها: كَلِم.. وكلمات الله أي: كلامه. وقال الراغب: وتسمية عيسى بكلمة في هذه الآية: ﴿...وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ...﴾ لكونه موجَداً بكن المذكور في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى...﴾.

قَنَتَ لغة: قال ابن منظور: قنت: القنوت: الإمساك عن الكلام وقيل: الدعاء في الصلاة. والقنوت: الخشوع والإقرار بالعبودية والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية... والقانت: المطيع. والقانت: الذاكر لله تعالى. وقال الراغب: القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع.

---

(١) التحريم: ١٢.

(٢) النساء: ١٧١.

عادوا هنا مرة أخرى الى التشكيك في خلق عيسى عليه السلام الذي ذُكر في مواضع عديدة من القرآن الكريم. فقالوا: إن آية سورة التحريم قالت: ﴿...فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا...﴾ بينما قالت آية سورة النساء ﴿...إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...﴾ فكيف خُلق عيسى بالضبط؟ قلنا: بعد ماضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، ضرب مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ومريم ابنة عمران عليها السلام، ثم بدأ يعرّف بها فقال: ﴿...الَّتِي أَحصَنَتْ فَرْجَهَا...﴾ والفرج في اللغة: الفاصلة والشق، ثم استعمل كناية عن العضو التناسلي أسوة بكل الأمور الجنسية التي ورد ذكرها في القرآن مثل: (اللمس) و(الدخول) و(الغشيان) و(الإتيان) و(الحرث) وغير ذلك ولفظ (أحصنت) يعني أنها عليها السلام حفظت طهارتها وعفتها من كل أشكال التلوث المنافي للعفة. وفي إثبات طهارتها مقدمة لإعجاز ولادتها عيسى عليه السلام، وكون ذلك آية. ولفظ (نفخنا) كناية عن عدم استناد ولادة عيسى الى العادة الجارية في إيجاد الولد من النطفة أولاً. ثم إيلاج الروح فيه. ولما لم تكن نطفة غلم يبق إلا إيلاج الروح الذي عبّر عنه بالنفخ. ولفظ (من روحنا) أي من أمرنا. قال تعالى ﴿...قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمرِ رَبِّي...﴾[1]. ولما كان عيسى كلمة (كن) التكوينية وهي أمره والروح من الأمر ـ كما قلنا ـ فهو روح. والإضافة هنا: (روحنا) تشريفية. كما يقال «بيت الله وشهر الله» ثم قالت الآية (وابنها آية) ويكفيها فخراً أن يدخل ذِكرُها في ذِكرِ الأنبياء مع

---

(١) الاسراء: ٨٥

أنها ليست منهم. أما آية سورة النساء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ...﴾ فالخطاب فيها للنصارى واليهود أيضاً؛ لأن (أهل الكتاب) وصف مشترك بينهما. وفيه تذكير لهم طالما كانوا أهل الكتاب. فهو يقتضي أن لايتجاوزوا ما أنزل الله وبيّنه في كُتُبه. ومما بيّنه: ألا يقولوا عليه إلا الحق. وصفة الغلو في الدين موجودة لدى اليهود والنصارى على حد سواء، ولكن الآية تخاطب النصارى هنا بالذات، فخصّتهم بالقول: ﴿...إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ...﴾ والمسيح يعني المبارك. وقوله ﴿...عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ فيه دليل على كونه إنساناً مخلوقاً كأي إنسان ذي أم ﴿...وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ...﴾ أي كلمة (كن) قال تعالى: ﴿...وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فاتضح أن كلمة (كن) هي التي ألقيت الى مريم. إشارة الى أن عيسى عليه السلام لم تكتمل كل الأسباب الطبيعية لخلقه، بل فقدَ بعضها وهو الأب، فخُلق بكلمة (كن) تجاوزاً للأسباب المعتادة. وقوله (وروح منه) قد مر بيانه، ثم أمرت الآية جميع النصارى أن يؤمنوا بالله ورسوله، ونهتهم أن يقولوا: (ثلاثة) والثلاثة هم: الأقانيم الثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، بل عليهم أن يؤمنوا بعيسى رسولاً من عند الله. الى آخر الآية الشريفة. وهذا الشرح على وجازته يبين الحقيقة ويكشف عنها. فلا غموض ولا استغراب؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء والذي يشكك في قدرة الله لا إيمان له.

الشبهة الخامسة والعشرون بعد المائة:

«قال في سورة الأنبياء: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] وقال في سورة النساء: ﴿... وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...﴾[2] وقال في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[3] وفي سورة مريم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[4]. هذه الآيات ترينا كيف خلق عيسى. وواضح جداً أن المسيح لم يخلق بزرع بشر، لكن يُناقض هذه الآيات تماماً قولُه ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[5] فكيف يكون من تراب وهو كلمة منه ولادخل للتراب بكلماته؟».

ردها:

الحجاب لغة: قال في اللسان: الحجاب: الستر. حَجَبَ الشيءَ يحجُبُه

---

(١) الأنبياء: ٩١.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) التحريم: ١٢.

(٤) مريم: ١٧.

(٥) آل عمران: ٥٩.

حَجْباً وحِجاباً وحجَّبَه: ستره. والحجاب: اسم ما احتُجِب به وكل ماحال بين شيئين. وقال الراغب: الحَجْب والحِجاب: المنع من الوصول: يقال: حَجَبْتُه حَجْبا وحِجاباً.

إن كثيراً من آيات سورة آل عمران كانت إجابات عن أسئلة وفد نصارى نجران، وكانوا كلهم من الزعماء في قومهم، فقالوا مرة لرسول الله صلى الله عليه وآله «مالك تشتم صاحبَنا» أي عيسى؟ قال: وكيف؟ قالوا: تقول: إنه عبد. قال: أجل هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها الى مريم العذراء. قالوا: وهل رأيت إنساناً من غير أب؟ فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى...﴾.

وبعد أن مرّ تفصيل ولادة عيسى عليه السلام، أوجزت هنا هذه الآية قصة الولادة وهي في مورد الرد على سؤال الوفد. فلم تزد على كون عيسى بشراً مخلوقاً نظير آدم عليه السلام، فلا يصح أن يقال فيه أكثر وأعظم مما قيل في آدم. وهو أنه بشر خلقه الله. ولتثبت أن كيفية خلق عيسى تضاهي كيفية خلق آدم وبنفس كلمة الإيجاد (كن) والله يعلم أن عيسى مخلوقٌ له، وإن فَقَدَ الأب، ويعلم أيضاً أن خلقته لاتزيد على خلقة آدم عليه السلام. فلو قيل بأن طريقة ولادة عيسى تقتضي أن يكون إلها. لكان آدمُ أولى بالألوهية من عيسى؛ لأن طريقة ولادته أعجب من طريقة ولادة عيسى عليه السلام إذ لم يكن له أب ولا أم. فالضمير في (خَلَقه) عائد على آدم لا على عيسى كما توهموا. وبعد هذا لم يبق سببٌ لعجبهم من كيفية خلقة نبيهم بحيث يسوقهم العجب الى ألوهيته. كذلك نبّهت الآية ـ مورد البحث ـ أن

الله تعالى يتساوى بالنسبة إليه الصعب والسهل، بل يتلاشى لديه الزمان والمكان. فهو يخلق الشيء بمجرد تعلق إرادته تعالى بذلك الشيء. فأين التناقض؟

الشبهة السادسة والعشرون بعد المائة:

«قال في سورة النساء: ﴿يَا أَهلَ الْكتَاب لاَ تَغْلُواْ فِى دِينكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى الله إلاَّ الْحَقِّ إنَّمَا الْمَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنهُ فَآمنُواْ بالله وَرُسُله وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيراً لَّكُمْ إنَّمَا اللّهُ إلَـهٌ وَاحدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فى السَّمَاوَات وَمَا فى الأَرْض وَكَفَى بالله وَكيلاً﴾[1] هنا الحديث الى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى لكن الآية تتكلم عن إيمان المسيحيين فقط وليس إيمان اليهود. فكان الأولى أن يقول: يابعض أهل الكتاب وليس يا أهل الكتاب؛ لأن أهل الكتاب لايؤمنون بهذا الفكر، وهو أن اليهود من أهل الكتاب. إذن: المعنى أن المقصود بأهل الكتاب هنا النصارى فقط وفيه تَضادٌ مع جميع الآيات القرآنية الأخرى التي تتكلم عن أن أهل الكتاب هم اليهود».

ردها:

الوكيل لغة: قال ابن منظور: في أسماء الله تعالى الوكيل: هو المقيم

---

(١) النساء: ١٧١.

الكفيل بأرزاق العباد. وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه. وقال أبو إسحاق: الوكيل في صفة الله تعالى الذي توكّل بالقيام بجميع ماخلق. وقال الراغب: والوكيل: فعيل بمعنى المفعول. قال تعالى: ﴿...**وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً**﴾ أي اكتفِ به أن يتولّى أمرك ويتوكّل لك.

هنا توصلوا بفطنتهم الى أولويات غفل عنها الله في كتابه المجيد. ولم يلتفت إليها المتربصون بالقرآن أيام نزوله. توصلوا الى ذلك وهم يقولون الواحد يساوي ثلاثة. إذ كانوا ولازالوا يقولون بوحدانية الله، ولكن الواحد يتكون من ثلاثة أقانيم ـ أصول ـ أب وابن وروح القدس. فالذي مستوى فهمه هو هذا كيف عرف هذه ـ التناقضات ـ ولم يعرف أن عليه أن يؤمن بذات واحدة غير متعددة كما آمنا بالله الواحد الأحد؟

وردنا على هؤلاء وما ادّعوه من تناقض مُمل هو: إن خطاب الآية لأهل الكتاب: اليهود والنصارى. لأنهما يشتركان في صفة الغلو. وسنبيّنه، ثم خصت الخطاب بالنصارى، لأن الحديث صار عن عيسى عليه السلام. فليس كما قالوا: إن الآية متوجهة الى النصارى فقط، وأن ﴿**يَا اَهلَ الْكِتَابِ...**﴾ فيه زيادة. إذ كان الأولى أن يقول: يانصارى. وهذا مرفوض، لأن الآية بدأت بالغلو وهو موجود عند أهل الكتاب ـ يهود ونصارى ـ ومن غلو اليهود في الدين:

أ ـ قول الله عنهم ﴿**اَلَمْ تَرَ إِلَى الذينَ يُزَكُّونَ اَنفُسَهُمْ...**﴾ قال المفسرون: نزل في اليهود. وهو أصدق صورة عن مزاعمهم وادعاءاتهم التي لامثيل لها.

ب ـ قولهم: ﴿...لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاَّ مَن كَانَ هُوداً...﴾.

جـ ـ قولهم: نحن شعب الله المختار. أي أن الله لهم وحدهم.

د ـ ادعاؤهم أن الله خلق الناس جميعاً عبيداً لهم.

هـ ـ إن الله فقير وهم أغنياء.

و ـ قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه.

ز ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ...﴾ إشارة واضحة للغلو فيه. وفي الوقت نفسه تنهى الآية كلاًّ اليهود وكل النصارى عن المغالاة والتطرف في الدين، وتدعوهم الى ألا يقولوا على الله غيرَ الحق، لأن الغلو في أصله ينطوي على عيب كبير يُفسد العنصر الأساس للدين وهو توحيد الله وعبادته. ولهذا السبب عامل الإسلامُ الغلاةَ بعنف وشدة.

ومن غلو النصارى:

أ ـ قولهم عيسى ابن الله؛ لأنهم لايقبلون فكرة أن الله قادر على كل شيء يخلق آدم من دون أب وأم، ويخلق عيسى من دون أب. فقالوا ببنوّة عيسى لله.

ب ـ رفضهم لمسألة رفع عيسى الى السماء، وأنه لم يصلب ولم يقتل. وإصرارهم على أنه صلب. فنشأت فكرة الصليب لبيان الظلامة الموهومة التي لم يتعرض لها السيد المسيح أصلاً.

جـ ـ قولهم بفكرة التثليث التي برزت بعد القرن الثالث الميلادي. وإن منشأ هذه البدعة كان الغلو من جانب، وتأثرهم بالأقوام الأخرى من جانب آخر.

د ـ إن الدين لايمكن أن يكون منفصلاً عن العقل والعلم. فالعلم الحقيقي والدين الواقعي متفقان ومتناسقان دائماً. ولم يتعارض العلم مع الدين الى يوم الناس هذا، ولكن النصارى قالوا بفصل الدين عن العقل لتمشية فكرة التثليث على عوام الناس، وجعلها أمراً تعبّدياً محضاً. مع أن فكرة فصل الدين عن العقل وتجريده عن الطابع العقلائي أقبحُ وأخطر شيء على الدين.

هـ ـ لم يُشر أيّ من الأناجيل المتداولة في الوقت الحاضر الى مسألة التثليث. فمن أين جاؤوا بها؟ ألم يكن الدافع هو الغلو؟

الشبهة السابعة والعشرون بعد المائة:

«قال في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١) وهنا الآية تتكلم عن وجود مسجد أقصى في القدس. بينما في ذلك الوقت لم يكن هناك أي مسجد. فالمسجد الأقصى بني بعد موت محمد بعشرات السنين، أي بعد الفتح العربي لمدينة أورشليم وتسميتها بالقدس. فكيف أسري بمحمد من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ولم يكن للثاني وجود؟».

---

(١) الاسراء: ١.

ردها:

سبحان لغة: قال في اللسان: التسبيح: التنزيه. وسبحان الله: معناه تنزيه لله من الصاحبة والولد. وقيل: تنزيه الله تعالى عن كل مالاينبغي له أن يوصف. وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبّح وهو مضاف دائما لله. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام في جواب ابن الكوّى عن سبحان الله فقال: «كلمة رضيها الله لنفسه فأوصى بها».

قالوا هنا كيف قال القرآن في بداية سورة الإسراء أن هناك مسجداً أقصى أسري بمحمد صلى الله عليه وآله إليه، والحال لم يوجد مسجد في القدس اسمه المسجد الأقصى في ذلك الزمان؟ ولم يعلموا أن المسجد الأقصى هو الاسم الإسلامي لبيت المقدس. وكلاهما دار عبادة. أنظر ماقاله ابن منظور في لسان العرب: «التقديس: التطهير والتبريك. وتقدس أي تطهّر. ومن هذا قيل للسطل: القَدَس. لأنه يُتقدَّس منه. أي يُتطهر فيه. قال الزجاج: ومن هذا: بيت المقدس أي البيت المطهّر الذي يُتطهّر به من الذنوب.

إذن: هو بيت عبادة حاله حال المسجد. وقال في مجمع البحرين: المسجد الأقصى: الأبعد. وهو بيت المقدس، لأنه لم يكن وراءه مسجد بعيد عن المسجد الحرام. وإليك - أخي القارئ الكريم - ما قاله منجد الأعلام: «القدس هي أورشليم القديمة أو بيت المقدس. عاصمة فلسطين.. يعود أقدم آثارها الى الألف الثالث قبل الميلاد.

أحتلها داود عليه السلام نحو ألف قبل الميلاد وجعلها عاصمة ملكه. بنى فيها سليمان عليه السلام هيكله الشهير... أحرقها الفرس سنة ٦١٤ ميلادية، ثم سلمها بطريركها (صفر ونيوس) للخليفة عمر سنة ٦٣٨ م

ودعاها العرب «القدس» احتلها الصليبيون سنة ١٠٩٩ م واسترجعها صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين سنة ١١٨٧. ظلت في أيدي العثمانيين من سنة ١٥١٦ الى ١٩١٧ م وبدأ انحطاطها في عهدهم. يقدسها المسيحيون والمسلمون واليهود. وفيها كنيسة القيامة والمسجد الأقصى وقبة الصخرة» وقال صاحب الميزان في تفسير القرآن: «وعلى أي حال فالإسراء الذي تعطيه الآية: ﴿سُبْحَانَ الذِى اَسرَى...﴾ وهو الإسراء الذي كان الى بيت المقدس» إذن: بيت المقدس هو المسجد الأقصى، ولاننسى أنه كان قبلة المسلمين أكثر من ثلاث عشرة سنة ثم تحول المسلمون الى بيت الله الحرام في مكة وذلك بعد الهجرة الى المدينة. وهو إسلامياً: أول القبلتين وثالث الحرمين.

الشبهة الثامنة والعشرون بعد المائة:

«ذكروا في سورة الأعراف[1] وهي تتحدث عن امتناع إبليس عن السجود لآدم لمقايسته نفسه المخلوقة من نار، بآدم المخلوق من طين، وكيف طرده الله وأخرجه من صفوف الملائكة، وكيف توعد إبليس عباد الله بالغواية، وكيف أغرى آدمَ وحواء بالأكل من الشجرة الممنوعة عليهما. مما أدى الى هبوطهما من الجنة الى الأرض. وقالوا: النقطة الغريبة: أنه بعد أن أمر الله إبليس بالطرد مذؤوماً مدحوراً والخروج من الجنة. وأمره أن

---

(١) الأعراف: ١١ ـ ٢٥.

يقول للشيء كن فيكون، لكن إبليس يقوم بمراوغة ثانية فيطلب الإنظار الى يوم يبعثون، ثم يؤمر بالخروج وبصورة أعنف ويسكن آدم وحواء في الجنة، ثم يدخل إليهما إبليس ليغريهما وبشكل غريب وغير قابل للمنطق: كيف دخل إبليس ومن الذي سمح له والمفروض أنه مطرود. هذا وأمْر الله له بالخروج نافذ. فهل استطاع إبليس أن يخدع الحرس ويتسلل الى الجنة؟».

ردّها:

إبليس لغة: قال الطريحي: وإبليس إفعيل من أبلس أي يئس من رحمة الله. يقال إنه اسم أعجمي فلذلك لاينصرف. وقيل عربي. وكنيته: أبو مُرّة. كان مع الملائكة في السماء يعبد الله، وكانت الملائكة تظن أنه منهم ولم يكن منهم، فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم خرج ماكان في قلب إبليس من الحسد.

إن جهل هؤلاء لم يقتصر على اللغة والدين بل يتعداهما الى التاريخ أيضاً. حيث قالوا: إن الأمر الإلهي صدر عدة مرات لإبليس بالخروج ولم يخرج. كيف لم يخرج والله إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون، وكيف دخل الجنة مع أنه مطرود. قلنا: إننا نؤمن إجمالاً بما أوحى به ظاهر النص القرآني ولانبحث عن حقيقة الأشياء وأوصافها، ولانحمّل النص أكثر مما يتحمّل مالم يرد نص آخر يفسره، ويكون قرينة عليه. فنؤمن بوجود إبليس ولكن كيف كان لا ندري. وكيف كلّمه الله وكيف رد إبليس عليه؟ وبأية طريقة كان الحوار. لاندري، ونأخذ المدلول الحقيقي للفظ (الشجرة) مثلاً. والسَوءة والورق مادام العقل يتقبل المعنى الظاهر من اللفظ ولا يرفظه.

أما نوع الشجرة وسعة الورقة، وكيف خصفا الأوراق فهذا مما لم ينزل به وحي، وليس من شأننا البحث فيه. كذلك جنة آدم لانعلم أنها كانت في عالمنا أم في عالم آخر، ولاندري كيف دلف إبليس الى الجنة المعنية، لأن هذه التفاصيل من علم الغيب. والعقل لايصل الى حقائقها ويعجز عن إدراكها. وعلينا أخذُ العبرة وفهم المقصد الذي تريد الآية بيانه. فقوله تعالى: ﴿...فَاهْبِطْ مِنْهَا...﴾ أي اهبط من المنزلة التي أنت فيها من القرب الإلهي، وليس من الجنة؛ لأنه لم يكن فيها حينئذ.

ولما هدد إبليس بإغواء بني آدم؛ لأن أباهم صار سبباً لغوايته زاد الله حدة الخطاب فقال ﴿...اخرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً...﴾ أي من منزلة القرب أيضاً. والمذؤوم: المَعيب، والمدحور: المطرود بهوان، ثم قال له بعد تنفيذ تهديده في آدم وزوجته، واستجابتهما لإبليس بالأكل من الشجرة الممنوعة عليهما إرشاداً لاحرمةً. قال تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أي اهبطوا من الجنة السماوية الى الأرض. والعبرة كل العبرة هنا. أن المؤمن يفترض عليه أن يطيع الخالق لأنه المولى وهو العبد، وألا ينخدع بوسوسة خارجية أو داخلية. وقد أخبرتنا الآية الشريفة أن إبليس قاعد لبني آدم كل مقعد. ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ اَيدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ...﴾ والمراد من (بين أيديهم) مايستقبلهم من الحوادث أيام حياتهم مما تتعلق به الآمال والأماني. والمراد من (خلفهم) الأولاد والأعقاب فللإنسان فيمن يخلفه بعده من الأولاد آمال وأمانٍ ومخاوف ومكاره. والمراد بـ (وعن

أيمانهم) الدين الذي يؤمّن للانسان سعادته وهو مصدر قوّته. والمراد بـ (شمائلهم) تزيين الفحشاء لبني آدم، وتحبيب المنكر لهم، كما يدعوهم الى اقتراف الذنوب. ولم يذكر الفوق ولاالتحت لأن الجهات الأربع هي التي يتحرك الانسان في مداها.

وفي القصة عبرة أخرى. وهي أن محورها قام على أساس التكبر والأنانية التي كان يتمتع بها إبليس وقد جرّت عليه الويلات وعلى بني آدم أيضاً. فلما قاس نفسه بآدم وتوصل الى أنه أفضل منه، رفض السجود له. وعدمُ سجوده لم يكن امتناعاً بسيطاً ولامعصية عادية، بل كان تمرداً مقرونا بالاعتراض والإنكار لمقام الربوبية. وهذا يستبطن إنكار علم الله بحقيقة الأمور وإنكار حكمته. فوجب أن يخسر إبليس جميع مراتبه ودرجاته، وكل ماكان له من مكانه عند الله ووجاهة، فأخرجه من ذلك المقام وأهبطه الى الأرض صاغراً مدحوراً.

إذن: لم تكن في القصة أسوار للجنة ولامراوغات، ولاهي الجنة التي وعد المتقون، بل كانت جنة أرضية في أحد الكواكب بدليل أن الجنة التي وعد المتقون إذا دخلها أحد لم يخرج منها، ولا عقاب فيها ولا يستطيع إبليس اقتحامَها. فكل مافي المسألة هو هذا فليحذر الانسان مكائد الشيطان.

الشبهة التاسعة والعشرون بعد المائة:

«جاء في سورة المائدة: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)] وجاء في سورة الفرقان: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[(٢)] وكذلك في الآية التي بعدها ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً﴾[(٣)] وهنا نجد أن الله يقبل التوبة دائماً في جميع الأحوال والظروف، لكن سرعان ما ينقض ذلك كما في سورة النساء: ﴿وَلَيسَتِ التَّوْبَةُ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[(٤)]».

ردها:

التوبة لغة: قال في اللسان: التوبة: الرجوع من الذنب. وفي الحديث: الندم توبة. والتَوْب مثله. وتاب الله عليه: وفّقه لها. ورجل توّاب: تائب الى الله. والله توّاب: يتوب على عبده. وقال أبو منصور: أصل تاب: عاد الى الله

---

(١) المائدة: ٣٩.

(٢) الفرقان: ٧٠.

(٣) الفرقان: ٧١.

(٤) النساء: ١٨.

ورجع وأناب. وقال الراغب: التَوْبُ: ترك الذنب على أجمل الوجوه. وهو أبلغ وجوه الاعتذار.

في هذه الشبهة اتهموا الله بأنه يُعطي وعداً ثم يَنقضه. ولم يلتفتوا الى أن هذا عيبٌ في أبسط الناس إذا صدر منه. فكيف برب الكون الذي لايُخلف وعده؟ وذكروا آية سورة المائدة التي تتحدث عن توبة السارق والسارقة قبل ثبوت الحكم عليهما توبةً اختيارية، فإنها تُسقط عنهما إقامةَ الحد عليهما. إذن: الآية الكريمة تناولت موضوعاً خاصاً وتوبة خاصة. وقد وعد الله التائب عن السرقة من بعد ظلمه أن يقبل توبته؛ لأنه غفور رحيم.

ثم ذكروا آيتي سورة الفرقان وهاتان الآيتان سبقهما بيان ثلاث جرائم هي: الشرك، وقتل النفس المحترمة، والزنا. وهي من الآثام التي لايتصف بها عباد الله الذين أنار التوحيد قلوبهم، وأشرق على حياتهم الفردية والاجتماعية، ثم ذكر الله تعالى أن من يفعل ذنباً لم يُغلق أمامه بابُ التوبة في أي وقت شاء أن يتوب أختياراً، بل أكثر من ذلك، فإنه سبحانه يشوّق المذنبين الى التوبة، ويرغّبهم فيها، ويعدهم إذا هم تابوا يبدل سيئاتهم حسنات ـ وقد مرّ بنا ذلك ـ وهذا غاية الرحمة بالعباد؛ لأنه يقتلع جذور اليأس من قلوب المذنبين النادمين. ولكن بشرط أن تكون التوبة حقيقيةً يُصدّقها العملُ الصالح في الخارج، ثم قالوا: وهنا نجد الله يقبل التوبة دائماً في جميع الأحوال. وهذا غير صحيح على إطلاقه، بل هو ادعاء، ومنه بدأت المغالطة التي انطلقوا منها؛ لأنه معارض بالآية التي ذكروها ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ...﴾ وهو قول لايُحمل على

إطلاقه؛ لأنه مقيد بقوله ﴿...حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ...﴾ فإنه يتوب بعد تسويف التوبة، وعدم المبادرة إليها. وهذا العمل نفسه معصية. أي: بعدما يحضر عزرائيل عند رأسه، يقول تُبتُ الآن. فهذه توبة لا تقبل من صاحبها؛ لأنها توبة اضطرارية لا اختيارية، وتوبة بعد اليأس من الحياة، والإحساس بالموت ومقدماته، والإقبال على الآخرة. فإن هذه التوبة مرفوضة، وهي أشبه بتوبة فرعون التي مرّ ذكرها. إذن: ليس كل توبة مقبولة، وليس باب الرحمة مفتوحاً على مصراعيه دائماً، وإنما يُغلق في بعض الحالات. وليعلم هؤلاء أن للتوبة شروطاً إن تحققت شملت رحمةُ الله كلَ التائبين. فهل نقض الله وعده؟

الشبهة الثلاثون بعد المائة:

«يقول القرآن عن الله: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] ولكننا نجد أن الله مَثَّله مَثَلُ الملائكة تماماً في أمر هو الصلاة على محمد ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2]. فكيف يُجمع اللهُ مع مخلوقاته وهم الملائكة؟».

(١) الشورى: ١١.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

ردها:

السميع لغة: قال ابن منظور: والسميع: من صفاته عزوجل، وأسمائه، لايعزب عن إدراكه مسموع. وإن خفي فهو يسمع بغير جارحة. وفعيل من أبنية المبالغة.

البصير لغة: قال في اللسان: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى البصير، هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيها بغير جارحة. والبصر عبارة في حقه عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصَرات. وقال ابن سيده: البصر: حسّ العين والجمع أبصار... ورجل بصير مُبصر: خلاف الضرير. فعيل بمعنى فاعل.

وفي هذه الشبهة وقعوا في فخّ القياس، وشبّهوا صفات الله بصفات مخلوقاته. وهذا العمل يقع فيه كثير من الناس. ومنهم هؤلاء. ونقول لهم: إن صفاته تعالى لما كانت عينَ ذاته، كيف عرفناها وقايسناها بغيرها ونحن لانعرف ذاته؟ لذلك كان علمنا بذات الله تعالى وصفاته يدور حول آثاره ولايخرج عن محيطها. إلا أن على كل موحّد أن ينتبه الى حقيقة: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ...﴾ فالله عالم وقادر وعظيم، ولكن ليس له مثل أبداً. ﴿...وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ولكن ليس كسمعنا وبصرنا؛ لأنه يسمع النجوى. وهو بصير بالنيات، وغيرُه ليس له هذه الملكة. إذن: الله سميع ولكن ليس له مَثَل في سمعه، وبصير ولكن ليس له مثل في بصره وهكذا.

إذا عرفنا ذلك ننتقل الى آية سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ...﴾ لنرى أن الآيات السابقة عليها تعرضت الى وجوب حفظ حرمة

النبي صلى الله عليه وآله وعدم إيذائه، أما هذه الآية فتناولت محبة الله وملائكته له صلى الله عليه وآله وتعظيمَهم له، ثم أمرت المؤمنين أن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً، كما يفعل الله وملائكته معه. فإن مقام النبي صلى الله عليه وآله ومنزلته بمكان بحيث أن الله خالق هذا العالم بما فيه وملائكتَه الموكّلين بتدبير أمور هذا العالم يُصلّون عليه. وإذا كان الأمر كذلك فضمّوا أصواتكم الى نداء الله وملائكته و(صلّوا عليه وسلّموا تسليماً) وفي هذا المقطع من الآية تنبيه للمؤمنين الى أنه صلى الله عليه وآله جوهرة نفيسة جُعلت بينكم بلطف الله فلا تستصغروا قدره، ولاتنسوا مقامه ومنزلته عند الله وعند ملائكته.

أما صلاة الله عليه فمعناها: الرحمة، وصلاة الملائكة: التزكية والاستغفار، وصلاة المؤمنين: الدعاء له صلى الله عليه وآله. إذن: صلاة الله تختلف عن صلاة ملائكته من حيث المعنى. فلا يقال حينئذ: إن الله مثلُ الملائكة يصلون على النبي، لصنع سنخية ومثلية بينه ـ جل شأنه ـ وبين ملائكته. فهل ترى ـ أخي القارئ الكريم ـ تناقضاً فيما أوضحناه؟

الشبهة الواحدة والثلاثون بعد المائة:

«جاء في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وهنا نجد عقاب الزانية الجلد (١٠٠) جلدة، لكن القرآن ناقض نفسه بخصوص عقاب الزانية وقال: ﴿وَاللاَّتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[2]».

ردها:

ذكرنا في رد الشبهة (٩٥) بعض ما يتعلق بما ذكروه هنا. وقلنا هناك: إن آية الجلد جاءت بياناً لمعنى (الأذى) الوارد في سورة النساء ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا...﴾[3] أو قل آية الجلد ناسخة للأذى المطلق. ولما كان الأذى عرفياً. بيَّنته آية الجلد وحددته. وبه يتحقق أبلغ الأذى. وهذا الحد لغير المحصن والمحصنة، أما الزانية المحصنة فحكمها الرجم الوارد في السنة الشريفة. والآية التي قالوا عنها: إن الله ناقض نفسه فيها وهي:

---

(١) النور: ٢.

(٢) النساء: ١٥.

(٣) النساء: ١٦.

﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ...﴾ خاصة بالمحصنة أي المتزوجة. والحكم الوارد فيها وهو الحبس المؤبد حكم مؤقت سيُنسخ، وقد نُسخ فيما بعد بحديث الرجم. وليست المسألة مسألة تناقضات. فآية الحبس نازلة قبل آية الجلد وقبل حديث الرجم. ومثيرو الشبهة عكسوا الأمر وجعلوا آية الجلد قبل آية الحبس ومن هنا نشأت المغالطة. وهذا الأسلوب أسلوب مراوغة وتلاعب بالنصوص. وهو خلاف الأمانة العلمية. ولكن الذي لاتُرتجى أمانتُه الدينية لا يُسأل عن أمانته العلمية.

الشبهة الثانية والثلاثون بعد المائة:

«قال في سورة الأنفال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1] كيف تقول الآية: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ...﴾؟ ألم يعلم عالمُ الغيوب هذا الى الآن؟ وهو القائل عن نفسه في سورة التوبة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾[2]؟».

ردها:

السرّ لغة: قال في اللسان: السرّ: ما أخفيتَ، والجمع أسرار. والسريرة:

---

(١) الأنفال: ٦٦.

(٢) التوبة: ٧٨.

كالسر. والجمع سرائر. وأسررت الشيء أخفيته. وقال الراغب: والسرّ هو الحديث المكتم في النفس.

النجوى لغة: قال ابن منظور: ونَجاه نَجْواً ونَجْوى: سارّة والنجوى والنجيّ: السرّ. والنَجْو: السر بين اثنين. يقال: نجوته نجواً أي ساررته، وكذلك ناجيته والاسم النجوى.

مااحتجوا به هنا على تناقض مزعوم، قد احتجوا به في الشبهة (٤٧) وقمنا بالرد هناك، ثم عادوا ليكرروا نفس ماقالوه أولاً. فقلنا: إن الله عالم بكل شيء ظاهرٍ أو باطن،وهو يعلم مافي ضمائرنا وماتُخفيه صدورنا. فكيف يقولون لايعلم اللهُ واقعَ المجاهدين فقال: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ اَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً...**﴾ إذا تصوروا أن الله ماكان يعلم، ثم علم فهذا نقص فيه وهو محال عليه، ثم إننا وجهنا الكلام بهذا الاتجاه: إن الذي خفض نسبة القوة في المسلمين المجاهدين هم المجاهدون أنفسُهم؛ لأنهم لما زاد عددهم اثّاقلوا الى الأرض وضعفت عزيمتهم واتكل بعضُهم على بعض بحيث نزلت مستويات قدرتهم عما كانت عليه في معركة بدر، فلم يحققوا شيئاً يُعتدّ به في معركة أحد. فبعد أن قال الله: ﴿**...إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ...**﴾ قال لهم: ﴿**...فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ...**﴾ وذلك لضعف الباعث على التضحية والقتال. فالسبب هم وليس الله ولاعلمه سبحانه. وهو لحد الآن عالم بحقيقتهم، ويقدر قوتهم واستعدادهم، وهو عالم ومحيط بهم ﴿**...وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ**

ذَرَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاءِ...﴾[١].

الشبهة الثالثة والثلاثون بعد المائة:

«قال القرآن عن بني إسرائيل: إن الله فضلهم كما في سورة البقرة: ﴿يَا بَنِى إِسرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٢] وكذلك في الآية ١٢٢ / البقرة كرّر النص نفسه. ولكن القرآن يقول إن المفضلين عنده جعلهم قردة وخنازير حسب سورة المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[٣] وحسب سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِى السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٤] وحسب سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٥] فكيف يفضل الله بني إسرائيل جميعاً على العالمين وفي نفس الوقت يجعل منهم قردة وخنازير؟».

---

(١) يونس: ٦١.

(٢) البقرة: ٤٧.

(٣) المائدة: ٦٠.

(٤) البقرة: ٦٥.

(٥) الأعراف: ١٦٦.

ردها:

خاسئ لغة: قال ابن منظور: الخاسئ من الكلاب والخنازير والشياطين: البعيد الذي لايُترك أن يدنو من الإنسان. والخاسئ المطرود. وقال الزجاج: خاسئاً أي صاغراً أشارة الى قوله ﴿...يَنقَلِبْ إِلَيكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1] وقال الراغب: خسأت الكلب فخسأ، أي: زجرته مستهيناً به فانزجر، وذلك إذا قلت له إخسأ قال تعالى: ﴿...كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

في هذه الشبهة أنكروا على الله عقوبته لبعض بني إسرائيل بأن مسخهم قردة وخنازير. وهو القائل: ﴿...وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فإذا كان مفضّلهم فكيف مسخهم؟

قلنا: إن النعم التي أغدق الله بها على بني إسرائيل لاحدود لها. ابتداءاً من الهداية والإيمان، وانتهاءاً بالنجاة من فرعون ونيل الاستقلال. وهذه الآية تشير الى نعمة التفضيل. ولعل البعض يتصور أن هذا التفضيل باقٍ الى الأبد. لكن الباحث في الآيات الخاصة ببني أسرائيل يجد أن تفضيلهم على غيرهم من أفراد عصرهم ومنطقة وجودهم وليس تفضيلاً مؤبداً. ومسألة التفضيل كمسألة الوراثة التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا...﴾[2]. فهذه الوراثة غير شاملة لجميع العالم، ولاهي وراثة مستمرة، بل المقصود مشارق المنطقة التي كانوا فيها ومغاربها. وهو أشبه بكون مريم عليها السلام سيدة نساء

---

(١) الملك: ٤.

(٢) الأعراف: ١٣٧.

عالمها لاسيدة نساء العالمين. ومقتضى إسباغ النعم وهذا التفضيل أن يكون مقابله التزام وتمسك بأوامر الله تعالى ونواهيه، وشكر له عزوجل لأنه المنعم والمتفضل، لا أن يُقابَل الإحسان بالصدود والعناد ومخالفة الأوامر، كما فعل أصحاب السبت الذين أراد الله اختبارهم فسقطوا في الاختبار، فاختار الله عقوبة المسخ للذين اعتدوا فقط. وليس لكل بني إسرائيل. وكانت عقوبتهم موازية لما تمتعوا به من النعم السابغة. وما استحقوا هذه العقوبة إلا بعدما ﴿...عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنهُ...﴾ والعتوّ غاية التمادي والعصيان. فكانت العقوبة غاية في الشدة والإذلال. إذن: ما قالوه في متن الشبهة: إن الله فضل بني إسرائيل جميعاً ليس بصحيح لأنه سبحانه لايكافئ العاصي بالتفضيل.

الشبهة الرابعة والثلاثون بعد المائة:

«توجد آيتان توضحان سبب مسخ الله بني إسرائيل الى قردة وخنازير، ولكن في الأولى سبب واحد هو الاعتداء يوم السبت ﴿وَلَقَدْ عَلمتُمُ الذينَ اعْتَدَواْ منكُمْ فى السَّبْت فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قردَةً خَاسئينَ﴾[١]. وفي الثانية كلُّ مانهوا عنه: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قردَةً خَاسئينَ﴾[٢]».

---

(١) البقرة: ٦٥.

(٢) الأعراف: ١٦٦.

ردها:

عجيب أمر هؤلاء. فالناس يتظاهرون بالذكاء والفطنة وهؤلاء يتظاهرون بالجهل والتعامي عن الحقيقة، حتى ساقهم جهلُهم الى القول بالتناقض بين الآية الأولى وبين الآية الثانية. في حين أن اعتداءهم يوم السبت هو نفس مانُهوا عنه. وهو عدم العمل يوم السبت وترك الصيد فيه فاحتالوا بحفر أحواض يدخلها السمك يوم السبت ثم يغلقونها فيصطادونه يوم الأحد. ومنطوق الآيتين الشريفتين مؤداه واحد، ونتيجته واحدة بدليل أن العقوبة واحدة ومن نوع خاص. فلو قال شخص: «ذهبت الى بغداد» ثم بعد ساعة قال: «سافرت الى بغداد» فهل في قوليه تناقض. ومن المعلوم أن أغلب تناقضات هؤلاء من هذا النوع. الأمر الذي يكشف عن جهل فضيع بلغة العرب، أو يكون الدافع إثارة تناقضات وشبهات حول القرآن الكريم حتى وإن كانت كاذبة أو سطحية. فإلى الله المشتكى من جهل الجاهلين وطعن المفسدين.

الشبهة الخامسة والثلاثون بعد المائة:

«قال في سورة الأعراف: ﴿...إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾(١) لكنه قال في سورة النمل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٢) وهذا تناقض».

ردها: الجهل لغة: قال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرُب: الأول: وهو خُلوّ النفس من العلم. الثاني: اعتقاد شيء بخلاف ماهو عليه. الثالث: فعل الشيء بخلاف ماحقه أن يُفعل.

والجاهل تارة يُذكر على سبيل الذم وهو الأكثر، وتارة لا على سبيل الذم نحو: ﴿...يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ...﴾ وقال ابن منظور: الجهل: نقيض العلم. وقد جَهِلَه فلانٌ جهلاً وجهالةً. وفي الحديث: «إن من العلم جهلاً» قيل: وهو أن يتعلم مالايحتاج إليه كالنجوم وعلوم الأوائل، ويدع مايحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسنة.

وهذه من الشبهات السطحية التي تُنبئ عن فراغ معرفي. فقالوا: بوجود تناقض بين قول الله عن لسان لوط عليه السلام ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ وبين قوله عن لسان لوط

---

(١) الأعراف: ٨١

(٢) النمل: ٥٥.

أيضاً: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ففي الآية الأولى قال: (مسرفون) وفي الثانية قال: (تجهلون). هذا هو منشأ التناقض المزعوم. فنقول لهم:

إن قوم لوط عليه السلام قد تركوا سبيل النساء واكتفوا بالرجال. وهذه معصية مبتدَعة كانوا أول من قام بها. ولتعدّيهم سبيل الفطرة الإنسانية الى غيره عدّهم القرآن متجاوزين مسرفين. أي: تعدّوا حدود الخلقة وهي حدود الله، ووقعوا في مستنقع الانحراف. وربما كانوا في كل شيء مسرفين. وماذاك إلا لجهلهم الطريق الصحيح لإشباع الغريزة الجنسية الذي شرّعه الله تعالى لتتناسل البشرية وتتكاثر كما أراد.

أما الآية الثانية فختمت القول بـ ﴿...بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي تجهلون حدود الله، وهدفَ الخلق ونواميسَه، وتجهلون آثار هذا الذنب وعواقبه الوخيمة. ولو عادوا الى أنفسهم وفكروا قليلاً لوجدوا عملهم هذا قبيحاً جداً، ولوجدوا أنفسهم شاذّين جنسياً. والدافع هو الجهل. إذن: لم تُخطئ الآية الأولى عند ماقالت: (مسرفون) ولم تناقض الآيةَ الثانية في شيء عندما قالت (تجهلون) لأن الإسراف جهل بالعواقب. وكلاهما شيء واحد من حيث النتيجة.

الشبهة السادسة والثلاثون بعد المائة:

«جاء في مطلع سورة النمل: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1] ولانرى في الآية أي شيء مبين بل بالعكس هو شيء مُبهَم غير مبين».

ردها:

أعادوا هنا ما ذكروه في الشبهة (٥٢) وقالوا: إن وجود الحروف المقطعة ينافي كونَ القرآن مبيناً، لأن هذه الحروف لابيان فيها ولامدلول لها. وذكروا هنا ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾. وادعوا أنها خالية من الإعجاز والبيان. أي: أن بداية الآية تناقض ذيلها. وردنا عليهم هو:

تسع وعشرون سورة قرآنية بدأت بحروف مقطعة. وهذه الحروف وإن كانت لا تعطي معنىً مفهوماً لنا، ولكنها قد تكون أسراراً بين الله تعالى وبين نبيّه صلى الله عليه وآله. والأمة غير معنية بها، كما هي معنية بسائر النصوص القرآنية الشريفة. وهذا أحد الآراء فيها. ثم إن التأريخ لم يحدثنا أن عرب عصر النزول عابوا وجودَ هذه الحروف المقطعة، مع أنهم قعدوا للقرآن كل مقعد، ولم نسمع أنهم اتخذوا من هذه الحروف وسيلة للطعن والاستهزاء، ثم إن هذا القرآن هو المتحدي الأول لبلاغة العرب وفصاحتهم، بل هو الذي حيّرهم نظمُه ونسجُه وبيانُه وسبكُه، مع أنه يتكون

---

(١) النمل: ١.

من نفس الحروف التي تتألف منها لغتهم. زد على ذلك: إن الله تعالى تحدى بالقرآن الجنّ والإنس وليس العرب وحدهم. فقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]. والظهير: المعين. وكما أن الله سبحانه خلق من التراب موجودات محيّرة كالإنسان مثلاً، والتراب مبذول بين أيدي الناس، ولكن لايستطيعون خَلْقَ طفلٍ صغير واحد. كذلك الحروف ـ مدار البحث ـ تجري على ألسنتهم جري الماء ويتحدث بها كبيرهم وصغيرهم، ولكن لايستطيعون أن يؤلّفوا سورة واحدة تُشبه سورَ القرآن الكريم. ثم انظر ـ أخي القارئ العزيز ـ الى الثقة العالية في تحدي القرآن لكل أولئك الأدباء والشعراء الذين كانت لهم سوق رائجة وبضاعة راقية كانت المعلقات السبعُ بعضَها، ولكن لما تحداهم القرآن لم ينبسّوا ببنتِ شفةٍ حيالَه.

إذن هذه الحروف وضعت في بدايات بعض السور لحكمة اقتضت ذلك ولم تكن أمراً عبثياً، وليست خالية من الفائدة كما ظن مثيرو الشبهة.

---

(١) الاسراء: ٨٨

الشبهة السابعة والثلاثون بعد المائة:

«جاء في سورة التوبة: ﴿الاَعْرَابُ اَشَدُّ كُفْراً وَنفَاقاً وَاَجدَرُ الاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا اَنزلَ اللّهُ عَلَى رَسُوله وَاللّهُ عَليمٌ حَكيمٌ﴾[1] وهنا نجد الأعراب أشد كفراً. وهو كلام واضح عن كل الأعراب. ولكن جاء في السورة نفسها ﴿وَمنَ الاَعرَاب مَن يُؤْمنُ بالله وَالْيَوْم الآخر وَيَتَّخذُ مَا يُنفقُ قُرُبَات عندَ الله وَصَلَوَات الرَّسُول الا اَنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخلُهُمُ اللّهُ فى رَحْمَته إنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحيمٌ﴾[2] فما هذا التحول السريع؟».

ردها:

الأعرابي لغة: قال ابن منظور: ورجل أعرابيّ، بالألف، إذا كان بدوياً صاحب نجعة وانتواءٍ وارتياد للكلأ، وتتبعٍ لمساقط الغيث. وسواء أكان من العرب أم من مَواليهم. ويُجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب. وقال الراغب: العرب ولْدُ إسماعيل، والأعراب جمعه في الأصل، وصار ذلك اسماً لسكان البادية... وقيل في جمع الأعراب أعاريب.

لو تريّثوا قليلاً لتوصلوا الى حقيقة ما أراده القرآن الكريم، ولكن شأنهم ودأبهم التسرّع دائماً. ولذا تفوتهم نكتة الكلام وفحوى العبارة. وها هم في هذه الشبهة قالوا: إن الله في قرآنه ذمّ الأعراب وسرعان ما مدحهم.

---

(١) التوبة: ٩٧.

(٢) التوبة: ٩٩.

فما عدا مما بدا؟ ولكي تتضح الحقيقة نقول:

أ ـ لم يُرد الله هنا تقسيمَ المجتمع الإنساني على أساس البداوة والحضارة، ولم يرد تفضيل الحضري على البدوي لأنه بدوي. ولو كانت البداوة إثماً لحرمها الله تماماً كما حرّم الظلم مثلاً، بل المعروف أن القرآن قسّم الناس على أساس التقوى ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ...﴾[1].

ب ـ إن سبب ذم الأعراب في القرآن ليس لكونهم أعراباً. وإنما سبب الذم كفرُهم ونفاقهم اللذان أدّيا الى الجهل بأحكام الله تعالى. نعم إن حياة البداوة بما أنها بعيدة عن أسباب الحضارة والرقي والمعرفة والثقافة توجب غلظةَ الطبع وجفوته. وخشونةُ الحياة في البادية تنعكس على أخلاق ساكنيها.

جـ ـ زيادة على ذلك ورودُ بعض الأحاديث بخصوص أطباع أهل البادية: «تفقهوا في الحلال والحرام وإلّا فأنتم أعراب» و «من لم يتورع في دين الله ابتلاه بسكنى الرساتيق» والرساتيق: جمع رستاق، وهي السواد.

د ـ إن ذم الله للأعراب سكنةِ البوادي لايعني خلوَّ الحواضر من الكفار والمنافقين، ولكن كفار البوادي أشدُّ كفراً ونفاقاً من أمثالهم في الحواضر.

هـ ـ لتأكيد نفاقية الأعراب ذكر القرآن في سورة التوبة أنهم كانوا يعطون صدقات أموالهم كسائر المسلمين، ولكنهم يرون ذلك الإنفاق خسراناً لاطائل من ورائه. فقالت: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ

(١) الحجرات: ١٣.

مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

و ـ استناداً الى عدل الله المطلق لايصح حملُ كلمة الأعراب في الآية الأولى والثانية على إطلاقها؛ لأن منهم من لم ينطبق عليه الوصف الذي ذُكر آنفاً. ولذا أشارت الآية / ٩٩ الى تلك الحقيقة فقالت: **﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ...﴾** و(من) هنا تبعيضية.

إذن: أهل البادية كغيرهم فيهم المنافق وفيهم المؤمن الذي ينفق لوجه الله، ورغبة في دعاء الرسول صلى الله عليه وآله وبسبب هذا الإنفاق وهذه العقيدة يُدخلهم الله جنته. فلا تناقض ولا تحولَ سريعاً في الآيات الثلاث، ولكن بعضَها أطلق، وبعضَها قيّد. وليس بين الإطلاق والتقييد تناقض.

الشبهة الثامنة والثلاثون بعد المائة:

«جاء في سورة الأحزاب: **﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمسِكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَا قَضَى زَيدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾**[2] وهنا نجد محمداً يخشى

---

(١) التوبة: ٩٨.

(٢) الاحزاب: ٣٧.

الناس ولا يخشى الله، ويُظهر عكس مايُبطن حيث يُخفي في نفسه من حبّه لزوجة زيد ابنه بالتبنّي. وهنا لانرى مايقوله القرآن من صفات وأخلاق محمد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]».

ردها:

الوطر لغة: قال ابن منظور عن الليث: الوَطَر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همّة فهي وَطَرُه. قال: ولم أسمع لها فعلاً أكثر من قولهم قضيتُ من أمر كذا وطري أي: حاجتي. وجمع الوطر: أوطار. وقال الراغب: الوطر: النهمة والحاجة المهمّة.

قلنا سابقاً: إن هؤلاء لما أعوزتهم الشبهات صاروا يكررون بعضها، ولكن بصياغة جديدة. ففي الشبهة (٦٠) ذكروا جانباً من هذه الشبهة فقالوا: كيف يقول الله عن النبي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يخشى الناس ولايخشى الله، ويُظهر شيئاً ويُخفي شيئاً؟ وهذا الاستفهام الإنكاري يخص زواجه صلى الله عليه وآله من زينب بنت جحش زوجة ربيبه زيد بن حارثة بعد أن طلقها زيد. وزيد هذا كان مملوكاً للنبي صلى الله عليه وآله ثم أعتقه، كما أنه كان ابنه بالتبنّي، وكان السائدَ في ذلك الوقت عدمُ جواز الزواج من زوجة الابن المتبنّى إذا طلقها، ولكن الله أراد إلغاء هذا العرف الجاهلي، فاختار رسوله لكسر هذا الطوق.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتمنى أن تكون زينب زوجة له. وزينب يساور قلبها نفسُ الشعور. ولكن هناك عقبة اجتماعية تحول دون

---

(١) القلم: ٤.

ذلك. وهي: العرف الظالم الذي يمنع مثل هذا الزواج. وكان النبي صلى الله عليه وآله يخشى القيلَ والقال، ويخشى أن يكون زواجه من زينب حربةً بيد أعدائه، مع علمه أن زينب ستكون زوجته في آخر المطاف. وقد أخبره الله بذلك.

فخوف النبي كان من احتمال أن يؤثر زواجُه على توسع الإسلام، أو يؤثر سلباً على ضعفاء النفوس. وخوفه هذا ليس قِبال خوفه من الله تعالى. إذ أن الخوف منه أولى وأحق. وهذا أمر مفروغ منه. ولكن لما كان النبي في قمّة الهرم وقائداً للأمة. والقادة دائماً يخشون فتح الثغرات على أنفسهم، فكان يخشى الناسَ من هذا الباب.

وهذا من شدة مروءته وتقواه وحيائه، وقلقه على منصبه الإلهي. وتشير الآية الى أن زواجه بأمر من الله وهو المعني أولاً بتطبيق وتنفيذ أوامر الله ـ عزوجل ـ ﴿...**فَلَما قَضَى زَيدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا**...﴾ ثم تعلّل الآية وتذكر السبب لهذا الزواج: ﴿...**لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى اَزْوَاجِ اَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً**...﴾ ولوجوب تنفيذ أوامر الله تعالى قالت الآية ﴿...**وَكَانَ اَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً**﴾ إشارة الى وجوب الحزم في مثل هذه الأمور، حيث لامعنى للاستسلام أمام الضجيج والصَخب. خصوصاً إذا كان الهدف عاماً وأساسياً. ومع هذا كله ظلت هذه المسألة موردَ استغلال بعض أعداء الاسلام، فصوّروها قصة غرامية ليطعنوا، ويشوهوا صورة النبي صلى الله عليه وآله. ومن أولئك الأعداء القدامى أعداءُ اليوم ومثيرو هذه الشبهات التي لا طائل منها.

الشبهة التاسعة والثلاثون بعد المائة:

«قال في سورة المؤمنون: ﴿...فَلاَ أَنسَابَ بَينَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ﴾[1] مع أنه ورد في سورة الصافات: ﴿وَأَقْبَلَ بَعضُهُمْ عَلَى بَعضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾[2] ففي الآية الأولى قال (ولا يتساءلون) وفي الثانية قال (يتساءلون) وهذا هو التناقض».

ردها:

النَسَبُ لغةً: قال ابن منظور: النسب: نسب القرابات وهو واحد الأنساب. وقال الراغب: النسب والنسبة: اشتراكٌ من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان: نسب بالطول كالاشتراك من الأباء والأبناء. ونسب بالعَرْض كالنسبة بين بني الإخوة.

قلنا في المقدمة: إن لحصول التناقض شرائط. منها: وحدة الزمان فلا يتحقق اجتماع النقيضين في قولك: «الجو حارٌ صيفاً، الجو ليس حاراً شتاءاً» لعدم اتحاد الزمان. ومنها وحدة المكان فلا يتحقق اجتماع النقيضين في قولك: «الجو حارٌ في البصرة، الجو ليس حاراً في باريس». لاختلاف المكان. ولنجعل من هاتين القاعدتين منطلقاً للرد على هؤلاء القائلين بأن آية ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَينَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ﴾

---

(١) المؤمنون: ١٠١.

(٢) الصافات: ٢٧.

تناقض الآية ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾ ونقول المراد بالنفخة: هي النفخة الثانية التي يحيا فيها جميع الأموات، لا النفخة الأولى التي تُميت جميع الأحياء. لأن من آثار النفخة الثانية انتفاءَ الأنساب فلا يَسأل الأبُ عن ابنه، ولا الأمُّ عن ولدها، ولا الزوجُ عن زوجته، ولا الأخُ عن أخيه. لانشغال كلٍ عن صاحبه بنفسه. والأنساب إنما يرعاها الإنسان في الدنيا لحاجته الى أبيه أو أخيه أو عشيرته لتنقذه من مأزق هو فيه، أو تُعينَه على قضاء حاجاته. ويوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون ولا عشيرة ولا رباط عائلي، ولا يُغني النسب مهما كان في الدنيا ساعة سَوق الخلائق الى الحساب، لذلك نفت الآية الشريفة الأنساب لانتفاء آثارها في ذلك اليوم. فيكون الناس كأن لم تجمعهم في الماضي أنساب. ولهذا لايسأل بعضُهم عن بعض.

إذن: هذه الآية تتحدث عن حال الناس في موقف من مواقف يوم القيامة كما هو واضح. أما الآية الثانية ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ...﴾ فإنها تحكي عن تساؤل بعض أهل النار ـ بعد دخولها ـ وكذلك الآية ٥٠/ الصافات: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾ تحكي تساوءل أهل الجنة ـ بعد دخولها ـ فأهل النار لمّا كانوا في مواجهتها نشأ بينهم نوعُ تخاصمٍ بين الأتباع والمتبوعين في الدنيا. فقال الأتباع لمتبوعيهم: لم أضللتمونا؟ فقال المتبوعون: لم قبلتم منّا وماكان لنا عليكم من سلطان؟ فعبّرت الآية عن حالة العتاب بينهم بالتساؤل. وأما حال أهل الجنة فصورتها الآية ٥٠/ الصافات حكاية عنهم إذ يسأل بعضهم عن أحوال بعض. وتنتهي المحادثة بينهم الى

تكليمهم بعض أهل النار وهو في سواء الجحيم.

وشرح ذلك موجود في كتب التفاسير لمن أراد المزيد. فالمحصلة هي: أن آية سورة (المؤمنون) تحدثت عن حال أهل المحشر في يوم القيامة. وسورة الصافات تحدثت عن حال أهل النار مرّة وهم فيها، ومرة عن حال أهل الجنة وهم فيها. إذن: لم يتوفر شرط حصول التناقض لاختلاف وحدة المكان والزمان.

الشبهة الأربعون بعد المائة:

«قال في سورة التوبة: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا...﴾[1] وهنا نجد محمداً يقول ﴿...إِنَّ اللّهَ مَعَنَا...﴾ أي قدّم الله على نفسه وصاحبه. أما في سورة الشعراء قال موسى ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2] فقدم نفسه على الله».

ردها:

الحُزْن لغةً: قال ابن منظور: الحُزْن والحَزَن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور. قال الأخفش: والجمع أحزان لايُكسَّر على غير ذلك. وقد حزن بالكسر حَزَناً وتحازَنَ وتحزَّنَ. وقال الراغب: الحُزْن والحَزَن: خشونة في

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) الشعراء: ٦٢.

الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيها من الغمّ، ويُضادّهُ الفرح.

في هذه الشبهة ذكروا قولين: واحداً حكاه القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو: ﴿...لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا...﴾. والثاني حكاه القرآن عن موسى عليه السلام وهو: ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي...﴾ وقالوا: محمد يقدّم ربَّه وموسى يؤخره وهذا تناقض كيف يشتمل عليه القرآن؟

لاندري من أين يأتي هؤلاء بالخوارق العلمية والنبوغ المنطقي الذي لم يلتفت اللهُ إليه، فجمع بين نقيضين في كلامه مع استحالة اجتماعهما عقلاً. والتفتوا إليه هم وعدّوه مثلبة في كتاب الله؟ فطعنوا بالقرآن الكريم من خلال قولين منسوب كل واحد منهما الى نبي، وليس في أحدهما عيب أو إشكال سوى أن النبي محمد صلى الله عليه وآله قدم لفظ الجلالة على المعية، وموسى عليه السلام قدم المعية على لفظ الجلالة. والوجه فيه:

أن موسى عليه السلام نظر من خلال نفسه الى ربه. وهذا مقام العارف المريد. أي: لما كان موسى عارفاً بنفسه المؤمنة التي هي منحة ربانية نظر من خلالها الى ربه الواهب لكل شيء المعين في كل شدّة، فجعل نفسه كالنافذة التي ينظر منها الى خالق عالم الوجود وعجائب الخلق بكل يقين وثقة، ويعرف أن ما يحذر منه قومُه حينما قالوا: ﴿...قَالَ أَصحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[١] لن يقع، لأن الله وعده أن يكون معه ومع هارون. قال: ﴿...إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسمَعُ وَأَرَى﴾[٢]. أما نبينا صلى الله عليه وآله فقد نظر من

(١) الشعراء: ٦١.

(٢) طه: ٤٦.

خلال الله تعالى الى نفسه ومَن معه أياً كان. وهذا مقام المراد. ومرتبة المراد بالنسبة الى المريد أعلى وأنبل.

وكلا العبارتين لاعيب فيه ولا إشكال؛ لأن خُلق الأنبياء عليهم السلام وأدبَهم في التعاطي مع ربهم لا يتسرب إليه الشك مهما حاول المتربصون. ثم أين هذا التناقض الذي يتوسلون به؟ موسى عليه السلام قال قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة: (إن معي ربي) ورسول الله صلى الله عليه وآله قال قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة: (إن الله معنا) فكيف جمع هؤلاء بين قوليهما وصنعوا تناقضا منهما؟ فإذا كان هذا غايةَ علمهم، فأساطيرُ جدّتي خيرٌ منه.

الشبهة الواحدة والأربعون بعد المائة:

«قال في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1] يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «طلب الله من موسى أن يبلّغ بني إسرائيل: أن السبيل الوحيد للتكفير عن خطيئتهم هذه هو أن يقتل كلٌ رجل أو شاب من بني إسرائيل كلَّ من يقابله، ولاتأخذه به شفقة، وقيل كانوا يضعون عصابات على أعينهم حتى لا تأخذهم شفقة بذويهم، فيمتثلون لحكم الله ويقتل كل منهم الآخر». ويقول ابن كثير: «إنه قد وقع مالايقل عن سبعين ألف قتيل.

(١) البقرة: ٥٤.

حتى اكتفى الله وكانت الدماء تسيل كالأنهار، فأمر الله موسى أن يطلب منهم الكفَّ فقد قُبلت توبتهم. وأما من بقي حياً فقد كُفِّر عنه بدم من قُتل، حتى ولو لم يعبد العجل معهم» أي هناك شخص لم يعبد العجل مات لتحقق كفارة من عبد العجل ولم يمت. وهذا ضد قول القرآن: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾[1]. وضد سورة الإسراء: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِه وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2] وضد قوله في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيرَ اللهِ أَبْغِي رَباً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[3]».

ردها:

الوزر لغة: قال في اللسان: والوِزْر: الحمل الثقيل، والوزر: الذنب لثقَله. وجمعُه: أوزار. وأوزار الحرب وغيرها: الأثقال والآلات. واحدها: وِزْر. وقال الراغب: الوِزْر: الثقَلُ تشبيها بوَزْر الجبل، ويُعبر بذلك عن الاثم كما يعبّر عنه بالثقل. وقوله تعالى: ﴿...وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ أي لا يُحمل وزرُه من حيث يتعرّى المحمول عنه.

---

(١) فاطر: ١٨.

(٢) الاسراء: ١٥.

(٣) الأنعام: ١٦٤.

عاد مثيرو الشبهات الى الشك في عدل الله تعالى وخلطوا حابلها بنابلها عسى أن يهمزوا كتاب الله المجيد ويلمزوه. فقالوا: إن بني إسرائيل عبد أكثرُهم العجل وهو شرك واضح، فقال لهم نبيهم موسى عليه السلام حسب تعبير القرآن ﴿...فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ...﴾ فحدث القتال، فقال الله كفّوا. ومعناه أن قسماً قُتلوا فغفر الله عنهم، وقسماً لم يُقتَلوا وظلوا أحياءاً وغُفر لهم أيضاً. وفيه حيفٌ واضح؛ لأن من بقي حياً غُفر له بسبب من قُتل منهم. والله يقول: ﴿...وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ ورد الشبهة هو:

بدأت الآيات التي سبقت الآية ٥٤/ البقرة بتعداد النعم التي غمر الله بها بني إسرائيل وهي كثيرة، ثم طرح موضوع ارتدادهم عن عبادة الله تعالى. وذلك باتخاذهم العجل رباً من دون الله سبحانه، وذكر لهم أن عملهم هذا ظلم مابعده ظلم ﴿...إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] وتضمنت الآية أمراً إلهياً بالتوبة الشديدة المنسجمة مع شدة الظلم الذي صدر منهم، لأن بني إسرائيل شاهدوا ماشاهدوا من آيات الله ومعجزات نبيهم موسى عليه السلام، ثم نسوا كل ذلك دفعة واحدة. وكان حريّاً بهم أن يذوبوا في الله حبّاً وطاعة وشكراً، لا أن يتخذوا إلهاً دون الله تعالى. وأي إله؟ إنه عجل صنعه بشر مثلهم لاحياة فيه ولا حركة. فقالت لهم الآية: إنه عجل مخلوق ضعيف محتاج الى غيره. وهو أضعف منكم. فأي ترجيح له عليكم حتى تؤثروه على أنفسكم وتعبدوه؟

بل الترجيح لكم؛ لأنكم أصحاب عقول ومنطق ومعرفة. أفلا

---

(١) لقمان: ١٣.

تتفكرون وتتوبون؟ فتوبوا ﴿...فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ...﴾ إظهاراً للتوبة وفرط الندم. وهذا خير لكم من بقائكم في الدنيا أياماً معدودة، ثم تموتون فتدخلون النار مخلّدين فيها. وتوبتكم ـ في نظر الله ـ أفضل من دَنَس الشرك وعبادة العجل. فأمر موسى الجانحين الى عبادة العجل في ليلة ظلماء أن يغتسلوا ويلبسوا الأكفان ويُعملوا السيفَ فيما بينهم. فكان هذا القتال كاشفاً حقيقياً عن صدق توبة الجميع، فصدر الأمر الإلهي بإيقاف القتال وقبول التوبة. وقد تسأل ـ أخي القرئ الكريم ـ عن سبب اختلاف توبة بني إسرائيل عن توبة أمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. ونجيب:

إن ذنبهم المتمثل بعبادة العجل يهدد المشروع التوحيدي في حركة موسى عليه السلام وجميع الأنبياء عليهم السلام. فلو تساهل موسى مع ظاهرة عبادة العجل، لأمكن أن تبقى سُنّة في الأجيال المقبلة والى يوم الناس هذا. فكان الموقف يستدعي عقاباً صارماً ورادعاً لهم، ولمن يأتي بعدهم يقيهم السقوط في مستنقع الشرك. إذن: ليس كما قال سماسرة الشبهات: إن قسماً غُفر لهم بسبب قتل قسم آخر. وقد تبين أن قوله تعالى: ﴿...وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ ليس له علاقة ـ قريبة أو بعيدة ـ بما نحن فيه. بقي شيء مهم لابد من بيانه وهو:

إن القرآن الكريم نسب معاصي بني إسرائيل الى كل بني إسرائيل مع أن مرتكبها بعضُهم. فكيف حصل هذا؟

نجيب: لكونهم جامعة ذات قومية واحدة يرضى بعضُهم بفعل بعض ـ في الغالب ـ ويُنسب فعلُ بعضهم الى آخرين لمكان الوحدة الموجودة

فيهم، وإلا فمن الواضح أنه ليس كل بني إسرائيل عبدوا العجل، ولا كلهم قتلوا الأنبياء. وعلى هذا فقوله تعالى ﴿...فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ...﴾ إنما يعني قتل البعض. وهم عبّاد العجل كما يدل عليه قوله ﴿...إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ...﴾ أي بعضكم. وعلى كل حال فمما يظهر أن الأمر بالتوبة كان امتحانياً نظيرَ ما وقع في رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده إسماعيل عليه السلام، فأمضى الله قول موسى ﴿...فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ...﴾ وجعل قتل البعض قتلاً للكل فقبل توبتهم. وهذا من رحمته وعفوه إنه هو التواب الرحيم.

الشبهة الثانية والأربعون بعد المائة:

«جاء في سورة الأنعام: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وهنا محمد يؤكد أنه لا يعلم الغيب، ولكن في الآيات التالية نرى محمداً يعلم الغيب حسب سورة هود: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] وحسب سورة آل عمران ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ

(١) الأنعام: ٥٠.

(٢) هود: ٤٩.

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ...﴾[١] رغم أن تلك الأحداث حدثت قبل محمد ويعرفها كثير من عرب الجاهلية وأهل الكتاب اليهود والنصارى الذين تحاور القرآنُ معهم كثيراً، فليس فيها غيب أو وحي لكنها محاولة لالتماس النبوة».

ردها:

الغيب لغة: قال ابن منظور: الغيب: كلُّ ما غاب عنك. قال أبو إسحاق في قوله تعالى: ﴿...**يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**...﴾ أي يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله من أمر البعث والجنة والنار. وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به، فهو غيب.

الخزائن لغة: قال ابن منظور: وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ**...﴾ قال ابن الأنباري: معناه غيوب علم الله التي لا يعلمها إلا الله. وقيل للغيوب خزائن لغموضها على الناس واستتارها عنهم. وقال الراغب: الخَزْن: حفظُ الشيء في الخزانة، ثم يعبّر به عن كل حفظ كحفظ السرّ ونحوه... وقوله: ﴿**وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ**...﴾ أي مقدوراته التي منعها الناس؛ لأن الخزن ضربٌ من المنع.

إن كل مافي هذه الشبهة أن النبي صلى الله عليه وآله لايعلم الغيب حسب آية سورة الأنعام، ثم قالوا: لكنه حسب آية سورة هود يعلم الغيب، وحسب آية سورة آل عمران كذلك. فنشأ في تصورهم تناقض في أقوال القرآن الكريم. ورداً عليهم نقول:

أ ـ الغيب مصدر غابت الشمس إذا استترت عن العين واستعمل في

---

(١) آل عمران: ٤٤.

كل غائب عن الحاسة وعمّا يغيب عن علم الانسان بمعنى الغائب.

ب ـ إن الله تعالى عالم كل غيب علماً يختص به فلا يُطلع على غيبه أحداً من الناس إلا من استثناه سبحانه لخصوصية فيه. وعليه يكون الله عالماً بكل غيب لذاته. وغيرُه ـ إن عَلمَ الغيب ـ فبتعليم من الله عزوجل. قال تعالى في سورة الجن: ﴿عَالِمُ الْغَيبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِه اَحَداً﴾ ﴿إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُول...﴾[١] و (من رسول) بيان لقوله (من ارتضى) فيفيد: أن الله تعالى يُظهر رسلَه على ماشاء من الغيب المختص به إذا وُجدت المصلحة وألحّت الضرورة. وليس النفي (فلا) هنا نفياً تأبيدياً.

جـ ـ إن الغيب والشهادة لديه سبحانه شيءٌ واحد. والغيب الذي تخفى علينا حقيقته هو شهادة أيضاً لدى الله تعالى.

د ـ أنباء الغيب هي المعلومات الخفية على رسول الله صلى الله عليه وآله التي لم يكن قد اطّلع عليها سابقاً. فهي بالنسبة إليه غيب. مثل: ماجرى على نوح وقصة إبراهيم ويوسف عليهم السلام جميعاً، واقتراع علماء اليهود على كفالة مريم، وغير ذلك كله عبّر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ اَنبَاء الْغَيبِ نُوحِيهَا إلَيكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا اَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا...﴾ أي تلك المعلومات التي زوّدناك بها هي من الغيب الذي شئنا أن نطلعك عليه. وقد كانت خافية عليك وعلى قومك؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يدرس التوراة ولا الإنجيل ولا قومُه درسوا ذلك فقد كانوا أميين. زد على ذلك: إن المعلومات التي بين أيدي أهل الكتاب معلومات مزيفة

(١) الجن: ٢٦ ـ ٢٧.

ومحرّفة. أمّا ما أطلع اللهُ نبيَّه عليه فهو أصدق الكلام.

هـ ـ هل يوجد وسيط بين الله وبين رُسُله أصدق من جبرئيل، أم أن علماء اليهود والنصارى الذين حرّفوا وبدّلوا أصدقُ منه؟ فكيف يقول مثيرو الشبهة: إن مابين أيدي عرب الجاهلية وأهل الكتاب هو الذي أوحاه الله الى رسوله، فليس هو بغيب لأنه معلوم وشائع بين أقوام هم أقدم من النبي صلى الله عليه وآله، وكيف ساووا بين ما أوحاه الله، وبين ما كتبه أهل الكتاب؟ إنها مفارقة عجيبة.

و ـ إن الوحي بيّن قصص الأنبياء وماجرى على بعضهم من دون خيال ومبالغة، بل نقلها بواقعية ليست موجودة في كتب الماضي من التاريخ المليئة بالأساطير التي أضاعت الحقيقة على القارئ. فما بقي لدى أهل الكتاب ليس غيباً في الواقع.

الشبهة الثالثة والأربعون بعد المائة:

«قال في سورة الأنعام: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[(١)] أي لا يعلم الغيب إلا الله، لكن يوسف يعلم الغيب حسب سورة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ

---

(١) الأنعام: ٥٩.

﴿يَمْكُرُونَ﴾[1]».

ردها:

المَكر لغة: قال ابن منظور: المَكْر: احتيال في خُفية. وقال ابن سيده المكر: الخديعة والاحتيال، مَكرَ يَمكُر مكراً ومكرَ به. قال ابن الأثير: مَكرُ الله: إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه. وقيل هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة. وقال الراغب: المَكر: صرفُ الغير عمّا يقصده بحيلة. وذلك ضربان: مكر محمود وذلك أن يتحرّى فعل جميل وعلى ذلك قال: ﴿...وَاللّهُ خَيرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ومذموم وهو أن يتحرّى به فعل قبيح. قال تعالى: ﴿...وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ...﴾.

هنا كرروا الشبهة السابقة بصياغة مختلفة وقالوا: لايعلم الغيب إلا الله وذكروا آية سورة الأنعام، ثم أردفوا قائلين: لكن يوسف يعلم الغيب ايضاً وذكروا آية سورة يوسف. والآن لنرَ ما في الآية الأولى:

أ ـ ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...﴾ هذا تعبير كنائي عن أن الله تعالى عالم بما في تلك الخزائن بدليل أن مفاتحها بيده، وقادر على التصرف بها كيف شاء ومتى شاء؛ لأنه المالك الحقيقي لها.

ب ـ لقد ذكر الله ـ عزوجل ـ خزائنه وخزائن رحمته في سبعة مواضع. ولم يذكر لها مفاتيح إلا في هذه الآية. وكيف كان فعلم الغيب منحصر به تعالى؛ لأن خزائن الغيب لا يعلمها إلا الله. أو لأن مفاتيح الغيب لايعلمها غيرُه فلا سبيل لغيره الى تلك الخزائن.

---

(١) يوسف: ١٠٢.

جـ ـ إن علم الله غيرُ محدود بالنسبة لنا وعلمنا محدود. ولذا صرنا لانعرف مابتلك الخزائن؛ لأن مافيها خارج عن حدود الحد والقدر، أما هو سبحانه الذي يكون الغيب عنده كالشهادة فهو عالم بما في خزائنه وهو القائل: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وعليه يكون ما أخبر به رسلَه شيئاً من ذلك الغيب ولكن بقدر الحاجة. فإذا وصلت المعلومة الغيبية من الله عن طريق الوحي الى الرسول وحكاها الرسول الى قومه فحينئذ لاتسمّى غيباً، لانتشارها واشتهارها في حيّز علم الانسان بعد أن كانت في حيّز علم الله فقط.

د ـ الآية ١٠٢ / يوسف هي خطاب للنبي صلى الله عليه وآله، تخبره بما جرى على يوسف عليه السلام. والضمير في (لديهم) عائد على إخوته. وقصة يوسف بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله من أنباء الغيب؛ لأنه ماكان حاضراً مع يوسف ولامع إخوته عندما عزموا على المكر به. فأطلع الله رسوله على قصته عليه السلام فقال له: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ اَحسَنَ الْقَصَصِ بِمَا اَوْحَيْنَا إِلَيكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1]. أي أن النبي لم يكن عارفاً بالقصة وتفاصيلها لولا أن قصّ الله عليه ذلك.

هـ ـ إن النبي صلى الله عليه وآله صار عالماً بما كان غيباً بوساطة تعليم الله له، ولم يكن مستقلاً بعلم الغيب. فعلمه كسبي وعلم الله ذاتي. والفرق بينهما واضح. وهكذا نبي الله يوسف وجميع الأنبياء الذين أطلعهم الله على

---

(١) يوسف: ٣.

شيء من مكنون علمه. صاروا يعلمون الغيب؛ لأن الله أعلمهم به ولولا ذاك لبقوا عنه غافلين.

الشبهة الرابعة والأربعون بعد المائة:

«إن سورة النور حددت عقوبة الزانية والزاني مائة جلدة فقالت: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ...﴾[١] وحددت سورة النساء[٢] الموت عقوبة للزنا. فإن لم يكن هذا هو التناقض فما هو التناقض؟ وإن قلنا: إن هذا هو الناسخ والمنسوخ قلنا الناسخ والمنسوخ هو نوع تناقض واضح».

ردها:

سوف لانرد على مقدمة ماجاء في الشبهة فقد قمنا بذلك في الرد على الشبهة (٧١) و (٩٥) و (١٣١) فهم في كل مرّة يحذفون شيئاً أو يُضيفون شيئاً ليصنعوا شبهة جديدة. وهذا جهد العاجز. وماتطرّقوا إليه في الآخر هو النسخ حيث قالوا: «الناسخ والمنسوخ هو نوع من التناقض واضح جداً» فنقول:

أ ـ ماهو النسخ لغة؟ هو الإزالة: يقال نسخت الشمسُ الظلَّ. إذا أزالته. والنسخ في الاصطلاح: إلغاء أثر النص الشريف من حيث إنه نص مع بقاء

---

(١) النور: ٢.

(٢) النساء: ١٥.

أصله. أي: تغيير حكم شرعي، وإحلال حكم آخر محله. وعليه لايكون النسخ جمعاً بين حكمين ـ جديد ومُلغى ـ ولهذا نقول لهؤلاء المساكين: هل تفرقون بين الإلغاء والجمع أم لا؟ إذا كنتم تفرقون بينهما فلا تناقض، وإلا فالسكوت لكم أفضل.

ب ـ ماهو الغرض من النسخ؟ الجواب: إن الأحكام التي يتم نسخُها كانت موضوعة ـ من حيث الأصل ـ لفترة محدودة. وعندما ينتهي أمدها وذلك لتغير موارد مصالح العباد فلابد من إلغائها واستبدالها بحكم جديد يضمن للناس نظامهم وسعادتهم. وهذا كاشف عن قدرة الله تعالى وإرادته وحاكميته لعموم خلقه، كما أن النسخ المشار إليه يثبّت قلوب المؤمنين ويطمئنهم بأن الله سبحانه معهم يرعى مصالحهم. فلا يتراجعوا أمام حملات التشكيك، ولابد من الاعتماد على الله؛ لأنه السند الحقيقي للعباد المؤمنين.

جـ ـ هذه بعض الأمثلة على النسخ وإن كانت الموارد كثيرة ولكن نأخذ منها قدر الحاجة:

أولاً: كان المسلمون يصلون بعد الهجرة الى المدينة تجاه بيت المقدس مدة ستة عشر شهراً. ولما قال اليهود للمسلمين: إن الدين دينُ اليهود، وإن القبلة قبلةُ اليهود. ولذا فإن نبيكم يصلي باتجاه قبلتنا فنزلت الآية ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾[1] فتوجه رسول الله وجميع المسلمين نحو مكة.

---

(١) البقرة: ١٤٤.

ثانياً: آية سورة النساء أقرّت معاقبة الزانية المتزوجة إذا ثبت عليها الزنا بإقامة أربعة شهود بالإمساك في بيتها حتى الموت. ثم جاءت السنة الشريفة بحديث الرجم لهذه الزانية فنُسخت آية الإمساك. وقد ذكرنا سابقاً أن القرآن الكريم يُنسخ بالسنة القطعية وبالإجماع الكاشف عن دخول المعصوم فيه.

ثالثاً: سورة البقرة قالت: ﴿...فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ...﴾[1] مراعاة لحال المسلمين في بداية الأمر، ثم لما صارت لديهم عُدّة وعدد نُسخت هذه الآية بآية القتال: ﴿وَقَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...﴾[2]. الى غير ذلك من الأمثلة.

د ـ اعتاد اليهود من قبلُ على الاعتراض والعناد، وأبناؤهم يقولون اليوم مثلما قالوا: لو كان في الحكم السابق مصلحة فلماذا نسخ؟ وإن لم يكن كذلك فلماذا شُرِّع؟ ولماذا لم تطرح الشريعةُ من البداية حكماً غيرَ قابل للنسخ؟ وجوابه:

إن بعض حاجات الانسان ثابتة لا تتغير؛ لأنها مرتبطة بفطرته وطبيعته. وبعضَها الآخر يتغير بتغير الزمان وتقلّب البيئة. وهذه التغيرات قد تضمن سعادة الإنسان في زمن معين، لكنها تُصبح عقبةً أمام تقدمه في زمان آخر. كما أن الطبيب قد يعطي للمريض علاجاً في وقت معين ثم يأمر بتركه في وقت آخر تبعاً لحال المريض. وقد يكون درسٌ معين مفيداً للطالب في

---

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) البقرة: ١٩٠.

مرحلة دراسية معينة، لكن هذا الدرس يُصبح عديم الفائدة في مراحل دراسية متقدمة، لذلك ينبغي أن يوضع جدولُ الدروس بشكل ينسجم مع حاجة الطالب الحقيقية. والنسخ من هذا القبيل يراعي المصلحة دائماً. ولذا شرع الله أحكاماً وهو يعلم بأنها لاتدوم، لتغيّر الحال في الزمن المقبل، فيستبدلها بغيرها حسبما تقتضيه حكمته. فأين هذا مما قاله المتربصون؟

الشبهة الخامسة والأربعون بعد المائة:

«جاء في سورة الدخان: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾[1] وفي سورة الحجر: ﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2] فالأقوال غير متطابقة في الآيتين تماماً، وهي أقوال نفس الناس ونفس الموقف. ولايُعقل أن يذكر أحدُ المشركين كلمة (الذكر)».

ردها:

الجنَّة لغة: قال في اللسان: الجِنَّة: الجُنون أيضاً. وفي التنزيل العزيز ﴿...أَم بِهِ جِنَّةٌ...﴾ والاسم والمصدر على صورة واحدة، ويقال: به جِنّة وجنون ومَجَنَّة.. والجِنَّة: طائف من الجنّ، وقد جنّ جنّاً وجنوناً واستجنّ.. وأجنّه الله، فهو مجنون.

في هذه الشبهة إثارتان: الأولى: اختلاف نصين شريفين. ففي سورة

---

(١) الدخان: ١٤.

(٢) الحجر: ٦.

الدخان (معلَّم مجنون) وفي سورة الحجر ﴿...إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ والثانية: انكار تسمية المشركين للقرآن بأنه ذكر. وجوابنا هو:

إن في الآيتين معاً دلالةً واضحة على الصدود والإعراض الذي واجهته دعوة النبي صلى الله عليه وآله من قبل المشركين؛ لأنهم قوم يجهلون. والجاهل إذا واجه رجلاً حكيماً يرميه بالجنون؛ لأنه لايستوعب الحكمة والمعقول. وهؤلاء المشركون يخشون من كل جديد، ويتمسكون بالعادات والتقاليد القديمة حتى وإن كانت منافية للرحمة والذوق والموقف النبيل. زد على ذلك: إن الذي استهوته الدنيا وعاش بعيداً عن المعاني الروحية والقيم الإنسانية، ويُوزِن كلَّ شيء بمعايير مادية. فإذا عُرض عليه مبدأ يرعى القيم ويخطط للسكن الأبدي في الجنة، فإنه يعتبر ذلك ضرباً من الجنون. ولما رأوا النبي صلى الله عليه وآله عُرضت عليه الدنيا بكل مافيها فأبى أن يقبلها إلا أن يواصل الدعوة الى الله، ويحارب الشرك بشتى صوره قالوا عنه: إنه مجنون.

والملفت للنظر أن هؤلاء همجٌ لايفقهون حديثاً. فتارة يرمونه بالجنون، وتارة يقولون إنه ساحر. مع أن الساحر لابد له من الذكاء والنباهة. فهل يُعقل أن يكون المجنون ساحراً؟ نعود الى الإثارة الأولى التي أيقظتهم من نومة الغافلين ونقول: لقد أشرنا في رد الشبهة الخامسة والسادسة الى أن القرآن الكريم يعرض القصة الواحدة بأساليب مختلفة مما يجعلها جديدة دائماً كأنها تعرض للمرة الأولى. وذلك بزيادة الصور التي فيها أو تغيير العبارات أو غير ذلك. ففي الآية الأولى كشف عن قولهم: إن النبي كان

يتعلم الأفكار من شخص رومي ثم ينسبها الى ربه، ويدّعي أنها تنزل عليه بطريق الوحي. فرموه بالجنون. وفي الآية الثانية زيادة على تهمة الخلل العقلي. وهي: إن قومه صلى الله عليه وآله كانوا يستهزئون به ويسخرون منه وذلك ماسيتضح من الآتي.

الإثارة الثانية: ﴿...يَا اَيُّهَا الَّذى نُزِّلَ عَلَيْه الذِّكْرُ...﴾ أي القرآن في زعمه ودعواه ﴿...إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ في دعواك أنه نُزّل عليك. وفي توهّمك أنا نتبعُك ونؤمن بك، وليس اعترافاً منهم بأن القرآن ذكر من الله نزل على رسوله صلى الله عليه وآله بل تهكماً واستهزاءاً، ثم رموه بالجنون أيضاً لدعواه ذلك. وأنت أخي القارئ الكريم ـ تشعر بالسخرية من طريقة ندائهم للنبي صلى الله عليه وآله حيث نادوه بالوصف لا بالاسم أي بوصف نزول الذكر عليه كما يدّعيه هو، وجاؤوا بالفعل المجهول (نُزّل) للدلالة على أن هذا الذكر مجهول المصدر وغير موثّق بالنسبة لهم. فتوصيفه بالذي نزل عليه الذكر، وكذا تسمية النازل عليه ذكراً. كل ذلك من باب الاستهزاء والاستخفاف به صلى الله عليه وآله وهذا شبيه لمن قال: «إني مشيت على الماء» فناداه شخص غير مصدّق لدعواه: يا أيها الذي مشى على الماء إنك لمجنون.

الشبهة السادسة والأربعون بعد المائة:

«قال في سورة القصص: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهدى مَنْ اَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهدى مَن يَشَاءُ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] وهنا نجد القرآن ينفي أن يهدي محمد، لكن يناقض هذا قوله في سورة الشورى: ﴿وَكَذٰلكَ اَوْحَيْنَا إِلَيكَ رُوحاً مِّنْ اَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهدى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] وقوله في سورة الفتح: ﴿هُوَ الذى اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُله وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[3]».

ردها:

الصراط لغة: قال في اللسان: عن الأزهري: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي: ﴿اهدنَا الصِّرَاطَ المُستَقيمَ﴾ بالصاد. وقرأ يعقوب بالسين. قال: وأصل صاده سينٌ قُلبت مع الطاء صاداً لقرب مخارجها. الجوهري: الصراط والسراط والزراط: الطريق. وقال الراغب: الصراط: الطريق المستقيم قال تعالى: ﴿وَاَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً...﴾ ويقال له: سراط. وقال: السراط: الطريق المستهل. أصله من:

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) الشورى: ٥٢

(٣) الصف: ٩.

سرطت الطعام وزردته: ابتلعته، فقيل: سراط.

لقد أوضحنا كثيراً مما يتعلق بموضوع هذه الشبهة في ردنا على ما أثاروه في الشبهة (٥٨) وأشرنا هناك الى آية سورة القصص. ونزيد هنا فنقول: إن هذه الآية موضع اختلاف بين المسلمين في سبب نزولها. قال أهل السنة: إنها نزلت في حامي الرسول وكفيله أبي طالب رضي الله عنه، وقال الشيعة ليس في الآية مايشير الى هذا المعنى، بل النبي صلى الله عليه وآله يحب الهداية لكل الناس قريبين كانوا منه أو بعيدين، وبَذلَ من أجل ذلك جهداً لايُنكَر. ثم إن كلمة (مَن) في الآية تفيد العموم، وصرفُها الى أبي طالب يحتاج الى دليل، كما أنه تصرّفٌ في كتاب الله ـ عزوجل ـ

وقد فعل ذلك سيد قطب صاحب تفسير «في ظلال القرآن» وكرّس الآية في رجل قال فيه هو: «هذا عمٌّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكافله وحاميه والذائد عنه. لايكتب الله له الإيمان على شدّة حبه لرسول الله وشدّة حب رسول الله له، لايكتب الله أن يؤمن» ومعناه: أن الله كره أن يقول أبو طالب: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله)، ولكن رسول الله أحبّ ذلك من عمه وأصرّ عليه. ونسأل: هل يحب رسول الله شيئا يكرهه الله؟ وإذا كره الله الإسلام من أبي طالب ولم يكتبه له ـ على حد تعبير صاحب الظلال ـ فعلى أي شيءٍ يعاقبه؟ وأنا إنما تطرقت الى هذا الموضوع، لعل مثيري الشبهة قد مرّوا به فلجأت الى إيضاحه. ونعود الى الآية نفسها. فقد أشارت الى الهداية التكوينية التي هي الإيصال الى المطلوب، لا الهداية التشريعية التي هي إراءة الطريق.

والأولى من شأن الله وحده لا يشاركه فيها أحد. ولا تتم إلا بعد أن

يستعد الانسان الى نزول الرحمة، ويكون محلاً طاهراً للفيض الإلهي.

والثانية تكون وظيفةَ الرسول صلى الله عليه وآله. إذ أن مهمته التبليغ والوعظ والإرشاد. إذن: مسؤولية الرسول هي ﴿...وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ...﴾[1] فإن كان الإنسان صادقاً في طلبه للهداية مستعداً لها راغباً فيها أفاض الله عليه من رحمته وكساه بكساء الهدى.

والنبي صلى الله عليه وآله يحب ذلك ويسعى له، ولكن الإنسان يسمع البلاغ ولايهتدي في الغالب؛لاستيلاء الشيطان عليه وتكبيله بقيود اللامبالات والهوى وحب الدنيا. فالهداية وإن كانت مرغوباً فيها من قبل النبي صلى الله عليه وآله، ولكنها لاتتحقق لأنها مرغوب عنها من قبل الكثيرين.

والمحصلة النهائية: أن النبي صلى الله عليه وآله يهدي ولا يتوقف عن عملية الهداية، ويحب أن يهدي كل العالم ولكن هل كل العالم في طوع يده؟

الشبهة السابعة والأربعون بعد المائة:

«كيف هلك قوم ثمود وكيف هلك قوم عاد؟ قال في سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[2] ثم يقول إن ثمود أخذتهم صاعقة العذاب حسب سورة فصلت: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى

(١) آل عمران: ٢٠.

(٢) الحاقة: ٥.

عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١] ثم يؤكد أن ثمود هلكوا بصاعقة مثل عاد ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[٢] فهل هلك قوم عاد وثمود بنفس الطريقة أم بطريقتين مختلفتين؟».

ردها:

الطاغية لغةً: قال ابن منظور: والطاغية: الصاعقة. وقوله عزوجل: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ قال الزجاج: الطاغية: طغيانهم اسم كالعاقبة والعافية. وقال قتادة: بعث الله عليهم صيحة، وقيل: أهلكوا بالطاغية. أي: بصيحة العذاب.

الصاعقة لغة: قال ابن منظور: ومثل الصاعقة الصوت الشديد من الرعد يسقط معها قطعة نار، ويقال: أصعقتْه الصاعقة تصعقُه إذا أصابته، وهي الصواعق والصواقع، ويقال للبرق إذا أحرق إنساناً: أصابته صاعقة.

الهُون لغة: قال ابن منظور: الهُون: الخزي. والهُون، بالضم. والهُون والهَوان: نقيض العزّ هان يَهون هَواناً، وهو هَيّن وأهون. وقال الراغب: الهوان على وجهين: أحدهما تذلل الإنسان في نفسه لمالا يُلحق به غضاضةً فيُمدح به نحو قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً...﴾ الثاني: أن يكون من جهة متسلط مستخفّ به فيُذم به وعلى الثاني قوله تعالى: ﴿...فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ...﴾.

(١) فصلت: ١٧.

(٢) فصلت: ١٣.

سأل مثيرو الشبهة عن كيفية هلاك قوم عاد وثمود. وقالوا: إن القرآن ذكر الطاغية والصاعقة والريح الشديدة والرجفة أسباباً لتدميرهم فبأي شيء هلكوا؟ ولبيان ذلك نختصر الكلام وإلا فالحديث عنهم طويل. نبذة عن قوم عاد: ذكر القرآن الكريم قصتهم في مواضع عديدة، ثم لخّص ذنوبهم في ثلاثة أشياء.

أ ـ إنكارهم لآيات الله، وعنادهم أيضاً، بحيث لم يتركوا دليلاً واضحاً وسنداً بيّناً على صدق نبوة نبيهم إلا جحدوه ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ...﴾.

ب ـ قاموا بعصيان عام لنبيّهم ولما جاء به الرسل من قبله ﴿...وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ...﴾ أي ابتعدوا عن خط الأنبياء جميعاً.

جـ ـ لم يتركوا طاعة الله فحسب، بل مالوا لكل جبّار ظالم ﴿...وَاتَّبَعُواْ أَمرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فأي ذنب أعظم من تلك الذنوب؟

ويعتقد بعض المؤرخين أن لفظ (عاد) يُطلق على قبيلتين: إحداهما كانت تقطن الحجاز قبل التأريخ، ثم زالت، وأشار إليها القرآن (عاداً الأولى) ولكن في حدود سنة (٧٠٠) ق . م وجد قوم آخرون باسم (عاد) سكنوا الأحقاف في اليمن وكانوا طوالاً جساماً أقوياء متقدمين من الناحية الحضارية كانت لهم مدن عامرة وأراضٍ خصبة وغابات نضرة وصفها القرآن الكريم ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[1] ولكن عاقبة هذا

(١) الفجر: ٨

الترف والرفاه كان الى زوال، حيث لمّا دعاهم نبيهم (هود) الى طاعة الله ونبذ عبادة الأوثان واجهوه بالصدود والإعراض، ورموه بالسفاهة والجنون. ومرة هددوه بغضب آلهتهم عليه، فصمد بوجوههم واستطاع أن يهدي جماعة منهم تقدر بأربعة آلاف. وبقي الآخرون مصرّين على عنادهم ولجاجتهم. وبعد اليأس من هدايتهم نجّى الله هوداً وجماعتَه بأن نقلهم الى مكان آمن، وسلّط على الآخرين إعصاراً هائلاً دام ﴿...سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ اَيَّامٍ حُسُوماً...﴾ أي متتابعة ومزيلة لآثارهم.

ولأنهم كانوا ضخمي الأجسام شبههم بالنخل، ولكن النخل المنخور الملقى على الأرض. وكانت هذه الريح باردة جداً مقرونة بصوت شديد، وكانت عاتية أي متمردة على القانون الطبيعي لهبوب الرياح، فكأن صاعقة أو عاصفة عنيفة ألمّت بهم ومحت آثارهم ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ اَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[1] والريح العقيم: المهلكة، والرميم، البالي المتفتت.

أما ثمود قوم نبي الله (صالح) عليه السلام فقد كانوا في وادي القُرى بين المدينة والشام ـ حسب نقل الروايات التأريخية ـ وقد أطلق القرآن على صالح عليه السلام بأنه أخوهم ﴿وَإِلَى ثَمُودَ اَخَاهُمْ صَالِحاً...﴾ أخٌ محترقُ القلبِ عليهم مشفقٌ غايةَ الإشفاق محبٌّ للخير ويرجو أن ينالوه. فبدأ بوعظهم وإرشادهم لعلهم يرجعون عن الشرك الى التوحيد، وذكّرهم

(١) الذاريات: ٤١ ـ ٤٢.

بإحدى نعم الله عليهم بقوله: ﴿...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ وأصل الاستعمار: الإعمار وتفويضه الى أيٍّ كان. ولازم ذلك توفير الوسائل والأسباب لتحقيق الإعمار. ولذا كانت لديهم ابتكارات في الزراعة ولديهم مزارع واسعة، والى جانب ذلك كانت أعمارهم مديدة، وكانوا متطورين في بناء المساكن أيضاً. ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ﴾[1] وهم مع ذلك كله كانوا يعاندون ويُعرضون عن دعوة نبيهم صالح عليه السلام، ويؤذونه وأتباعه القليلين. وبعد أن عقروا الناقة التي كانت آيةً من آيات الله طلبوها من النبي صالح على نحو التعجيز، إلا أن الله أيده بظهور الناقة من الجبل كما أرادوا. فلما عقروها أمهلهم صالح عليه السلام ثلاثة أيام ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾[2] وفي اليوم الثالث أصيبوا بزلزلة عظيمة بقيت أجسادهم على أثرها في المنازل من دون حراك ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[3].

وقد يتصور البعض أن هناك تعارضاً بين الرجفة والصيحة والطاغية والصاعقة، ولكنها ترجع جميعاً الى حقيقة واحدة؛ لأن الصاعقة لها صوت مخيف ومرعِب بحيث يمكن أن نسميها بالصيحة السماوية، ولها أيضاً نار محرقة وهي عندما تسقط على منطقة معينة تحدث هزّة شديدة. وكذلك الزلزلة فيها صوت ودمار. وهذه التعابير الغرض منها ترك أثر عميق في نفس

(١) الحجر: ٨٢

(٢) الذاريات: ٤٣.

(٣) الأعراف: ٧٨.

الإنسان. أنظر ما قيل عنها: الصاعقة: كل عذاب مهلك. الطاغية: الصيحة الطاغية وهي التي تجاوزت الحد المتوقع، وقيل الرجفة الطاغية: الزلزلة المتجاوزة للحد. يعني أكثر من مقياس (ريختر) اليوم. والريح الصرصر: الباردة الشديدة العصوف الفائقة السرعةالتي لايعلم حقيقةَ تقديرها إلا الله.

إذن: كل هذه الألفاظ مؤدّاها واحد. وهو الهلاك بانتقام سماوي، والتدمير بغضب رباني، لتبقى قصصُ تلك الأقوام عبرة لمن يعتبر من الأجيال اللاحقة. وقد خلّدها الله في كتابه المجيد الى يوم القيامة قصصاً تنبض بالحياة جديدة لا تبلى. سواء أفتعل قومٌ حولها الشبهات أم ادعوا التناقضات.

الشبهة الثامنة والأربعون بعد المائة:

«اختلف القرآن في مدة هلاك عاد. هل استغرق العذاب يوم نحس مستمر حسب سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ ﴿إِنَّا اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[1]. لا بل استغرق العذاب أياماً نحسات حسب سورة فصلت: ﴿فَاَمَّا عَادٌ فَاستَكْبَرُوا فِى الاَرْضِ بِغَيرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ اَشَدُّ منَّا قُوَّةً اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ الله الذِى خَلَقَهُمْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بآيَاتنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى اَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِى الْحَيَاة

---

(١) القمر: ١٨ ـ ١٩.

الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ﴾[١]، بل استغرق الأمر سبع ليال وثمانية أيام ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٢]».

ردها:

النحس لغة: قال ابن منظور: النَحْس: الجُهد والضُرّ. والنحس: خلاف السعد من النجوم وغيرها. وقرأ أبو عمرو: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ...﴾ قال الأزهري: هي جمع أيام نَحْسَة ثم نَحْسَات جمعُ الجمع، وقُرئت في أيام نَحِسَات. وهي المشؤومات عليهم في الوجهين، والعرب تسمي الريح الباردة إذا دَبرَت: نَحْساً وقال: والنحس: الغُبار. وقيل: النحس الريح ذات الغبار، وقيل: الريح أياً كانت.

صَرْصَر لغة: قال في اللسان. وريح صِرٌّ وصَرْصَرٌ: شديدة البرد، وقيل شديدة الصوت. وقال الراغب: وقوله: ﴿...رِيحاً صَرْصَراً...﴾ لفظة من الصَرّ، وذلك يرجع الى الشَدّ لما في البرودة من التعقد.

في الشبهة السابقة كان السؤال عن كيفية هلاك عاد وثمود. وهنا سألوا عن عدد أيام الهلاك الذي تعرضت له عاد، وقالوا في سورة القمر هو يوم واحد نحس، وفي سورة فصلت. أيام نحسات، وفي سورة الحاقة سبع ليال وثمانية أيام. فكم كانت مدة الهلاك؟ ونأتي على الآية الأولى فنقول: لما كذبت عاد بالرسول الذي بعثه الله إليهم وهو (هود) عليه السلام استحقوا

---

(١) فصلت: ١٥ ـ ١٦.

(٢) الحاقة: ٧.

الهلاك، ثم بين كيفية إهلاكهم فقال: ﴿إِنَّا اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي دائم شؤمُه مستمر ضررُه عامٌ هلاكه. فأخذ كلمة (يوم) ولم يُرِد بها سُبْعَ الأسبوع، وإنما أراد بها مقطعاً محدوداً من الزمن استمر سبع ليالٍ وثمانية أيام. وبعبارة أخرى أن العذاب الذي بُدئ بيومِ نحسٍ استمر أياماً وليالي. ويؤيده قوله: ﴿فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى اَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ...﴾ بحيث استوعبت هذه المدةُ جميعَ قوم عاد، إلا هو عليه السلام ومن آمن به. فقد كانوا في منجىً من العذاب. ويذكر بهذا الصدد أنهم كانوا قد حفروا حُفَراً ودخلوها لكي يحفظوا أنفسهم من شدة الرياح، إلا أنها كانت تدخل إليهم وتنتزعُهم من تلك الحفر وتُهلكهم. ومن الطبيعي أن يكون الحَفْر قد استغرق أكثر من يوم فتكون مدة العذاب أكثر من يوم أيضاً لا يوماً واحداً.

الشبهة التاسعة والأربعون بعد المائة:

«قال في سورة الحاقة: ﴿وَاَمَّا عَادٌ فَاُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ اَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَاَنَّهُمْ اَعْجَازُ نَخلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1] فهل كان قوم عاد صرعى ـ واقعين على الأرض ـ أم مثل أعجاز نخل خاوية؟».

---

(١) الحاقة: ٦ ـ ٧.

ردها:

هذا السؤال يكشف عن جهل عجيب بأبسط ركن من أركان البلاغة وهو التشبيه الذي له خمسُ أدوات: الكاف وكأنّ وشِبْه ومثل، والمصدر بتقدير الأداة كقوله تعالى: ﴿...وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...﴾[1]. والتشبيه هو وسيلة إيضاح يقرِّب بها المتكلمُ المعنى للمتلقي. وجملته تحتاج إلى أربعة أمور حتى تستقيم: المشبَّه الذي نريد تشبيه ـ زيد ـ مثلاً والمشبَّه به وهو ـ الأسد ـ مثلاً، ووجه الشبه. وهو المناسبة التي دعتنا الى التشبيه. أي: الرابط بين المشبّه والمشبّه به وهو ـ الشجاعة ـ مثلاً، وأداة التشبيه وهي ـ الكاف ـ مثلاً. فنقول: «زيد كالأسد» وهذا التشبيه على نحو المجاز لاعلى نحو الحقيقة. إذ لم يتحول زيد الى أسد حقيقي له ذَنَب وأربع أرجل. والفائدة من ذلك كله أن السامع عرف من خلال التشبيه أن زيداً قوي جداً. وهكذا فعلت الآية السابعة من سورة الحاقة ﴿...فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخلٍ خَاوِيَةٍ﴾ فالمشبّه: (القوم) وأداة التشبيه (كأنّ) والمشبّه به ﴿...أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ووجه الشبه: أن القوم الذين شملهم العذاب أصبحوا خاوين لاحراك فيهم، مثل جذع النخلة الملقى على الأرض لاينمو ولايتحرك. أمّا هل تحولوا الى جذوغ نخل حقيقةً؟ الجواب: لا؛ لأنهم بشر، ولكن بشر كجذوع النخل ساقطين على الأرض هنا وهناك. ومثل هذا السؤال لايسأله عارف متعلم؛ لأن التشبيه موجود في كل اللغات ويستعمله حتى الأطفال.

---

(١) النمل: ٨٨

الشبهة الخمسون بعد المائة:

«العديد من الآيات تقول: إن عباد الله لاخوف عليهم. ومنها: ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[1]. ولكن في الآية التالية نرى عباد الله مشركين وضالين حسب سورة الفرقان ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾[2]».

ردها:

السبيل لغة: قال ابن منظور: السبيل: الطريق وماوضح منه، يُذكّر ويُؤنّث. وسبيل الله: طريق الهدى الذي دعا إليه. وقال الراغب: السبيل: الطريق الذي فيه سهولة وجمعُه سُبُل.

في هذه الشبهة قالوا مرة نجد أن عباد الله لاخوف عليهم، ومرة نجد عباد الله ضالين. فكيف يكون ذلك؟ ولبيانه نقول:

إن في الآية الأولى نداءاً من الله تعالى الى المتقين يوم القيامة، حيث الخوف يسيطر على الجميع. ومؤدّى هذا النداء تطمين للذين آمنوا واتقوا، وتأمين لهم من الخوف في يوم ليس فيه الا القلق والاضطراب. ولانحمّل الآية الشريفة أكثر من هذا. ونحن إلى العَجَلة أقرب منها الى الأناة.

---

(١) الزخرف: ٦٨.

(٢) الفرقان: ١٧.

وأما الآية الثانية التي أثارت حفيظة أصحاب الشبهات ففيها تنعقد المحكمة الإلهية، ويسأل الله تعالى معبودي المشركين أياً كانوا ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ فيقول لهم: ﴿...ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَؤُلَاءِ...﴾؟ سؤال يحتاج الى جواب. ولابد منه في ذلك اليوم. وسيجيبون. وكلمة (عبادي) جمع للعبد مضاف الى الله إضافة تمليك. والعبد يقال على أربعة أضرب: الأول: عبدٌ بحكم الشرع ويقابله الحر. الثاني: عبدٌ بالإيجاد. وذلك مختص بالله سبحانه. الثالث: عبدٌ بالعبادة. والرابع: عبدٌ للدنيا. وكلمة (عبادي) في الآية مورد البحث من قبيل العبد الثاني. أي: بالإيجاد والخلق، ولاخالق لهم غير الله. وهذا لايناقض (عبادي) في الآية الأولى؛ لأنه من النوع الثالث. أي عباد مخلصون في عبادتهم متقون استحقوا الأمان يوم الفزع الأكبر. ولما لم يتحد الموضوع هنا فلا تناقض.

الشبهة الواحدة والخمسون بعد المائة:

«قال القرآن في سورة فاطر: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾[1] وقال في سورة النجم: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى﴾[2] ولكن نحن نرى الطفل الذي يولد مشوهاً، أو به عيبٌ خَلقي أو مرضٌ وراثي أن وزر والدي الطفل قد

(١) فاطر: ١٨.

(٢) النجم: ٣٨.

وَرِثه الطفل. كما أن طرد آدم من الجنة بسبب وزره كان سبباً في عدم ولادتنا في الجنة. فلماذا لايولد الطفل في الجنة أليس لأن وزر آدم عليه؟».

ردها:

هذه شبهة يهودية قديمة قالت: «الرب طويل الروح .. ولكنه لايُبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء»[1] ذُكرت هذه العبارة من دون مراعاة الى أنها منافية للعدل الإلهي. وأثيرت اليوم على لسان مثيري هذه الشبهات. ومؤدّاها ـ كما هو واضح ـ ماذنبنا نرث عيوب أهلنا وآثار ذنوب آبائنا؟ فنقول:

أما الشق الأول من الشبهة وهو لماذا صرت أسود اللون بالوراثة أو قصير القامة أو أحول، أو صرت عقيماً أو غير ذلك. فهذا من الأسرار التي لايعرف حكمتها الا الله تعالى. كالمرأة التي تلد إناثاً وأختها تلد ذكوراً. فمن الذي يعرف الحكمة من وراء ذلك؟ علماً أن هذه الأمور ليست منافية لما قال في سورة التين ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِى اَحسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2] التي أشارت الى ماخصّ اللهُ به الإنسان من بين الحيوانات من العقل والفهم والمنطق وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل شيء في هذا العالم. ولامنافاة بين الأعرج والصحيح أو الأعور والسليم؛ لأن الألف واللام في (الإنسان) للجنس، ولايضر ذلك طالما كان الميزان بين الناس أجمعين هو عمل الإنسان وتقواه. فربّ أعمى أفضل من بصير، وربّ أسود اقرب الى الله

---

(١) سِفر التوراة الاصحاح/ ٢٤.

(٢) التين: ٤.

من أبيض، وربّ فقير أعزّ عند الله من غني. وهكذا.

وأما الشق الثاني من السؤال: وهو أننا اليوم تحملنا نتائج خطيئة أبينا آدم عليه السلام فأُخرج من الجنة فولدنا نحن خارجها بسببه. فهذا مالا يقول به ذو لُبّ؛ لأن الفاصلة الزمنية بين آدم عليه السلام ونبينا تقدر بآلاف السنين. فما علاقتنا به عندما خالف أمراً إرشادياً؟ ولذا بيّنت سورة فاطر ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخرَى...﴾ ذلك بوضوح. والوِزْر: الثقل. ويعبّر بذلك عن الإثم. والوَزَر: الملجأ. ﴿كَلاَّ لاَ وَزَرَ﴾ والوزير: المتحمل ثقل المسؤولية عن أميره. وهذه الآية تكشف بشكل جلي عن عدل الله المطلق حيث يكون الشخص مرتهناً بعمله، فلا أحد يوم القيامة مستعداً لتحمل أوزار الآخرين مهما كان قريباً منهم في النسب. قال تعالى إشارة الى حال الناس يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ اَخيهِ﴾﴿وَاُمِّهِ وَاَبيهِ﴾ ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنيهِ﴾ ﴿لِكُلِّ امرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئذٍ شَأْنٌ يُغْنيهِ﴾[(1)]. وقد ألمعت الآية الأولى من الشبهة، والآية الثانية كذلك الى أن الله عزوجل لايحاسب المجتمع حساباً جَمعياً، بل كل فرد يحاسَب مستقلاً عن غيره. واعلم ـ أخي القارئ العزيز ـ أن الآية ١٨ / فاطر سبقها قوله تعالى: ﴿إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَديدٍ﴾ ﴿وَمَا ذٰلِكَ عَلَىٰ الله بِعَزيزٍ﴾[(2)] وربما يتبادر الى الذهن سؤال: لماذا يُذهب الله الخلقَ ويأتي بآخرين؟ فإن أخذ المكذبين بذنوبهم، فما وجه أخذ المصدّقين؟ فجاءت الآية لتبين الحقيقة وهي: إن الله لا يؤاخذ

---

(١) عبس: ٣٤ ـ ٣٧.

(٢) فاطر: ١٦ ـ ١٧.

قوماً بذنوب قوم آخرين، ولأيضارّ شخصاً بذنب شخص. فقانون جزاء الأعمال لا يقبل المساومة، ولا المناقلة من أحد الى أحد. وهذا القانون نافذ المفعول من عهد آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام، وفي صحف إبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء الى عهد نبينا صلى الله عليه وآله.

الشبهة الثانية والخمسون بعد المائة:

«جاء في سورة الأنبياء: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾[1] وفي سورة الذاريات: ﴿**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[2] فهل السماء سقف أم فضاء لانهائي. علماً أن الآية التالية ترينا أن مفهوم القرآن للسقف هو شيء محدد فقالت ﴿**وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**﴾[3]».

ردها:

الأيْد لغة: قال في اللسان: الأيد والآد جميعاً: القوّة. وقوله عزوجل: ﴿...**وَاذْكُرْ عَبدَنَا دَاوُودَ ذَا الأيْدِ**...﴾ أي ذا القوة. وقيل: أيْدُه قوّتُه على إلانة الحديد بإذن الله وتقويته إياه.

---

(١) الأنبياء: ٣٢.

(٢) الذاريات: ٤٧.

(٣) الزخرف: ٣٣.

عرج لغة: قال في اللسان: وعرج في الدَرَجَة والسُّلّم يعرُج عُرُوجاً أي ارتقى. وعَرَج في الشيء وعليه يَعرِج ويَعرُج عُروجاً أيضاً: رقى. وقال الراغب: العُروج: ذهاب في صعود... والمعارج: المصاعد.

هنا سألوا عن السماء هل هي سقف أم فضاء. وقبل أن نبدأ الإجابة عن سؤالهم سجلوا تناقضاً وأعطوه تسلسلاً ضمن التناقضات المضحكة المُبكية. وللإجابة نقول: لنعرف أولاً مامعنى السماء؟ قال الراغب: سماء كل شيء: أعلاه... والسماء المقابلة للأرض مؤنثة وقد تذكر. ولما كانت سماءُ الغرفة أعلى من أرضها سميت سقفاً لها. وعليه تكون السماء كالسقف للأرض. وهذا السقف محفوظ من قبل الله تعالى لاتخترقه الشياطين، ولايسقط على الأرض في يومٍ ما. ويمكن التعبير عن السماء بأنها الفضاء المحيط بالأرض من كل الجهات. وتبلغ ضخامة الفضاء مئات الكيلومترات طبقا لما توصل إليه العلم الحديث. قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً...**﴾ انظر الى جمال المناسبة وهي: أن السماء لما كانت فوق الأرض سماها سقفاً. وهذا السقف ليس كسقوف بيوتنا التي ينتابها الهَرَم فتهوي الى الأرض، بل هي مُتقنةٌ غاية الإتقان. بناها الله تعالى بالأيْد أي القوة والقدرة التي لاتُقدّر. قال تعالى ﴿**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ أي قابلة للتوسعة وتزداد نعمُها يوماً بعد يوم. فمهما أعطى الله للبشر من أرزاقها فإن خزائن الله لاتنفد، ثم ذكر هؤلاء آية سورة الزخرف وفيها: ﴿**...لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**﴾ وهذه الآية جاءت في آيات تناولت القيمَ الحقّة في

الإسلام، وعدمَ اعتبار المال والمناصب والنفوذ الاجتماعي معياراً في التقييم. ومعنى الآية باختصار: إنها جاءت رداً على من قال: إن الفقير لايصلح للنبوة؛ لأن الفقر منقصةٌ في الإنسان ـ طبقا للمقاييس المادية السائدة في المجتمعات ـ وقد حاول الإسلام تصحيح هذه النظرة بالقول: إن الدنيا لاتعدل عند الله جناح بعوضة. والآخرة خيرٌ وأبقى، ولكن الناس يؤثرون الدنيا على الآخرة، ويميلون معها أنّى اتجهت. ولولا ذلك التوجه المنحرف لأعطى الله للكافر بيوتاً من فضة بسُقُفها وأبوابها ومصاعدها وأثاثها. وزادها على ذلك من زخرف الدنيا وزينتها احتقاراً لها.

وتدل هذه الآية على أن الله يلطف بعبادة، ويفعل مايقرّبهم من الطاعة، ويبعّدهم عن المعصية. وعلى الأقل لايفعل مايغريهم بالمعصية. وشاهدنا من الآية كلمة (سقفاً) جمع سقف. وهي تسمية منسجمة مع المعنى اللغوي الذي بيّناه في هذه الآية وفي الآيتين السابقتين. فأين التناقض؟

الشبهة الثالثة والخمسون بعد المائة:

«قال في سورة المائدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] وهنا يقول الصابئون ولكن هذا يخالف ماقاله في

---

(١) المائدة: ٦٩.

سورة البقرة: ﴿إِنَّ الذين آمَنُواْ وَالذينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١) وفي سورة الحج: ﴿إِنَّ الذين آمَنُوا وَالذينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالذينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢)».

ردها:

الصابئون لغة: قال في اللسان: الصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام ... وفي الصحاح: جنس من أهل الكتاب وقبلتهم من مهبّ الشمال عند منتصف النهار. وقال الليث: الصابئون قوم يشبه دينُهم دينَ النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهبّ الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح. وهم كاذبون. وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وآله: قد صبأ. عَنَوا أنه خرج من دين الى دين.

المجوس لغة: قال في اللسان: المجوسية نِحلة، والمجوسي منسوب إليها. والجمع المجوس. وقال ابن سيده: المجوس جيل معروف جمع، واحدهم مجوسي، وقال غيره: وهو معرب أصله: (مِنْج گوش) وكان رجلاً صغيرَ الأذنين، كان أول من دان بدين المجوس ودعا الناس إليه، فعرّبته العرب فقالت: مجوس. ونزل به القرآن.

كان بودنا أن يتحلى هؤلاء بالمعرفة وعلى الأقل بقواعد النحو، حتى

---

(١) البقرة: ٦٢.

(٢) الحج: ١٧.

يتأهلو للاشكال - إن استطاعوا - على كتاب تحدى أفصحَ العرب وأبلغهم. ولما عجزوا عن مجاراته أو الرد عليه عمدوا الى لمزه بمخالفة نحوية. والعجب منهم يتملّكنا منذ أن رافقناهم في رحلة (التناقضات) وحتى هذه الساعة. وهم في كل مرّة يكشفون عن جهلهم باللغة وقواعدها وبالتاريخ والأديان. أما جهلهم بالقرآن الكريم فحدث ولاحرج. وصيدُهم الثمين في هذه الشبهة أن القرآن ناقض نفسه. قال تعالى: ﴿إِنَّ الذينَ آمَنُواْ وَالذينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ...﴾ وفي سورة البقرة قال: ﴿إِنَّ الذينَ آمَنُواْ وَالذينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئينَ...﴾ فكيف قال (الصابئون) هناك وهنا قال (الصابئين)؟ قلنا هذه المسألة النحوية من أبسط الأمور وأوضح الواضحات لدى الدارسين والمتعلمين. إذ أن (الصابئون) مبتدأ وخبره محذوف تقديره: كذلك. فتصير الجملة: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون كذلك والنصارى من آمن بالله. فتكون (النصارى) معطوفة على (الصابئون) مرفوعة. وعلامة رفعها الضمة المقدرة منع من ظهورها التعذر. وليس في هذا إشكال. ومن المخجل تسميته تناقضاً.

الشبهة الرابعة والخمسون بعد المائة:

«قليل من أهل الجنة مسلمون ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾[1]. ولكن قال كثير من أهل الجنة مسلمون: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾[2]. فمرة قال (قليل) ومرة قال (ثلة) والثلة كثير وهما بينهما تناقض».

ردها:

الثلّة لغة: قال في اللسان: والثُلّة، بالضم: الجماعة من الناس... وقال الفرّاء: الثُلّة: الفئة والثُلة: الجماعة من الناس، بالضم، والثلّة الكثير من الدراهم.

قالوا هنا ناقض القرآن نفسه حيث قال عن أهل الجنة كما في الآية ١٣ ـ ١٤ / الواقعة. وقوله كما في الآية ٣٩ و ٤٠/ الواقعة. حيث قال هناك ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ وقال هنا: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ إن المعنى المراد من الآيتين الأوليين هو أن الأوّلين: الأمم السابقة للأنبياء السابقين، والمراد بالآخرين هذه الأمة على ما هو المعهود من أسلوب القرآن الكريم في كل موضع ذكر فيه الأولين والآخرين معاً. كقوله: ﴿...ائِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ﴿أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ﴾ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى

(١) الواقعة: ١٣ ـ ١٤.

(٢) الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠.

ميقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[١] أي: إن المقربين جماعة كثيرة من الأمم الماضية. وقليل من هذه الأمة؛ لأن قياس هذه الأمة الى الأمم السابقة عليها تبدوا قليلة. ويكون المعنى في الآيتين الأخيرتين: أن أصحاب اليمين في الآخرين جمع كثير كالأولين، لكن السابقين المقربين في الآخرين أقل جمعاً منهم في الأولين.

إذن: أصحاب الجنة من الأولين كثيرون، وأصحاب الجنة من الآخرين كثيرون أيضاً. ولكن السابقين قليلون. ونرجو أن يكون المعنى صار واضحاً. وأن يلتفت مثيرو الشبهات الى أن الاسلام لايعتبر الكثرة العددية دليلاً على الكثرة النوعية. وقد عرفت أن عدد السابقين في هذه الأمة قليل، إلا أن مقامهم أفضل كثيراً ممن سبقهم من الأمم الماضية من حيث الدرجة والخصائص والصفات.

الشبهة الخامسة والخمسون بعد المائة:

«قال في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الذى أَسرَى بِعَبده لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجد الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجد الأقْصَى الذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لنُرِيَهُ مِنْ آيَاتنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصيرُ﴾[٢] هذه الآية ترينا أن هناك مسجداً أقصى. وهذا بالطبع شيء خاطئ. ولو كان كما ذكر لصلّى فيه عمر بن الخطاب،

---

(١) الواقعة: ٤٧ ـ ٥٠.

(٢) الاسراء: ١.

ولكن التاريخ يذكر أنه صلى خارج كنيسة القيامة ولـم يـصلِّ فـي المسجد الأقصى».

ردها:

هذه الشبهة أثيرت في تسلسل الشبهات برقم (١٢٧) وقلنا هناك إن المسجد الأقصى هو بيت المقدس ولا اثنينية بينهما. والمسجد الأقصى هو الاسم الإسلامي لبيت المقدس. كما ذكرنا شيئاً عن تاريخه هناك وقلنا كان أول قبلة للمسلمين بعد الهجرة ثم جاء الأمر بالتحول الى مكة. وإشكالهم هنا: أنه لاوجود للمسجد الأقصى في زمن الرسول صلى الله عليه وآله فكيف يقول القرآن: ﴿...مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَي الْمَسْجِدِ الأَقْصَى...﴾؟ وجاؤوا بدليل تأريخي هو: لماذا صلّى عمر بن الخطاب خارج كنيسة القيامة، ولم يصلِّ في المسجد الأقصى؟ فلو كان موجوداً لصلى فيه. ورداً على هذا الاشتباه التأريخي نقول: اعتماداً على تأريخ الطبري: إن عمر لما صالح أهل إليا ـ من أسماء مدينة القدس القديمة ـ دنا من باب المسجد، فلما انفرق به الباب قال: «لبيك اللهم لبيك، بما هو أحب إليك»، ثم قصد المحراب ـ محراب داود عليه السلام ـ وذلك ليلاً، فصلى فيه، ولم يلبث أن طلع الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم سورة (ص) وسجد فيها، ثم قام وقرأ بهم في الثانية صدر بني إسرائيل ـ مطلع سورة الإسراء ـ ثم ركع ثم انصرف، فقال عليّ بكعب، فأُتي به، فقال: أين ترى أن نجعل المصلّى؟ فقال كعب: الى الصخرة، فقال عمر: ضاهيتَ ـ والله ـ اليهوديةَ ياكعب، بل نجعل قبلته صدرَه، كما جعل رسول الله صلى الله عليه

وآله قبلة مساجدنا صدورها. إذهب إليك، فإنا لم نؤمر بالصخرة، ولاكنا أمرنا بالكعبة، فجعل قبلته صدره. ومن هذا الخبر نفهم أنه لم يصلِّ إلا في بيت المقدس الذي هو المسجد الأقصى بدليل ورود لفظ الصخرة في الخبر. فلماذا هذه المراوغات لنفي وجود المسجد الأقصى الذي يقدسه اليوم أهل الكتاب والمسلمون كافة؟

الشبهة السادسة والخمسون بعد المائة:

«يقول علي بن إبراهيم وهو من كبار علماء الشيعة في تفسيره (ج١ / ٣٦ دار السرور ـ بيروت): وأما ماهو على خلاف ما أنزل الله فهو قوله: ﴿كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله...﴾[1]. فقال أبو عبد الله عليه السلام لقارئ هذه الآية: خيرُ أمة يقتلون أميرَ المؤمنين والحسنَ والحسين بن علي عليهم السلام؟ فقيل له: وكيف نزلت ياابن رسول الله؟ فقال: إنما نزلت: ﴿كُنتُمْ خَيرَ أئمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ...﴾ ألا ترى مدْحَ الله لهم في آخر الآية: ﴿...تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله...﴾ وتعليقنا هنا أنه غير موضوع التحريف الذي يذكره العالم الشيعي في هذه الآية نقول: نحن نرى بالفعل خير أمة تناقض مافعلوه من قتل أمير المؤمنين والحسن والحسين بن علي، ولاننسى حروب الردة وغيرها مما يُرينا كذبَ الادعاء بأنهم خير أمة».

---

(١) آل عمران: ١١٠.

ردها:

المعروف لغة: قال في اللسان: والمعروف: الجود، وقيل: هو اسم ما تبذله وتُسديه؛ وقال الزجاج، المعروف هنا مايُستحسن من الأفعال.. وقد تكرر ذكر المعروف في الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والاحسان الى الناس.. وقال الراغب: والمعروف: اسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حسنُه، والمنكر: مايُنكَر بهما.

المنكر لغة: قال في اللسان: والإنكار والمنكَر، وهو ضد المعروف وكل ما قبّحه الشرع وحرّمه فهو منكر. وقال الراغب: والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقولُ، فتحكم بقبحه الشريعة.

لقد قطعنا شوطا في رد هذه الشبهات بما هو مشهور عند علماء مذهب الإمامية الإثني عشرية، ولم نراع ماعند غيرنا من المذاهب الإسلامية؛ لأن ماعندهم هم مسؤولون عنه لاغيرهم. وهكذا في رد هذه الشبهة سنعتمد على ما تصالح عليه علماؤنا وعُدَّ من سيرتهم، وعُرف عنهم، أما ماشذّ من الآراء التي لاتمثل إلا أصحابها فنحن غير ملزمين به ولاداعين إليه، ويبقى في حيّز شخصية صاحب الرأي الشاذ، ولا يتعدى الى غيره من العلماء، ولا يُحمَل على المذهب على أنه الرأي الذي يتبنّاه. وعلي بن إبراهيم القمي لايمثل مجموع علماء المذهب، وليس هو الناطق الرسمي باسمهم. وتفسيره محل كلام عند علمائنا. ولذا يبقى له رأيه المسؤول عنه هو، أصاب أم أخطأ. وقوله: «وأما ماهو على خلاف ما أنزل الله» قاصداً قوله

تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾[1] من هذا القبيل. وأما الرواية التي أوردها مرفوعة الى الامام الصادق عليه السلام من دون سند فهي معارضة بعدة روايات منها:

أ ـ ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنتم زينتم سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»[2].

ب ـ عن أبي عمرو الزبيري عن الصادق عليه السلام قال عن الآية مورد البحث: «يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام وهم الأمة التي بعث الله فيها ومنها وإليها. وهم الأمة الوسطى. وهم خير أمة أخرجت للناس»[3].

جـ ـ أخرج أحمد بسند حسن عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعطيتُ مالم يُعطَ أحدٌ من الأنبياء: نُصرتُ بالرعب، وأعطيتُ مفاتيحَ الأرض، وسُمّيت أحمد، وجُعل التراب لي طهوراً، وجُعلت أمتي خيرَ الأمم»[4]. الى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا الشأن. أما مسألة تحريف القرآن فقد بحثناها في كتابنا «ردود سريعة» ونشير هنا الى شيء منه: إن كلمة علماء الشيعة الاثني عشرية متفقة على أن القرآن

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) مجمع البيان: ج ٢، ٢٧٧، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ مطبعة الأميرة بيروت.

(٣) الميزان: ج ٣، ٤٣٦، الطبعة الاولى المحققة ١٤٣٠ هـ مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات إيران/ قم.

(٤) المصدر السابق.

الكريم هو الموجود اليوم بين الدفتين، وهو الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو المحفوظ من التحريف والتزوير والزيادة والنقص. والمصان بحسب ظاهر الآية الشريفة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] ودعوى التحريف والزيادة والنقص منافية لهذه الآية ومُضادّة لها. هذا ماصرّح به كبار علماء المذهب الحق من الأولين والآخرين. ومن شذّ منهم فعليه تبعة ماشذّ فيه عن إجماع علماء المذهب.

أما موضوع مخالفة الأمة في قتلها أمير المؤمنين والأئمة الأطهار عليهم السلام فهو أمر لايعارض مدحَ القرآن لأمة أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، وآمنت بالله وجاهدت في سبيله. لأن المدح والثناء جاء لعموم الأمة الإسلامية لا لكل فردٍ فردٍ فيها. فوجود المنافقين في الأمة وهم قلة لايقدح بإيمان الأمة برسالتها، ووجود ناس قتلة مجرمين لايضر بخط الهداية العام لهذه الأمة. وبخاصة إذا لاحظنا أنها خير الأمم؛ لأنها أمة خير الرسالات، وأمة أعظم الأنبياء والمرسلين، وأمة القرآن الكريم خيرِ الكتب. زد على ذلك: أنها آخر الأمم وخلاصة المجتمعات البشرية. وهي الأمة التي أنيطت بها عملية الإصلاح الكبرى والخلافة العظمى بقيادة المصلح الأكبر الإمام المهدي عجل الله فرجه. ونحن هنا لاننفي سيئات الأمة، ولكن ينبغي ألّا نُنكر حسناتها أيضاً. فهي الأمة التي نهض على أكتافها الاسلام، فحملته الى العالم شرقه وغربه باقتحامها حصون الروم وقلاع الفرس حتى وصلت

---

(١) الحجر: ٩.

الى تخوم الصين وإندونيسيا شرقاً، والى جنوب فرنسا غرباً وتحملت ماتحملت من الغزو الاستعماري السياسي والاقتصادي والثقافي وقارعت محاولات تدمير عقول أبنائها وبقيت محافظة على قرآنها وارتباطها بخالقها، ومعتزة برسالتها ولازالت تضحي وتدافع من أجلها.

الشبهة السابعة والخمسون بعد المائة:

«جاء في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياً﴾[1] وفي سورة البقرة: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالاسبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ من رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2] وفي سورة الأنبياء: ﴿وَإِسمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَاَدْخَلْنَاهُمْ فِى رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[3] تحدث القرآن في هذه الآيات عن إسماعيل نبياً كما أنه تحدث عن ذرية إسحاق: يعقوب والأسباط. أما إسماعيل: لم يذكر عن ذريته شيئاً. كما تحدث عن إسماعيل وإدريس وذي الكفل فقال ﴿وَاَدْخَلْنَاهُمْ فِى رَحْمَتِنَا...﴾ أي هو شيء جانبي، لكن هناك آيات ألغت

(١) مريم: ٥٤.

(٢) البقرة: ١٣٦.

(٣) الأنبياء: ٨٥ ـ ٨٦.

دور إسماعيل نهائياً في الحديث عن عرب الجاهلية ونبيهم محمد قال في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1] وقال في سورة السجدة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ من رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[2] وفي سورة سبأ: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ من نَّذِيرٍ﴾[3] من الملاحظ في هذه الآيات أن العرب لم يأتهم نذير قبل محمد ولم يكن لهم كتاب قبله. ونزل كتاب الله فقط على طائفتين هم اليهود والنصارى. وبذلك ألغى دور إسماعيل نبياً ولم ينزل عليه شيء، ولو تمسكنا بدور إسماعيل نبياً وأنزل إليه شيء لسلّمنا بخطأ الآيات التي تقول: (لم يأتهم نذير) كما أنه ألغى في الآية الأخيرة دور الأنبياء الذين ذكرهم القرآن خارج الطائفتين اليهودية والنصرانية، لكن جاءت الآيات الصريحة التي تثبت أن الوعد باقٍ في ذرية إسحاق وفيها دون غيرها، الكتاب والحكم والنبوة».

ردها: الوعد لغة: قال ابن منظور: وعده الأمر وبه عِدَةً ووَعْداً ومَوعِداً ومَوعِدةً ومَوعُوداً ومَوعودَة. وهو من المصادر التي جاءت على مفعول ومفعولة. والوعد من المصادر المجموعة، قالوا: الوُعود. والوَعْد مصدر حقيقي. وقال الراغب: الوعد: يكون في الخير والشر والوعيد في

---

(١) القصص: ٤٦.

(٢) السجدة: ٣.

(٣) سبأ: ٤٤.

الشر خاصة.

السّبط لغة: قال ابن منظور: قال أبو العباس: سألت ابن الأعرابي مامعنى السبط في كلام العرب؟ قال: السبط والسبطان والأسباط: خاصة الأولاد والمُصاص منهم، وقيل السبط واحد الأسباط وهو ولد الولد. وقال ابن سيده: السبط ولد الابن والابنة. وفي الحديث: الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنهما. ومعناه: طائفتان وقطعتان منه. قالوا: والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق بن إبراهيم بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عليهم السلام. انتهى.

ركّزوا هنا على اسحاق عليه السلام ونفوا أن يكون لإسماعيل دور كإسحاق، وادعوا أن اسماعيل لم ينزل عليه شيء من الله. وقالوا: إن العرب لم يأتهم نبي بصريح القرآن بعد عيسى عليه السلام. وهذه الشبهة طويلة عريضة ومصادرها كثيرة، ولكن نذكر منها ما هو الأهم فيها. إن الاهتمام بإسحاق شأنُ اليهود الذين هم من ذريته ـ كما يقولون ـ وتهميش إسماعيل دَيدنُهم في الوقت نفسه. وذلك لأن نسب رسول الله صلى الله عليه وآله ينتهي الى إسماعيل الذبيح وليس الى إسحاق. ولما كانت لليهود حسابات مع الرسول صلى الله عليه وآله الذي نسخ ديانتهم صاروا يسلطون الضوء على إسحاق دون إسماعيل، بل جعلوا من إسماعيل عليه السلام شخصاً ليس ذا شأن. مع أن القرآن الكريم اهتم به على قدر الدور الذي قام به في حياته. ففي آية سورة البقرة ذكر الله إسماعيل قبل إسحاق؛ لأنه أكبر منه، ثم جاء بذكر يعقوب والأسباط.

وفي الآية تعميم الى المسلمين كافة أن يؤمنوا بما أنزل على إبراهيم

وإسماعيل وإسحاق. وقال الله: (لانفرق بين أحد منهم) والأسباط في الآية تعني أولاد يعقوب. وهم في بني اسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل من العرب. والسبط كالقبيلة وهم الجماعة يجتمعون على أب واحد. فلافرق بين إسماعيل وإسحاق من هذه الناحية.

أما آية سورة مريم: فقد أثنى الله على إسماعيل فيها ومدحه لصفاته العديدة الطيبة التي منها: أنه رسول ونبي وأنه مرضي عند ربه، وأنه صبر على الذبح ووطن نفسه عليه، ثم قالت الآية مورد البحث إنه أدخله الله في رحمته لأنه صبر على المشكلات التي واجهته. وجاءت قصته بعد سرد قصة أيوب عليه السلام مباشرة لبيان أن صبر إسماعيل لم يكن قليلاً، ولكن دور إسحاق وذريته التي كان منها أنبياء كثيرون أوسع من دور إسماعيل عليه السلام. وهذا لايعني أنه كان يعيش على هامش الأحداث كما ظن مثيرو الشبهة. وأما نفيهم لبعث الأنبياء الى العرب فهذا غير صحيح؛ لأن هوداً وصالحاً وشعيباً وقبلهم إسماعيل كلهم بعثوا الى العرب فإسماعيل بعث الى قبيلة جرهم وتزوج منهم وأنجب اثني عشر ولداً. زد على ذلك: إن الله تعالى لايمكن أن يترك الأرض خالية من دون حجة له. فإن لم يكن نبي فوصي قطعاً. ثم إن قوله: ﴿...**لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا اَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ**...﴾ المراد من القوم هنا هم المعاصرون له صلى الله عليه وآله أي قريش وعرب مكة. أما القبائل الأخرى فقد بعث الله إليهم أنبياء عرباً وهم الذين أشرنا إليهم ومنهم خالد بن سنان العبسي وحنظلة على مافي الروايات. وإن قالوا: ورد ذكر إسحاق في القرآن أكثر من ذكر إسماعيل مما يدل على أنه الأفضل. قلنا:

ليس معنى ذلك أن الأول أفضل من الثاني ولامفاضلة في ذلك أبداً؛ لأن مريم عليها السلام ورد ذكرها عشرات المرات في القرآن الكريم ولم يُذكر رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أربع مرات أو خمساً. فهل يعني ذلك أن مريم صارت هي الأفضل؟

ونبه القارئ العزيز الى أن المشكلة التي رافقت مسيرة هؤلاء تاريخياً هي العناد وعدم الطاعة والرضوخ الى الحق، وإنكار النعمة والطغيان وحب الدنيا وتفضيل أنفسهم ولديهم ادعاءات واسعة لها أول وليس لها آخر، مع كثرة من بعث إليهم من الأنبياء والرسل بالحقائق الدامغة والأدلة الباهرة والمعجزات الكثيرة. ومع ذلك لازموا طريق الغدر والمؤامرات، وتنكبوا طريق السلام والوئام والتعايش مع الشعوب. ويتضح ذلك لمن يراجع تأريخهم من بدايته.

الشبهة الثامنة والخمسون بعد المائة:

«قال في سورة النساء: ﴿افَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[1] وهذا يناقض عملية النسخ وتبديل آية مكان آية. فإن النسخ اختلاف وكذلك التبديل».

ردها:

الاختلاف لغة: قال في اللسان: وتخالفَ الأمران واختلفا: لم يتفقا،

(١) النساء: ٨٢

وكل ما لم يتساوَ فقد تخالف واختلف... والخلاف: المضادّة. وقال الراغب: والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعمّ من الضدّ؛ لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين.

لقد مرّ بعض ماله صلة بهذا الموضوع، ولكنهم هنا أثاروا شيئا كانوا يبحثون عنه لإثبات تناقض ولو مزعوم يمس قدسية القرآن الكريم ويحطّ من مكانته في قلوب المسلمين، فادّعوا أن الاختلاف الذي نفته الآية موجود في كل عملية نسخ وقعت في القرآن.

وفي نظرنا أن كل إشكال أوردوه هو أقرب الى الدعوى من دون دليل، وأنه إشكال من أجل الإشكال، وثرثرة فارغة لاتُسمن ولا تُغني من جوع. وأن هؤلاء بحثوا في كتب التفسير والتقطوا ما سموه تناقضات أو إشكالات وأهملوا أجوبتها الموجودة بإزائها. ونعم ما قيل: «لو كانت عين الحُب متهمة فعين البغض أولى بالتهمة». إن النسخ الذي سموه اختلافاً نص عليه القرآن نفسه ولا محيص عن ذلك. فقال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا...﴾[1] وقال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ...﴾[2]، ولكن ليس كما ذهبوا إليه، لأن النسخ كما أنه ليس من المناقضة في القول كذلك ليس من قبيل الاختلاف في النظر والحكم. وإنما هو ناشئ من الاختلاف في المصداق من حيث قبول انطباق الحكم في فترة

---

(١) البقرة: ١٠٦.

(٢) النحل: ١٠١.

محدودة لوجود مصلحة فيه، وعدم انطباقه فيما بعد، لتبدل المصلحة الى مصلحة أخرى توجب حكماً آخر. وقد اقترنت آيات النسخ بقرائن لفظية تومئ الى أن الحكم المذكور في الآية سيُنسخ. كقوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[1]. أنظر الى التلويح الذي تعطيه الجملة الأخيرة. وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ...﴾[2] حيث تمّم الكلام بما يُشعر بأن هذا الحكم مؤقت والحكم الجديد مؤجل. ومثلُ هذا لايسمى اختلافاً استناداً الى المعنى اللغوي للاختلاف.

---

(١) النساء: ١٥.

(٢) البقرة: ١٠٩.

الشبهة التاسعة والخمسون بعد المائة:

«قال في سورة هود: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ...﴾[١] فلماذا في ستة أيام، وهو القائل في سورة البقرة: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى امراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] الم يكن قادراً على خلق السماوات والأرض بـ(كن) فتكونان؟ ثم كيف يوجد اللهُ الاشياء من العدم وهو نقيض الوجود؟».

ردها:

إن عبارة (كن فيكون) وردت في عدة آيات من القرآن الكريم. والمراد منها: الإرادة التكوينية لله تعالى، والحاكمية على الكون ومافيه. والمقصود من (كن فيكون) ليس صدورها اللفظي من الله ـ عزوجل ـ لأن النطق ممتنع عليه سبحانه، بل المقصود تحقق إرادة الله حينما تقتضي إيجاد شيء من الأشياء، صغيراً كان بحجم الذرّة، أم كبيراً بحجم المجرّة. دون أن يحتاج في ذلك الإيجاد الى أية علّة أخرى، بل إرادته علة تامة. ودون أن تكون هناك فترة زمنية فاصلة بين الإرادة وتحققها. ولذلك فإن الفاء في جملة (فيكون) لاتدل على تأخير زمني كما هو الحال في سورة الأعلى ﴿الذِى خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿وَالَّذِى اَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾

(١) هود: ٧.

(٢) البقرة: ١١٧.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى﴾[1] بل إنها تدل فقط على التأخير في الرتبة، مثل تأخر المعلول عن العلة لا تأخراً زمنياً، وإنما في المرتبة فتأمل.

زد على ذلك: ليس المقصود أن الشيء يصير موجوداً متى ما أراده الله فحسب، بل المقصود أن الشيء يصير موجوداً بالشكل الذي أراده الله. وعلى سبيل المثال نقول: لو أراد الله أن يخلق السماوات والأرض في ستة أيام لكان ذلك من دون زيادة أو نقص، ولو أراد أن توجدا في لحظة لوجدتا بأجمعهما في لحظة واحدة. وذلك تابع الى كيفية إرادته ولما يراه هو.

أما سؤالهم: كيف يوجِد الله الاشياءَ من العدم وهو معنى كلمة (بديع) والإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء منه. وفي الآية بمعنى إيجاد الشيء من غير مادة سابقة وهذا منشأ السؤال: كيف يمكن للعدم ـ وهو نقيض الوجود ـ أن يكون منشأً للوجود؟ وهذه شبهة يوردها الماديون في مسألة الإبداع ليستنتجوا منها أن المادة الأصلية للعالم أزلية أبدية. لا يطرأ عليها العدم إطلاقاً.

وجوابه: لو وجهنا هذا السؤال الى الماديين أنفسهم وهم يعتقدون أن مادة العالم قديمة أزلية ولم ينقص منها شيء حتى الآن. والذي نراه يتغير هو الصورة وحدها، لا أصلُ المادة. فلو قلنا لهم كيف وجِدت الصورةُ الحالية للمادة ولم تكن من قبل، هل وجدت من العدم؟ إذا كان كذلك. فكيف يمكن للعدم أن يكون منشأً للوجود؟ مثال آخر: لو قال الماديون في

(١) الأعلى: ٢ ـ ٥.

لوحة زيتية مرسومة على ورقة: إن زيوت التلوين كانت موجودة قبل اللوحة. ونحن نسأل: كيف وجدت هذه الصورة التي لم تكن موجودة من قبل؟ وكل جواب يقدمونه بشأن إيجاد الصورة من العدم نقدمه نحن أيضاً بشأن أيجاد المادة. واعلم عزيزي القارئ إن خطأ الماديين ناتج عن كلمة (من) إذ تصوروا: «أن العالم وُجِد من العدم» شبيهٌ بقولنا: «إن المنضدة وُجِدَت من الخشب» حيث لابد من وجود الخشب أولاً لكي توجد المنضدة. بينما جملة «وجود العالم من العدم» لاتعني ذلك، بل تعني: «أن العالم لم يكن موجوداً ثم وجد» وهل في هذه العبارة تناقض؟

الشبهة الستون بعد المائة:

«قال القرآن في سورة المائدة: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً...﴾[1] وهنا نرى أن الله نسب الى نفسه جعْلَ قسوة قلوب مجموعةٍ من اليهود. فكيف يفعل الله ذلك، وكيف يكون أولئك الأشخاص مسؤولين عن أعمالهم، ألا يعتبر هذا نوعاً من الجبر؟ أليس الجبر منافياً لعدل الله؟».

ردها:

قسا لغة: قال ابن منظور: القَساء مصدر قسا القلب يقسو قَساءاً. والقَسوة: الصلابة في كل شيء. وحجرٌ قاسٍ: صُلْب، وأرض قاسية: لاتُنبت

---

(١) المائدة: ١٣.

شيئاً. وقال أبو الحسن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ...﴾ تأويل قست في اللغة: غَلظَت ويَبست وعَست، فتأويل القسوة في القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه. وقسا قلبه قسوةً وقساوةً وقَساءاً بالفتح والمد: وهو غِلْظُ القلب وشدتُه. وقال الراغب: القَسوة: غِلْظُ القلب. وأصله من حجر قاسٍ، والمُقاساة: معالجة ذلك قال تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً...﴾.

سيتضح لمن يُمعن النظرَ في آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن هذا الموضوع، ومنها الآية مورد البحث أن بعض الناس إنما يُحرَمون من لطف الله ورحمته وهدايته بسبب أخطائهم وذنوبهم، وأن أعمالهم هذه هي مصدر لمجموعة من الانحرافات الفكرية والأخلاقية. بحيث يستحيل على الإنسان ـ أحياناً ـ أن يجنّب نفسه عواقبها ونتائجها. وبما أن الأسباب تُعطي آثارها بإذن الله، لذلك نسب مثل هذه الآثار في القرآن الى الله تعالى. وفي هذه الآية نجد أن اليهود لأنهم نقضوا الميثاق الذي أخذه الله منهم (جعل الله قلوبهم قاسية) وذلك شبيه بقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿...وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ...﴾[1] أي بسبب الظلم الذي صدر منهم حجبنا عنهم نور الهداية. فهذه الآثار السيئة تنبع من أعمال الإنسان نفسه. وهذا لا يناقض حرية الإرادة والاختيار؛ لأن مقدمات تلك الآثار تكون بمحض إرادة العبد ومن صميم عمله، وبعلمه واختياره.

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

زد على ذلك: أن آثار العمل هي نتيجة حتمية للعمل نفسه. ولنضرب لذلك مثلاً:

لو أن إنساناً شرب الخمر باختياره، وحصلت لديه حالة سكر، فأقدم على ارتكاب جريمة بشعة. فهو وإن كان لا يمتلك إرادته في حال السكر، إلا أنه قبل ذلك أقدم على شرب الخمر بإرادته وهو يدرك ما يفعل . وبذلك هيأ بنفسه مقدمات الجريمة. وهو يعلم احتمال صدورها منه في حال السكر. ولذلك هو مسؤول عن جريمته. فهل في هذا جبر؟ وقَسوة القلب التي عاقب الله بها بعض اليهود ناتجة عن مقدمات ارتكبوها بمحض إرادتهم ومضوا عليها. منها:

نقض الميثاق وهو العمل بأحكام الله والالتزام بإقامة الصلاة، وأن يدفعوا زكاة أموالهم، وأن يؤمنوا بالرسل الذين يبعثهم الله إليهم وينصروهم. فإن التزموا بهذه الشروط قال: ﴿...**لأُكَفِّرَنَّ عَنهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجرِى مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ**...﴾[1] كذلك بيّنت الآية مصير الذين لايلتزمون بهذه الشروط ويكفرون بما أنزل الله حيث قالت: ﴿...**فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[2] فالضلال جاء نتيجة لمنهجٍ منحرف سلكوه، ثم لما نقضوا الميثاق عاقبهم ربُهم عقوبتين: اللعن الدائم، وجعل القلوب قاسية متحجرة لا تبدي أي مرونةٍ أمام الحقائق. ومن هنا يتضح أن الله تعالى يتعامل بالعدل في كل الأمور، وأن العقوبات

(١) آل عمران: ١٩٥.

(٢) المائدة: ١٢.

التي يصدرها بحق قومٍ مّا هي عقوبات جزائية تسببوا هم في إصدارها، وهم كانوا السبب في ابتعادهم عن الرحمة الإلهية، وليس لله دخل في صناعة الأسباب المؤدية الى الضلال والانحراف الفكري والسلوكي، بل الانسان يصنع كل ذلك.

هذا ما وفقنا الله له. فحمداً لله وشكراً، وإليه يعود الفضل كله وهو المستعان في كل شيء.

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

نهج البلاغة.........................الإمام علي عليه السلام

مجمع البيان في تفسير القرآن..........................الشيخ الطبرسي

الميزان في تفسير القرآن.......................... العلامة الطباطبائي

الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل................. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

لسان العرب... ابن منظور

مجمع البحرين.. فخر الدين الطريحي

المنجد في اللغة...لويس معلوف

المنجد في الأعلام..لويس معلوف

الكنى والألقاب..................................... الشيخ عباس القمي

تاريخ الطبري.................................... محمد بن جرير الطبري

تفسير الكاشف.. محمد جواد مغنية

صحيح البخاري.............................. محمد بن إسماعيل البخاري

مفردات ألفاظ القرآن.............................. الراغب الإصفهاني

التفسير الكبير .... الفخر الرازي

دليل الكتاب